نصوص ليبية

من: هيرودوتس / سترابو / بليني الأكبر / ديودوروس الصقلي
بروكوبيوس القيصري/ ليون الإفريقي

جمعها وترجمها وعلق عليها
الدكتور علي فهمي خشيم



نصوص ليبية

من: هيرودوتس / سترابو / بليني الأكبر / ديودوروس الصقلي

بروكوبيوس القيصري/ ليون الإفريقي

جمعها وترجمها وعلق عليها
الدكتور علي فهمي خشيم



أعدها للنشر: تامغناست

مقدمة الطبعة الأولى

جاء أمر هذا الكتاب عرضاً – مثلما لأغلب الكتب.

فقد كنت أقرأ في بعض المسائل ذات الصلة بتاريخ ليبيا وماضيها، وأتتبع خيوط أحداث كنت أحب أن أعرض لها، فإذا بي ألاحظ نصوصاً طويلة سطرها مشاهير الكتاب والمؤرخين يروون فيها خبر ماضي هذا البلد، وما مر به من أحداث أكثر قومنا عنها غافلون. وكنت أرى بين الحين والآخر مدى الجهد الذي بذله ويبذله الباحثون من الغرب، وما يلاقونه من عناء في سبيل العثور على خيوط تاريخ هذا البلد الذي تميز بموقعه الفريد ومناخه المتنوع. فكان من اجل هذا مسرحاً لحضارات عظيمة ازدهرت فوق أرضه ونمت وضربت بجذورها حتى الأعماق..

وكنت أخاطب بعض الإخوة في هذه الأمور فأرى من بعضهم صدوداً عنها، ومن الأخر جهلاً بها، ومن الثالث إقبال المتخوف المريب.

وإني لأومن اليوم – أكثر من أي وقت مضى – بأنه ما من شعب يهمل تاريخه، بعيده وقريبه، وينأي عنه بجانبه، ولا يبذل في سبيل إحيائه والمحافظة على تراثه الكثير، يستحق بعد هذا الحياة.

وإني لأجد إن تاريخ ليبيا واسع رحيب لكل دارس وباحث، بل هو إلى جانب هذا تاريخ ممتع ملذّ، وأرى أن الغوص في هذا التاريخ والبحث فيه وعنه لأنفع

لبلادنا وأفيد من هذا التيه الفكري الذي نعانيه، وأكثر ارتباطاً بالأرض التي تحمل معنا آلامنا وآمالنا وطموحنا إلى غد أوضح وأفضل.

ومن هنا رأيت أن أسهم بقدر ما أملك من زاد جد قليل في هذا الميدان الذي آمل أن يجد الإيمان والعمل والحماسة من أبناء هذا البلد خاصة كما وجدها في أبناء غيره من قبل. فاخترت هذه النصوص التي يجدها القارئ بين يديه الآن، وقمت بنقلها والتقديم لها والتعليق عليها. وهي مهمة لا أدّعي أنها كانت يسيرة هينة، وكان أشق ما فيها أنها من ميدان غير ميدان تخصصي، وإن كانت تمت إليه بأكثر من سبب.

ولعل الصدفة وحدها هي التي تحكمت في اختياري لهذه النصوص، وهو لم يكن اختياري لهذه النصوص، وهو لم يكن اختياراً بالمعنى الدقيق المفهوم؛ ذلك لان هناك سلسلة للكتابات الكلاسيكية تدعى "The Loeb Classical Library" وهي تصدر في بريطانيا، تخصصت في ترجمة ونقل المؤلفات الكلاسيكية اليونانية والرومانية، وكانت تنشر النص الأصلي مع الترجمة الانجليزية لأحد كبار العلماء مقدماً لها ومعلقاً عليها إن لزم الأمر، وقد كانت مكتبة الجماعات الليبية ببنغازي أتت ببعض مما أصدرته مؤسسة Loeb أو ببعض أجزائه، ولم يتيسر لها أن تأتي بالبعض الأخر، فكان عليّ إذن أن أكتفي بما بين يديّ لأعمل فيه حفاظاً على الوقت، وحرصا على فورة الحماسة أن لا تخبو... وقد كان.

ويجد القارئ فيما يلي ما نقلته عن أبي التاريخ "هيرودوتس" وقد نقلته عن ترجمة السيد A. D. Godley للأصل اليوناني من سلسلة (لويب) الطبعة الرابعة – بريطانيا 1946م، وكانت نصوص "بليني الأكبر" من ترجمة السيد H. Packham عن اللاتينية، نفس السلسلة الطبعة الرابعة – جلاسجو 1958م.

أمـا نصــوص "ديودوروس الصقلــي" فقد نقلتها عن ترجمة الســيد C. H. Oldfather للأصل اليوناني – نفس السلسلة، الطبعة الثانية 1953م. ونقلت ما ترجمه الســيد H. B. Dewing بالاشــتراك مع السيد C. Downey من "برو كوبيوس القيصري" عن اليونانية – نفس السلســلة، الطبعة الثانية، بريطانيا 1954م. وهذه النصوص تكون بهذا الترتيب قد انتظمت في عهود متتالية تبدأ من القرن السابع قبل الميلاد وتنتهي في القرن السادس بعده.

وسـيلقى القـارئ نفســه فــي هــذه النصــوص، أمام مزيــج مــن التاريخ والأســطورة والجغرافيا وعلم الأجناس والطبيعة من حيــوان ونبات وجماد. وهو ربما يأخــذه العجب حين يقرأ ما يبــدو لنا الآن خلطاً غير علمــي. لكن العذر أن هذه كانت طريقة الأقدمين في الكتابة والتأليف، وان ما يقرأه كان هو المفهوم السـائد يـوم ذاك. لكنه على كل حال سـيرى أن ما أمامه شــيء يبـدو جديداً على المكتبة الليبية – إن لم تكن العربية – وهو شــيء فيه من الطرافة القدر الكبير..

ولقد حرصت قدر الجهد على الدقة في الترجمة، وعدم تجاوز ما يرويه النص بحــذف أو زيادة، اللهم إلا في مواضع قليلة دعت إليها الحاجة الملحة، وهو أمر لا يكون معه مجال للبلاغة الأدبية أو التأنق في التعبير، وتتطلبه الدقة العلمية الواجبة. فليعذرني إذن حين تضايقه هذه الترجمة "الحرفية" في بعض الأحيان.

وبعد...

فأنــي لأرجو أن أكــون قدمت لبنة في بنـاء مكتبتنا الليبيــة العربية التي لا تزال تحتاج إلى جهد كبير وبذل وعطاء حتى تنمو وترتفع عالية شـامخة بين مكتبـات هذا العالم المتصــارع الذي لا يبقى فيه إلا من كان يســتحق البقاء. وآمــل أن يجد الدارس المتخصص فــي هذه النصوص والتعليقـات عليها مادة

صالحــة للبحث والدرس، ويلقي فيها القارئ فيــر المتخصص فائدة ومتعة، علم الله أنني بذلت جهدي في توفيرها له..

وإني أود أن أنتهز هذه الفرصة فأقدم شـكري الخالص لكل من أعانني على إخــراج هــذا العمل إلى حيز الوجود. وأخص بالشــكر الأســتاذ الدكتور إبراهيم نصحي – أسـتاذ التاريخ بآداب عين شـمس وبآداب الجامعة الليبية – والأســتاذ الدكتور فوزي فهيم جاد الله – أستاذ التاريخ بالجامعة الليبية – على ما أسـداه لــي من فضل وعون. فقد تفضـل د. نصحي بمراجعة نصــوص (هيرودوتس) ود. فوزي بمراجعة نصوص (بلني الأكبر) على الأصلين اليوناني واللاتيني. بالإضافة إلى النص الانجليزي. كما اشـكر السيد سالم الفيتوري – المصور الخاص لجريدة برقــة الجديدة – الذي نقــل بعض الصور الملحقة بالكتاب مــن مصادرها. وإدارة الآثار ومتحف السراي التي تفضلت بتيسير اطلاعي على بعض المراجع الهامة ونقل صور ورســوم منها. وإني لأرجو بعد هذا أن أرى يد العون تمد لي لتلافي ما في هذا العمل من نقص، هو لا شك جد كثير.

والله ولي التوفيق.

علي فهمي خشيم

مصراتة في 1967/8/9م

مقدمة الطبعة الثانية

هذه هي الطبعة الثانية من "نصوص ليبية" وقد يسر الله لطبعته الأولى أن تلقى قبولاً لدى الدارسين والقارئين. وان تجد طريقها إلى المهتمين بما جاء فيها من المتخصصين والمتتبعين لموضوعاتها.

وقد بذلت جهدي لتنقيح النصوص ومراجعتها، وتصويب ما تبين لي خطأه، وإضافة ما رايته ضرورياً من الهوامش والتعليقات. وزدت نصين جديدين: أولهما للجغرافي "سترابو" والثاني للرحالة "ليون الإفريقي" يجدهما القارئ في موضعيهما المعيّنين. كما أحب الإشارة هنا إلى معظم الإحالة في الهوامش والتعليقات كانت إلى نصوص موجودة في هذا الكتاب تسهيلاً على القارئ والدارس.

وليس ثمة من كلمة سوى شكر من تفضل بالتنبيه إلى أمر فاتني أو أشار إلى سهو، والإشادة بالروح الطيبة التي استقبل بها هذا الكتاب.

القاهرة في 1975/6/29م

نصوص من هيرودوتس

تعريف حياته

هيرودوتس – أو عطية الربة هيرا – مواطن من مدينة (هاليكارناسوس) في (كاريا) ولا يمكن تحديد مولده بالضبط. إلا أن المرجح أنه ولد عام 484 ق. م. وقد أمضى حياته الأولى في بلدته وربما قضى شطراً منها في جزيرة (ساوس) غير أنه لم يلبث أن هرب من اضطهاد طاغية مسقط رأس المدعو (لوغداميس) الذي قتل عمه لنشاطه المعادي لهذا الطاغية.

وخلال سبعة عشر عاماً ظل هيرودوتس يطوف العالم المعروف يومذاك. فزار ما مقداره 24 درجة عرضاً و 31 درجة طولاً في اليونان وجزر بحر إيجه، واسيا الصغرى، وبلاد ما بين النهرين، وأقاصي سواحل البحر الأسود، وسكيذيا، وتراقيا، وسوريا، وفلسطين، ومصر حتى أسوان، وقورينا في ليبيا. ثم آب إلى موطنه بعد عزل لوغداميس، وتركه سنة 447 ق. م. واستقر في أثينا حيث كتب (تاريخه) الشهير، لكن الحياة لم ترق له في أثينا فغادرها إلى (ثوري) وعاش هناك – فيما عدا رحلة واحدة إلى أثينا – حتى وفاته عام 424 ق. م. عاملاً في إعداد كتابه العظيم.

تاريخه

يعرف هيرودوتس بأنه (أبو التاريخ) وما كان ذلك إلا لأنه كان أول من صنف كتاباً جمع فيه ما دار من أحداث قبله وفي أيامه، وسجلها بغية إيصالها إلى الأجيال القادمة، باذلاً أقصى جهد في هذا الجمع والتسجيل، ومستخدما مختلف الطرق التي يتبعها المؤرخون لتسجيل تاريخ الشعوب والأفراد.

وقد كان هدف هيرودوتس الأصلي أن يروي قصة الصراع بين فارس واليونان (490-470) ق.م. لكن كتابه حوى مقدمات رائعة عن الصراع بين الشرق والغرب تشكل ثلثي كتابه. وقد مكنه هذا من الحديث عن الأصول الأسطورية للحوادث والشخصيات والشعوب، وعن جغرافية وآثار وأخلاق وعادات كل العالم المعروف يومذاك.

ومن الواجب التفريق بين ما يروي انه شاهده عياناً، وما يحكيه على ألسنة الآخرين من الشعوب والأفراد والكهان. وإذا كان ما يرويه هيرودوتس سماعاً كثيراً ما يتعرض للنقد، فان ما يذكره أنه رآه بنفسه يعد نموذجاً ممتازاً لعمل المؤرخ المدقق الواعي الحريص. وإذا كان هناك خلط في بعض رواياته فانه لا يترك هذا دون نقد من جانبه هو. فنراه يردد عبارة "هكذا يقولون" مرات في كل موطن لا يكون قد تحقق من صحة خبره. أو جملة: "ولا أعرف ما إذا كان هذا صحيحاً أم لا؛ فأنا أكتب ما يقال". غير أن تاريخه – في مجمله – يعتبر المصدر الأول لمن يتعرض لأحداث وشخصيات العالم القديم.

الكتاب الليبي

يُعرف القسم الرابع من تاريخ هيرودوتس باسم (الكتاب الليبي Libykoi Logoi). وذلك لأنه قص فيه حديث القبائل والطوائف الليبية الممتدة من مصر غرباً حتى سواحل المحيط الأطلسي. وكان مرمى هيرودوتس الأساسي أن يعرض للهجوم الفارسي على ليبيا بغية تطويق اليونان من الجنوب مثلما فعل مع تراقيا في الشمال. غير أن الوصف الجغرافي والحديث عن السلالات البشرية ومواطنها وأخلاقها وعاداتها وما إلى ذلك يقطع الرواية حتى يعود إليها في آخر الكتاب..

ويبدأ الكتاب عادة بالفقرة 145 من الكتاب الرابع حيث يقص مطامع

الإغريق في ليبيا (فقرة 145-147) ثم تأسيس (ثيرا Thera) المدينة الأم لقورينا (Gyrene) (الفقـرة 147-149). لكنني بدأت النقل من فقرة 160 التي تتحدث عن تأسيس قورينا إذ وجدت غنى عما سبقها من فقرات، وإن حرصت على نقل ما وجدته علـى علاقة بليبيا أو قورينا من الكتاب الثاني، عند حديث هيرودوتس عن مصر المجاورة لليبيا، والتي كانت على صلة وثقى بها وبأهلها.

ومن الحكمة بعد هذا التقسيم فقرات الكتاب الرابع على النحو التالي:

150-158 تأسيس قورينا.

159-165 تاريخ قورينا.

165-167 العلاقات بين قورينا ومصر.

168-180 بحث في السلالات البشرية على طول الساحل الليبي.

181-185 بحث جغرافي عبر الواحات.

186-196 بحـث حضـاري – الرعـاة في السـهول الشـرقية حتـى بحيرة تريتونيس في الغرب.

182-194 الزراعة في الجبال الغربية.

197-199 نهر كينوبس (كعام) وبرقة.

200-205 غزو ليبيا على يد آرياندس.

200 حصار فيرتيمي وآرياندس لبرقة (المرج).

201 إستراتيجية أمازيس.

202 انتقام فيرتيمي.

203 قورينا تنجو.

204 مصير الأسرى البرقيين.

205 مصير فيرتيمي في برقة.

أما الكتاب الثاني فإنه يمكن تصنيف ما نقلته منه على هذا النحو:

استكشافات الليبيين داخل القارة.

34 النيل ينبع من ليبيا.

50 بوسيدون إله ليبي.

181 قصة لاديكي.

هيرودوس وليبيا

بقـي بعد هذا سـؤال هام يتردد كلما دار الحديث عمـا كتبه أبو التاريخ عن ليبيا وهو: هل زار هيرودوتس ليبيا وهو: هل زار هيرودوتس ليبيا؟ وإلى أي مدى؟.

وإذا لـم يكن بلغنا خبر مؤكد عن سـياحة هيرودوتس فـي ليبيا، مثلما هو الحال في مصر مثلاً، إلا أن حديثه وسياق جمله تدلنا على أنه فعل.

فنقـرأ لـه في مثلاً: (هذا ما سـمعته من بعض أهل قورينـا). أو (على قدر علمنـا). أو: (نتيجـة لمـا بذلناه من جهـد في البحـث). ولعله لـم يتجاوز في سياحته مدينة قورينا دون أن يتوغل في داخل البلاد.

ويرجح هذا الرأي السيد جون. ل. مايرز J. L. Myres

ويرى أن وصف هيرودوتس المفصل لشعوب شمال افريقية والواحات وبحيرة تشاد ونهر النيجر كان قد جمعه في أثناء إقامته في قورينا. ويؤيده في ما ذهب إليه السـيد أ. د. غودلي A. D. Godley وذلك في مقدمته للترجمة التي نقلت عنهـا هذه النصوص. وهو يضيف إلى هذا اعتقاده أن هيرودوتس زار إقليم برقة كله ولم يقتصر على قورينا وحدها .

1 - راجع:

J. Warrington, Classical Dictionary, London 1961

A. D. Godley, Herodotus. Loeb.

J. L. Myres, Herodotus, Father of History.

الكتاب الثاني

فقرة 32

هذا ما سمعته من بعض رجال قورينا. فقد أخبروني أنهم حجوا إلى معبد وحي (آمون)1 وهناك تحادثوا مع (اتيارخوس) ملك الآمونين، وأنهم تطرقوا من الحديث في مسائل أخرى إلى الكلام عن نهر النيل، وكيف إن أحداً لا يعرف منبعه. وعندها أنبأهم اتيارخوس بأنه ذات مرة زاره بعض (النسامونيين)2 وهؤلاء شعب ليبي يسكن منطقة (سرت)3 والمنطقة القريبة منها إلى الشرق.

مغامرة الفتية النسامونيين

وعندما وصل هؤلاء النسامونيون وسئلوا عما إذا كانت لديهم أية أنباء تتعلق بالصحراء الليبية أخبروا أتيارخوس بأن بعض أبناء أقطابهم كانوا من الشباب المغامر الفخور؛ ولذلك فإنهم عندما بلغوا مرحلة الرجولة رتبوا القيام بعدة مغامرات جسورة كان من بينها ارتياد صحاري ليبيا4 والذهاب إلى ما

1 - الإشارة هنا إلى معبد آمون Ammon في سيوة. وكانت تقوم صلات قديمة وثيقة بين هذا المعبد وبين الذين يقيمون بالقرب منه أو على بعد عنه – في برقة وقرطاجنة، وفي أسيا وفي المدن الأوروبية الإغريقية، ولا سيما أثينا واسبرطة. وكان المعبد يتمتع بشهرة عالمية تضارع ما كان لأعظم معابد الوحي في العالم الإغريقي. والرأي السائد الآن هو إن الأطلال التي تزال قائمة في قرية (أغودمي) إحدى القريتين الرئيسيتين في سيوة ليست إلا أطلال ذلك المعبد (المراجع).

2 - Nasamones أو Nasamonians انظر الكتاب الرابع، فقرة 172 وقارن: بليني، الكتاب الخامس فقرة 5.

3 - المقصود خليج سرت الكبرى أو خليج سدرة.

4 - ذكرت ليبيا في الأوذيسة على أساس إن اسمها مأخوذ من الجنس الوطني الرئيسي الذي كان على المستوطنين اليونان أن يتصلوا به، مثلما أخذت إيطاليا اسمها من قبيلة Italia . في القسم الجنوبي منها. وإذا كانت كلمة (ليبيا) قد أطلقت فيما بعد ذلك من العصور على قارة أفريقيا الآن، فإن هذا لا يمنع من القول إن اليونان لم يعرفوا في تاريخهم القديم من أفريقيا إلا ما نسميه الآن باسم ليبيا وهم سموها بذلك أيضا.
أنظر: Tozer. A History of Ancient Geography. N. Y. 1960. P 70.

وراء أقصى نقطة بلغها الرحالة من قبل. فاختاروا بالقرعة خمسة من بينهم للقيام بهذه المغامرة. ويجب أن يكون معلوما إن كل ساحل ليبيا الشمالي – من مصر حتى رأس (صولويس) الذي هو نهاية ليبيا – تسكنه قبائل كثيرة من الليبيين على طول امتداده. عدا الجزء الواقع في يد الإغريق والفينيقيين. أما جنوبي البحر والمنطقة التي يغشاها أهل الساحل فإنه يوجد في ليبيا إقليم مليء بالوحوش الضارية. وإلى ما وراء هذا الإقليم إلى الداخل صحراء رملية لا نبت فيها ولا ماء. وقد كانت هذه هي القصة التي رواها الشباب:

عندما تركوا باقي رفاقهم، مزودين بقدر وفير من الماء والمؤن، ساروا أولاً عبر المنطقة الآهلة بالسكان، حتى إذا ما تجاوزوها بلغوا إقليم الوحوش الكاسرة ومضوا بعده في الصحراء متجهين غرباً. فاستغرقوا أياماً كثيرة في اجتياز منطقة رملية واسعة، فرأوا عندئذ أشجارا تنموا في سهل، وحينما بلغوها وبدأوا يقطفون ثمارها قابلهم - وتولى قيادتهم إلى ما وراء ذلك – رجال قصار قامتهم أقصر من المعتاد. ولم يكن النسامونيون يعرفون لغة هؤلاء الإدلاء ولا هم يعرفون لغة النسامونيون. وقد اقتادهم الإدلاء وسط مستنقعات واسعة ما إن عبروها حتى بلغوا مدينة كان أهلها جميعاً يشبهون الإدلاء في القامة وذوي بشرة سوداء وكان هناك نهر عظيم يمر بالمدينة من الغرب في اتجاه مطلع الشمس. وكان يمكن رؤية التماسيح فيه1.

فقرة 33

وحسبنا هذا من القصة التي رواها اتيارخوس الآموني. فيما عدا أنه قال – على حد ما رواه لي القورينيون - إن الشبان النسامونيين عادوا من مغامرتهم، وان أهل تلك البلاد التي بلغوها كانوا سحرة جميعا.

1 - يحسب هيرودوتس أنه نهر النيل. فإذا كانت قصة رحلة الفتية النسامونيين صحيحة فلعل النهر كان نهر النيجر. قارن بالنسبة لحيوانات النيجر والنيل: بيليني. الكتاب الخامس. فقرة 8.

النيل ينبع من ليبيا

أمـا عن النهر الذي كان يمر بالمدينة، فان اتيارخوس ظن أنه نهر النيل. وهذا ظـن معقول؛ ذلـك لان النيـل ينبع من ليبيا. ومن وسـطها بالذات وأحسب، بتعليـل المجهـولات بالمرئيـات. أحسـب أن النيل ينبـع من الغـرب ويجري صوب الشرق شأنه شأن نهر (ايستر)1 فان ذلك النهر ينبع من بلاد (الكلت)2 ومدينة (بورين)3 وينسـاب شرقا عبر وسـط أوروبا بالضبط. ويعيش الكلت إلى ما وراء (أعمدة هرقل)4 فهم جيران (الكونيسـي)5 أقصى الشـعوب التي تعيش في أوروبا غرباً. ويجتاز نهر الايستر فوق منبعه أوروبا من أولها إلى آخرها. فان مجراه ينتهـي عند بحر (يوكسـين)6 حيـث توجد مدينة (اسـتريا) التي يسـكنها مستعمرون ملطيون7.

فقرة 34

وبمـا أن نهر الايسـتر يتدفق في بلاد مأهولة بالسـكان، فان مجراه معروف للكثيريـن. لكن ليس في وسـع احد الكلام عن منابع النيـل؛ لان ليبيا – حيث ينسـاب عبرها بعد انبثاقه من منبعه – صحراء غير مأهولة. وقد ذكرت كل ما عرفته بطريقة البحث عـن مجراه، فهو يتدفق في مصر. وتقع مصر على وجه

1 - نهر الايستر (Ister) هو نهر الدانوب أو الطونة. ويظهر أن ما يعنيه هيرودوتس هو القول بما النيل (طبقاً له) يتدفق من الغرب إلى الشرق ثم ينحني شمالاً. فإن الدانوب يتدفق من الغرب إلى الشرق ثم (كما يقول) من الشمال إلى الجنوب. وهكذا يتطابق النهران في المجرى، أحدهما عبر أفريقيا والأخر عبر أوروبا.
وقد حاول بعض الباحثين تلمس العذر لهيرودوتس في هذا التصور، ومنهم من قال إنه يعني بمجرى النيل من الغرب إلى الشرق ما يسمى الآن بحر الغزال (انظر مقدمة النص اليوناني). ومن الطريف أن نذكر إن هيرودوتس لم يكن وحده في هذا التصور لمجرى النيل، بل شاركه كثيرون منهم (أناكساغوراس) و(ديودوروس) حتى جاء (أرسطو) والعالم القوريني (إيراتوستنيس) فقالا إن الأمطار تهطل على ما يسمى الآن النيل الأزرق والنيل الأبيض فيكون الفيضان.

2 - Celts أو الـ Celatae. أسـم أطلقه الكتاب الأقدمون على مجموعتين من الشـعوب غطت شـمال وجنوب غرب أوروبا.

3 -Pyrene في سلسلة دبال البرانس ما بين فرنسا وإسبانيا.

4 - يعني جبل طارق.

5 - Cynesii ربما كانوا سكان جنوب البرتغال.

6 - Euxinus هو البحر الأسود.

7 - نسـبة إلى مدينة ملتوس Miletus أو ملطية – وكانت أوسـع المدن الإغريقية نشـاطاً في إنشـاء المسـتعمرات الإغريقية. (المراجع).

التقريب في مواجهة الجزء الجبلي من (قليقية)1 وهي على قيد مسيرة خمسة أيام من (سينوب)2 على البحر الأسود. إذا كان المسافر غير مثقل بما يحمله.

بين النيل والدانوب

وتقع سـينوب فـي مواجهة مصب نهر الايسـتر في البحـر. وعليه فإنني أفترض أن مجرى النيل في سيره عبر ليبيا يماثل مجرى الايستر. عبر أوروبا.

فقرة 50

الواقع أن كل أسـماء الآلهة تقريبا جاءت إلـى بلاد الإغريق من مصر. فقد تأكدت – عن طريق البحث – من أنها جاءت من بلاد أجنبية. وأعتقد أنها جاءت من مصر خاصة. وإذا اسـتثنينا (بوسـيدون)3 و(ديسـكوري)4 – كما قلت منذ قليـل – و(هيـرا)5 و(هسـتيا)6 و(تيمس)7 و(الحسـان) و(حوريـات البحر)8 فان أسـماء كل الآلهـة كانت موجودة فـي مصر دائمـاً. وأنا لا أقـول إلا ما يقوله المصريون أنفسهم.

بوسيدون إله ليبي

أمـا الآلهـة التـي يقولـون أنهـم لا يعرفـون أسـماءها فانـي اعتقد أن (البلاجسـيين)9 هم الذين أعطوا هذه الآلهة أسـماءها فيما عدا بوسـيدون،

1 - Cilicia إقليم على الساحل الجنوبي لآسيا الصغرى، بين غامفليا وسوريا.

2 - Sinope مدينة يونانية على البحر الأسود، مسقط رأس أديوجين الكلبي.

3 - Posiedon يقول عنه John Warrington في Everyman's Classical Dictionary إنه إله إغريقي هيليني، وهو رب الزلازل والمياه والجداول. وهو ابن كرونوس ورهيا وأخو زيوس. ويحتار في علاقته بالخيل وكونه ربها، ويعللها باهتمامات أهل تسـاليا بتربية الخيول، حيث نشأ هذه الإله. وقد جعله هوميروس في الأوذيسة عدوا لأوديسيوس وسبباً لتيهه لان هذا قتل (بوليفيوس) ابن بوسيدون واحد السيكلوبات.

4 - Dioscori أي أبناء زيوس من ليدا. عبدوا ي اسبرطة.

5 - Here ربة الزواج والأسرة.

6 - Hestia ربة الموقد والمشاعل.

7 - Themis ربة النظام المؤسس على القانون والعرف.

8 - Nerieds أنصاف إلهات عددهن ست خصصن بمظاهر الطبيعة المختلفة. والنيريدي هن حوريات البحر الايجي.

9 - Pelasgians اسـم أطلقه الكتاب القدماء على سـكان بلاد الإغريق قبل العصر الهليني. وكان لفظ (بيلاسجني) يعني ما كان قبل التاريخ.

وهـو الذي عرفوه مـن الليبيين. والليبيون وحدهم – دون سـائر الأمم – هم الذين وجد بينهم اسم بوسيدون منذ البداية، وكانوا دائماً يعظمون هذا الإله1.

فقرة 77

... والمصريون اصح الناس أجساماً بعد الليبيين2.

فقرة 181

وقد اتخذ (أماسـيس)3 من أهل قورينا أصدقاء له وحلفاء وفضلاً عن ذلك فقد رأى أنه من المناسـب أن يتزوج من هناك. ولسـت ادري مـا إذا كان قد فعل ذلك لأنه اشـتهى امرأة يونانية. أو كان لديه سـبب أخر لكسب صداقة قورينا. وعلى كل حال فانه تزوج سيدة تدعى (لاديكي). قال البعض أنها ابنة (باتوس)4

1 - شغلت قضية الإله بوسيدون الأذهان، وحارت في تفسير نشأة عبادته، وفي التحكم على قول هيرودوتس إن اليونان مـا عرفوا بوسـيدون – وهو الذي يلـي زيوس الإله الأكبر في المرتبـة - الا من الليبيين، وقد قامت السـيدة Jane Allen Harrison في كتابها Mythology الصادر عن دار Cooper Square نيويورك 1963م. بتحليل هذه القضية وإصدار حكم قاطع فيها. تقول السيدة جين ما خلاصته: إذا لم يكن هناك بوسيدون الإله فلا شك انه وجد عباد بوسيدون. والسؤال الذي نطرحه: من كان هؤلاء العباد وما كانت بيئتهم؟.
وفي رواية (سـبعة ضد طيبة) لأسـخيلاوس تصلي الجوقة: (أي بوسيدون! أيها الملك ذو الجواد الجامح، يا من تحكم البحر بصولجان سيف الأسماك، أزل عنا مخاوفنا).
ويظهر بوسـيدون عند سوفوكيلس في (أوديب) وعند أرستوفان في (الفرسـان). وعلى خزفية كورنثية يمثل بوسيدون راكباً جواداً. وفي (ترنيمة إلى أبولو) الهومرية نرى "غابة بوسـيدون المشـرقة" فماذا يفعـل اله البحر في غابة؟.. كيف يكون بوسيدون صياداً وخيّالاً في نفس الوقت، وهما قضيتان متعارضتان؟!.
وقد وجدت لوحة تشـير إلى أول اسـتيراد للخيول في جزيرة كريت، وعلى أفواه هذه الخيول لجم، وهي عادة لم تكن عند الآسـيويين أو الأوروبيـين بل كانت لدى الليبيـين. ويظهر بوضوح إن الجواد الموجود على الختم الكريتي من سـلالة ليبية كريمـة، ويدل ذيله الذي هو على شـكل نافورة على أصله. والواقع أننا لم نسـمع أبـداً أن الكريتيين ركاب خيل كما لم نعرفه عن الآرغوسـيين ولا التسـاليين. ونسـتطيع فهم حكـم هيرودوتس على ضـوء هذا الجواد الليبـي الذي ذكرناه. كمـا يخبرنا هيرودوتس إن الإغريـق تعلموا من الليبيين كيف يقرنون أربعة خيول في عرباتهم وقد صور الشـعراء هذه (العطية) الليبية في الأيام الأسطورية. وفي (الترنيمة البيثانية) الرابعة لبندار تصوير لنبوءة ميديالياسون بتأسيس قورينا والتغيير العجيب الذي سيطرأ على المستوطنين فيها من صيادي البحر إلى راكبي عربات.
وفي (آرغوناوتكا) أبوللونيوس الرودسـي يقص علينا نبأ لقاء سـابق بين رجال منياس مع بوسـيدون الحصان في ليبيا. ولنذكـر أنـه يأتـي ببحارته من كريت إلـى ليبيا التي هي فـي الواقع أقرب نقطة مـن القارة الأفريقيـة. ويقع البحارة ويجنحون بتعاسـة إلى السباخ الضحلة في سـرت حتى (جاء إلى المنيانيتيين عابر غريب رائع إذ قفز من البحر إلى البر حصان بري.. كان حصاناً ضخماً يتطاير عرفه مع الريح؛ فرفس بخفة زبد البحر المالح بحوافره مسخراً الريح لتجري).
وتختم السـيدة (جين) حديثها بقولها: في ليبيا – وفي ليبيا وحدها – يظهر سـبب بسـيط وطبيعي لان يكون الإله جوّاب البحار إلهاً جواداً. لأننا نجد في ليبيا تقليداً ثابتاً لسـباقات الخيول التي كانت أعجوبة العالم القديم. وقد ظهرت قصة Pegasus الجواد المجنح – في ليبيا، ومن هنا لابد أنها نقلت عن طريق عبّاد بوسيدون إلى بلاد اليونان.
2 - قارن: الكتاب الرابع. فقرة 187 – حيث يذكر هيرودوتس أنه ليس في المعروف لديه من الشـعوب من هو في صحة أجسام الليبيين، ويشير إلى تطببهم وعاداتهم الصحية.
3 - Amasis أو أحمس الثاني. صار فرعوناً على مصر سنة 569 ق.م. حيث قاد ثورة المصريين ضد خفرع وحالف الليديين والسامونيين والقورينيين والاسبرطيين وكان عهده عهد سلام وازدهار.
4 - Battus – يعني باتوس الثالث.

وقال آخرون إنها ابنة (اركسيلاوس)1 وقال غيرهم إنها ابنة (كريتوبولس). وكان مواطناً له اعتباره في المدينة.

قصة لاديكي زوجة أحمس

بيد أنه تصادف أن لاديكي كانت هي المرأة الوحيدة التي لم يكن في وسـع أماسـيس معاشـرتها معاشـرة الأزواج. ولما اسـتمر الأمر على هذا المنوال قال أماسـيس للاديكي: (يـا امرأة!. لقد ألقيت عليَّ سـحراً. وثقي تماماً أن مصيرك سـوف يكون أسـوأ مصير انتهت إليه امـرأة). ولما لم يخفـف إنكارها كله من سـورة غضب الملك نذرت لاديكي في سـريرتها (لأفروديت)2 أن ترسل تمثالاً إلى هـذه الربة في قورينا. إذا اتصل بها الملـك تلك الليلة. لان حدوث ذلك كان يضع الأمور في نصابها. وبعدها سـار كل شـيء على ما يرام. وأحب أماسيس زوجته حباً لا حد له. وقد وفت لاديكي بنذرها للربة. ذلك أنها أمرت بإعداد تمثال أرسلته إلى قورينا حيث وقف سليماً حتى زماني هذا، مولياً وجهه نحو خارج المدينة.

وعندما فتح (قمبيز)3 مصر وعلم من كانت لاديكي أرسلها إلى قورينا دون أن يمسها بأذى.

1 - Arcesilaus - يعني اركسيلاوس الثاني.
2 - Aphrodite إلهـة الحـب والجمـال والخصب عند اليونان، وأشـهر تماثيلها هو تمثال (أفروديـت قورينا) ويوجد الآن في المتحف البريطاني بلندن، وله نسخ كثيرة وليس هو الذي بعثت به لاديكي زوجة أماسيس. وتعرف أفروديت عند الرومان بفينوس Venus وهي عند الفينيقيين عشتروت.
وقـد ظـل معبد أفروديت أو فينوس شـهيراً حتى عهـد الكاتب المسـرحي الرومانـي (Plautus 254-184 ق.م.) فكتب مسـرحية دراميـة – كوميدية تدور أحداثها عند هذا المعبد وأسـماها (رودنز) ولعل لهذه المسـرحية أصلاً يونانياً. وقد صدرت بالانجليزية في سلسـلة Leob وكذلك سلسلة Penguin باسم الحبل The Rope. ونشرتها (دار مكتبة الفكر) بالعربية بترجمة جامع هذه النصوص تحت اسم (حسناء قورينا).
3 - Gambyses ابـن قـورش الأكبر، ملك على فارس (529-521 ق.م.) وقد جـاء قمبيز هذا إلى مصر عام 525 ق.م. على رأس حملة بعد أن أغضبه أماسيس المذكور.
ويروي هيرودوتس سـبب ذلك (الكتاب الثالث فقرة 1) أن قمبيز بعث يخطب ابنة أماسـيس فخشي هذا بطش الفرس إن رفـض، وأن تصبـح ابنته حظية لقمبيـز لا ملكة إن أجاب. فجهز ابنة أبريس – الملك الـذي خلفه – وتدعـى (نتتيس) Ntetis وبعث بها إلى قمبيز على أساس أنها ابنته هو. فلما وصلت واستقبلها أماطت نتتيس اللثام عن سرها قائلة: (أيها الملك! إنك لا تدري كيف خدعك أماسيس. لقد جهزني وبعث بي إليك على أساس أنني ابنته، لكنني في الواقع ابنة سيده إبريس الذي ثار عليه هو والمصريون وقتلوه). وكانت هذه الكلمات – التي ألقتها الأميرة الليبية المجروحة أمام قمبيز – سبباً في أن يجتاح قمبيز مصر في غضبة جامحة بعد أن اكتشف خدعة أماسيس له.

الكتاب الرابع

فقرة 150

جاء (غرينوس) بن (آيسانيوس) – ملك (ثيرا)[1] وسليل (ثيراس) نفسه – إلى (دلفي)[2] وقد أحضر من مدينته قرابين وفيرة[3]. وجاء معه – ضمن آخرين من شعبه – (باتوس) بن (بولومنستوس) سليل يوفيموس[4] من عشيرة المينونيين.

كاهنة دلفي تطلب تأسيس قورينا

وعندما سال غرينوس – ملك ثيرا – الوحي عن أمور أخرى كان جواب الكاهنة أن عليه أن ينشئ مدينة في ليبيا. فأجاب غرينوس: (كلا يا إلهي! لقد شخت ووهن العظم مني. فهلا أسندت هذا الأمر إلى بعض هؤلاء الرجال الأصغر مني سنّاً؟) مشيرا في أثناء كلامه إلى باتوس. ولم يضف بعدها قول آخر.

بيد أن غرينوس وصحبه عندما رحلوا أهملوا العمل بما أمر به الوحي. نظراً إلى أنهم لم يكونوا يدرون أين كانت تقع ليبيا. وخشوا أن يرسلوا جالية منهم إلى هدف غير معلوم.

1 - Thera إحدى جزر السبورايد شمال جزيرة كريت، وتدعي اليوم "سانتورين". وهي جزيرة شبه دائرية مشهورة بخمرها المعتقة، ولعل الفينيقيين هم الذين عمروها، ثم جاءها المستعمرون اللاكونيون الذين بنوا فيها معبداً لأبولو ثم هاجر أهلها إلى قورينا.
2 - Delphi كان معبد أبولو في دلفي من أشهر معابد العالم الإغريقي ومنه سمع سقراط وحي الحكمة – وقد لعب هذا المعبد دوراً كبيراً في توجيه الحياة الدينية والفكرية والسياسية عند اليونان.
3 - حددها بمائة ذبحاً للمعبد.
4 - Battus بن Polymnestus سليل Euphemus قارن: بندار القصيدة البوثية الرابعة. ويوفيموس أسطوريا هو ابن بوسيدون أعطى قطعة من الطين لبحارة الآرغو عربوناً لقورينا.

فقرة 151

ثم انقطع المطر سبع سنوات بعد هذا عن ثيرا. وذوت كل أشجار الجزيرة عدا واحدة منها. واستنبأ الثيرائيون ثانية وحي دلفي. فذكرت لهم الكاهنة الجالية التي كان عليهم أن يرسلوها إلى ليبيا.

صعوبات ومحاولات

ولما يكن هناك علاج لمتاعبهم فأنهم بعثوا رسلاً إلى جزيرة (كريت)[1] للبحث عن أي كريتي أو مغترب هناك قد يكون زار ليبيا. وعندما كان هؤلاء الرسل يطوفون بالجزيرة جاءوا إلى بلدة (ايتانوس)[2] حيث التقوا بصياد أصداف يدعى (كوروبيوس) أخبرهم أن الرياح دفعته ذات مرة عن طريقه إلى ليبيا حيث توجد جزيرة تسمى (بلاتيا)[3] فاستأجروا هذا الرجل ليذهب معهم إلى ثيرا. ومن هناك أرسل أول الأمر نفر قليل على ظهر سفينة ليروا الجزيرة بأنفسهم. وعندما قادهم كوروبيوس إلى جزيرة بلاتيا المذكورة تركوه هناك ومعه ما يكفيه من المؤونة لبضعة أشهر. ثم أقلعوا عائدين إلى ثيرا بأقصى سرعة حاملين نبأ الجزيرة.

فقرة 152

مغامرة أهل ساموس

لكن عندما غابوا وقتاً أطول مما اتفق عليه، ولم تتبقَ مؤونة لدى كوروبيوس حدث أن أقصت الرياح سفينة سامونية[4] كانت في سبيلها إلى مصر، وكان ربانها يدعى (كولايوس) – عن طريقها وطوحت بها إلى جزيرة بلاتيا، حيث

1 - Crete الجزيرة المعروفة شمال ساحل ليبيا الشرقي وغرب الشام – وإليها ينسب جزء كبير من أهل برقة حتى اليوم وهم (القريتلية) سكان سوسة أصلاً وبقية بلدان برقة بعد ذلك.
2 - Itanus في كريت.
3 - Platea وهي جزيرة بومبا الآن في مواجهة آخر الساحل الشرقي لساحل ليبيا.
4 - نسبة إلى ساموس Samos وهي في غرب آسيا الصغرى، استعمرها اليونان 1100-1000ق.م.

سمع السامونيون القصة برمتها من كوروبيوس، فتركوا له زاد عام وأبحروا من الجزيرة في طريقهم إلى مصر. لكن ريحاً شرقية أبعدتهم عن طريقهم، ولم يتوقفوا حتى عبروا أعمدة هرقل ووصلوا بالعناية الإلهية إلى (ترتيسوس)[1] ولم يكن هذا المرفأ مألوفاً حتى ذلك الوقت للإغريق ولذلك فإن السامونيين جنوا من وراء بيع سلعهم هناك مكاسب لم يجنها من قبل أي إغريقي لدينا عنه معلومات وثيقة، فيما عدا (سوستراتوس الايجيني) بن (لاوداماس)[2] وكان رجلاً لا يشق له غبار. وقد أنفق السامونيون ستة (تالنتات)[3] وهي عشر ربحهم – في صنع قدر برونزية كبيرة تشبه مرجلاً آرغوسيّاً[4] تبرز من حافتها رؤوس عنقاوات. ووضعوا هذه القدر في معبدهم المقام للإلهة (هيرا) ودعموها بتماثيل ثلاثة ضخمة من البرونز جاثية تصور أشخاصاً راكعين. ارتفاع كل منها سبعة اذرع. وكان هذا الصنيع الذي أسداه السامونيون لكوروبيوس هو بداية لصداقة وطيدة بينهم وبين أهل قورينا وثيرا.

فقرة 153

خطوات عملية من أهل ثيرا

أما الثيرائيون فإنهم، بعدما تركوا كوروبيوس على الجزيرة ووصلوا ثيرا، أبلغوا قومهم أنهم أنشأوا مستقراً على جزيرة قرب شاطئ ليبيا.

فقرر أهل ثيرا أن يبعثوا رجالاً من مناطقهم السبع يختارون عن طريق القرعة بحيث يؤخذ واحد من كل أخوين وأن يجلوا باتوس قائداً وملكاً للجميع.

1 - Tartessus إقليم في جنوب اسبانيا قرب الوادي الكبير. ويطلق الاسم على النهر وعلى مدينة في مصبه. وكانت تتعامل مع الفينيقيين والقرطاجنيين في التجارة، مما يسر لها ازدهاراً كبيراً يضرب به المثل. وقد خلط الجغرافيون القدماء بينها وبين قادش. وأطلق الشعراء المتأخرون اسم ترتيسوس على اسبانيا كلها بل وعلى غرب أوربا بأجمعه.

2 - Sostratus of Aegina وابن Laodamos. وايجينا جزيرة في الخليج الساروني عمرت منذ أقدم العصور، وكانت على علاقة بكريت، وخاضت صراعاً عنيفاً ضد أثينا. ولد فيها أفلاطون الفيلسوف وأريستوفان الشاعر وكانت ملهمة لبندار في كثير من قصائده.

3 - Talent وزنة وكذلك عملة إغريقية. وكانت قيمة التالنت تساوي ما يقابل حوالي 240 جنيهاً استرلينياً. (المراجع).

4 - نسبة إلى مدينة آرغوس Argos.

ثم جهزوا سفينتين من ذوات الخمسين مجذافاً فحملتا المبعوثين إلى بلاتيا.

فقرة 154

رواية أهل قورينا عن تأسيس مدينتهم

هذا ما يقوله الثيرائيون. ومن هنا يبدأ ذلك الجزء الذي تتفق فيه الروايتان الثيرائية والقورينية ذلك أن القورينيين يروون عن باتوس قصة مختلفة تمام الاختلاف عن قصة الثيرائيين. وإليك رواية القورينيين:

" كانت توجد في كريت بلدة تدعي (واكسوس) أصبح المدعو (اتيارخوس) حاكماً لها. وكانت له ابنة تسمى (فرونيمي) فقدت أمها. فاضطر أبوها إلى الزواج مرة أخرى. وعندما جاءت الزوجة الثانية إلى بيته راق لها أن تسلك مسلك زوجة الأب تجاه فرونيمي، بحيث تسيء معاملتها، وتمعن في تدبير المكائد لها. وأخيراً اتهمت الفتاة بالفساد وراحت تقنع زوجها بصحة اتهاماتها. وإذا اقتنع اتيارخوس بكلام زوجته دبّر لابنته أمرا إدّاً. وكان في واكسوس تاجر من ثيرا اسمه (تميسون) استضافه اتيارخوس واتخذ منه صديقاً. ثم استحلفه بأن يؤدي له أي خدمة يطلبها. وبعد ذلك أعطى هذا الرجل ابنته طالباً منه أن يأخذها إلى مكان بعيد ويلقي بها في اليم. ولكن تميسون غضب غضباً شديداً للتغرير به في اليمين التي أقسمها. وتبرأ من صداقته لاتيارخوس. ثم لم يلبث أن أخذ الفتاة وأبحر بها إلى بعيد. ولكي يفي بيمينه التي أقسمها لاتيارخوس عمد إلى ربط الفتاة بالحبال – عندما بلغ عرض البحر – ودلاها فيه. ثم رفعها ثانية ومضى إلى ثيرا في الحال.

فقرة 155

وهناك التقى (بولومنستوس)[1] – وكان أحد وجهاء ثيرا – بفرونيمي واتخذ

1 - Polymnestus انظر: فقرة 150 تعليق 4.

منها حظية له. فأنجبت له بعد حين ولداً عيي النطق أطلق عليه اسم باتوس[1]. كما يقول القورينيون والثيرائيون.

قصة باتوس

لكنني أظن أن الولد أعطي أسما آخر غيّره إلى باتوس عند مجيئه إلى ليبيا، وأنه اتخذ هذا الاسم الجديد بسبب النبوءة التي أعطيت له في دلفي ولمنصبه الجليل الذي تبوأه. فان الكلمة الليبية التي تعني (ملك) هي (باتوس). هذا في اعتقادي هو السبب الذي من أجله دعته الكاهنة البوثية[2] على هذا النحو في نبوءتها مستعملة الاسم الليبي لأنها كانت تعرف أنه سيصبح ملكاً في ليبيا. ذلك أنه عندما بلغ أشده ذهب إلى دلفي مستنبئاً عن نطقه فأعطته الكاهنة هذه النبوءة رداً على استفساره: "يا باتوس! أنت تطلب لساناً سليماً.

لكن مولانا فويبوس[3] أبللو يرسلك لتنشئ لك وطناً في ليبيا. حيث تكثر الأغنام"[4].

1 - تعني كلمة باتوس Battuus باليونانية العيي الذي يتأتئ في نطقه أو المتلعثم. ويرى بعض الباحثين أن قول هيرودوتس إن باتوس كان عيياً ليس صحيحاً، وإنما هذا القول نتيجة لقرب كلمة باتوس من الكلمة التي تعني المتلعثم في اليونانية. وإن ما أورده هيرودوتس بعد ذلك من أن كلمة (باتوس) تعني (ملك) في اللغة الليبية هو الصواب. وهذا ما يراه H. W. Parke و D. F. Wormeel في كتابهما The Delphie Oracle (ص 73 وما بعدها من الجزء الأول). وهما يستندان إلى ما أورده (بندار Pindar) في قصيدته البوثية الخامسة من ان اسم باتوس الاول كان (ارسطاليس Aristotsles). ويقولان إن ارسطاليس هذا أصبح ملكا - باتوس - بسبب زواج المهاجرين اليونان من النساء الليبيات واتخاذهم نظام الليبيين في الحكم وإطلاق هذا اللقب على قائدهم أو ملكهم بتأثير من هؤلاء الليبيين (ص 75) غير أن قصة خفوت صوت باتوس - أو تلعثمه - كانت قد ترددت في عديد من قصائد الشعراء - كبندار - وروايات الكتاب - مثل باوسانياس Pausanias الرحالة اليوناني الذي عاش في أواخر القرن الثاني وأوائل القرن الأول قبل الميلاد. وقد ذكر باوسانياس هذا كيف استعاد باتوس صوته بينما كان يتجول في أطراف قورينا. فرأى أسداً مقبلاً عليه لإطلاق صرخة مدوية بسبب الخوف الذي اجتاحه، فانطلق صوته منذ ذلك الحين. أما بندار فانه يحكي في القصيدة البوثية الخامسة أن باتوس أطلق صرخة هائلة - حين هجم عليه الأسد - أرعبت الوحش الكاسر وردته على أعقابه، وذلك حتى لا ينسب إلى باتوس الخوف والخور. ولا ننس أنه كان لبندار عمومة وخئولة في قورينا. وعلى كل حال فان هيرودوتس أورد القولين معاً، ولكل منهما ما يبرره ويؤيده.

2 - كاهنة معبد دلفي. وهيرودوتس يدعو دلفي بوثو Pytho مثلما يفعل هوميروس، نسبة إلى (بيثون) وهو التنين الذي كان يحرس دلفي وقتله أبوللو الذي كرس المعبد له.

3 - Phoebus صفة قديمة كانت تطلق على أبوللو ومعناها (الطاهر).

4 - قارن: ديودوروس الصقلي Diodiris Siculud. الكتاب الثامن فقرة 29. وعند ديودوروس كذلك أن اسم باتوس الأصلي كان ارسطاليس.

ذلك كما لو كانت الكاهنة قالت له على حد تعبيرنا: (أيها الملك! أنت تطلب لساناً سليماً). لكنه أجاب قائلاً: (يا رب! لقد أتيتك مستفسراً عن نطقي فإذا بك تجيبني عن أمور أخرى يتعذر عليّ النهوض بأعبائها. فأنت تأمرني بإنشاء مستعمرة في ليبيا ومن أين القوة لي أو القدرة على القيام بذلك؟!)

هكذا تساءل باتوس لكنه لم يفلح في الحصول على إجابة أخرى من الإله الذي ظل يردد إجابته الاولى. فلم يكن من باتوس إزاء ذلك إلا أن انصرف والكاهنة لا تزال تتكلم وذهب إلى ثيرا.

فقرة 156

وإذ سارت الأحوال بعد ذلك غير مؤاتية لباتوس وبقية أهل ثيرا. دون أن يعرفوا سبب. أنفذوا الرسل إلى دلفي يستفسرون عن سوء أحوالهم. فأبلغتهم الكاهنة بأن حالهم ستتحسن إذا أعانوا باتوس على إنشاء مستعمرة عند قورينا في ليبيا.

متاعب في سبيل باتوس

فأرسل الثيرائيون باتوس إلى ليبيا ومعه سفينتان من ذوات الخمسين مجذافاً. ولما جهل باتوس ورفاقه ما يفعلونه هنالك فأنهم سرعان ما عادوا أدراجهم إلى ثيرا. وما إن اقتربوا من البر حتى استقبل الثيرائيون السفينة بوابل من قذائفهم ورفضوا السماح لهم بالرسو. وأمروهم بالعودة من حيث أتوا. وتحت هذا الضغط فعل باتوس وصحبه ما أمروا به. وأنشأوا مستعمرة في جزيرة بالقرب من ساحل ليبيا اسمها بلاتيا كما ذكرت آنفاً. ويقال إن هذه الجزيرة تماثل في اتساعها اتساع مدينة قورينا الآن.

فقرة 157

وهناك مكثوا مدة عامين. غير أن العيش لم يطب لهم. فتركوا أحدهم في

الجزيرة وأبحر الباقون إلى دلفي. وعند وصولهم استفسروا الوحي عن أحوالهم، وقالوا إنهم كانوا يقيمون في ليبيا لكن ذلك لم يؤد إلى تحسن أحوالهم على الإطلاق. فأجابتهم الكاهنة عندها قائلة:

"إني رأيت مراعي ليبيا، ولم تبصرها أعينكم قط.

أتعرفونها خيراً مني؟ إذن فيا لروعة حكمتكم حقاً!!"

يأس ورجاء

ولما سمع باتوس ورجاله هذا القول أبحروا عائدين مرة أخرى لأن الإله لم يكن ليسمح إلا بالاستقرار في ليبيا نفسها. وما أن وصلوا الجزيرة حتى أخذوا الرجل الذي تركوه هناك، وأقاموا محلةً لهم في مكان بليبيا ذاتها كان في مواجهة الجزيرة ويدعى (أزيريس)1 وهو موقع يحيط به أزهى المروج من ناحيتين، ويفيض نهرٌ من أحد جوانبه.

فقرة 158

الليبيون يساعدون أهل ثيرا

وقد عاشوا هناك مدة ست سنوات، لكن الليبيين2 أقنعوهم في السنة السابعة بأن يتركوا هذا المكان قائلين بأنهم سيقودونهم إلى موقع أفضل منه. ثم قادوا الإغريق من أزيريس صوب الغرب، يركنون ساعات النهار ويسيرون بهم ليلا عبر أزهى مكان في بلادهم يدعى (ايراسا)3 لكيلا يراه الإغريق في أثناء مرورهم به. ثم جاءوا بهم إلى موقع يدعى (نبع أبوللو) وقالوا لهم (هنا يلائمكم أيها الإغريق أن تعيشوا، فإنه يوجد هنا خرق في السماء)4.

1 - Aziris ولعلها وادي التميمي قرب درنة أو وادي الخليج.
2 - من المرجح أن يكون هؤلاء الليبيون الذين قادوا الإغريق هم قبيلة الجيلغاماي، قارن: فقرة 169.
3 - Irasa لعلها درنة أو عين مارا.
4 - يعنون أن هناك مطراً غزيراً.

فقرة 159

وفي باتوس مؤسس المستعمرة، وهو الذي حكم أربعين عاماً، وهو الذي حكم أربعين عاماً، وكذلك في عهد ابنه اركسيلاوس، وهو الذي حكم ستة عشر عاماً، لم يتجاوز عدد سكان قورينا عددهم حين أتوا أول الأمر إلى المهجر. لكن في عهد ثالث ملوك قورينا، وهو باتوس الذي كان يدعى (السعيد) استحثت الكاهنة البوثية اليونان جميعاً بنبوءة ليعبروا البحر ويسكنوا ليبيا مع القورينيين.

اليونان يغدرون بالليبيين فيلجأ هؤلاء إلى مصر لأن القورينيين كانوا يدعونهم بنصيب في الأرض عند توزيعها، وكان هذا هو نص النبوءة:

" إن من يتوانى في الذهاب إلى ليبيا النضرة حتى يتم توزيع الأرض فسيندم على ذلك بلا ريب ". وهكذا تجمع حشد هائل في قورينا، واقتطعوا أصقاعاً عظيمة من الأرض كانت جزءاً من منطقة الليبيين الجاورين. وعندما وجد هؤلاء الليبيون وملكهم (أدكران) إن القورينيين كانوا يسلبون أراضيهم ويعاملونهم بغلظة استصرخوا ملك مصر (ابرييس)1 ووضعوا أنفسهم تحت إمرته. وقد أعد ابرييس جيشاً عظيماً من المصريين، وأرسله ضد قورينا. فزحف القورينيون إلى إيراسا ونبع (ثستيس) حيث التحموا بالمصريين وتغلبوا عليهم، إذ لم تكن للمصريين خبرة بمقاتلة اليونانيين بعد، كما استخفوا بعدوهم، فترتب على ذلك أنهم سحقوا تماماً حتى أنه لم يعد منهم إلى مصر سوى القليل. وبسبب هذه النكبة، وإلقاء تبعتها على إبرييس ثار المصريون عليه2.

1 - Apries أو خفرع – (الفرعون الرابع 589-570 ق.م.) من الأسرة السادسة والعشرين. وقد ورد ذكره في التوراة، وهو من أسرة ليبية الأرومة.
اعتمد كسابقيه على المرتزقة الايونيين والقاريانيين، وقام بمحاولات غزو فاشلة لكل من فينيقيا وقورينا. ثم عزل بعد ثورة شعبية ضد مرتزقته وضعت أحمس، أو أماسيس، على العرش.
2 - كان هذا عام 570 ق.م.

فقرة 160

كان لباتوس (السعيد) أبن اسمه أركسيلاوس، ما إن ارتقى العرش حتى وقع نزاع بينه وبين إخوته، فتركوه وذهبوا بعيداً إلى مكان آخر في ليبيا، حيث أنشأوا مدينة لأنفسهم سميت آنذاك، ولا تزال حتى الآن تسمى (برقة)1. وقد حرضوا الليبيين حين كانوا ينشئونها على الثورة ضد القورينيين، وعندئذ قاد أركسيلاوس جيشاً وتوغل في إقليم الليبيين الذين كانوا قد رحبوا بأخوته وثاروا عليه.

الليبيون يثأرون من أركسيلاوس

فلما فر هؤلاء أمامه إلى الليبيين الشرقيين طاردهم حتى مكان في ليبيا يدعى (ليوكون)2 حيث صمم الليبيون على مهاجمته. فاشتبكوا هناك معه في معركة تغلبوا فيها تماماً على القورينيين حتى قتل في هذه المعركة سبعة آلاف قوريني من المشاة الثقيلي العدة. وبعد هذه الكارثة خر أركسيلاوس صريع المرض، ثم خنقه أخوه (هاليارخوس) حين كان تحت تأثير دواء تناوله. لكن (اروكسو) زوجة أركسيلاوس احتالت على هاليوخوس وقتلته.

فقرة 161

انتقل ملك أركسيلاوس إلى ابنه باتوس، وكان أعرج لا يقوى على المشي. وإزاء سوء أحوال القورينيين فإنها أنفذوا الرسل إلى دلفي يستنبئون الوحي عن أفضل تنظيم يمكن أن يفيء عليهم بالرخاء، فأمرتهم الكاهنة بأن يحضروا مصلحاً من (مانتينيا)3 في (أركاديا).

1 - Barce باركي. وهي مدينة المرج حالياً. وقد حرصت على ترجمتها ببرقة تمشياً مع الترجمة العربية. فإذا وردت (برقة) بمعنى الإقليم الشرقي من ليبيا Cyrenacia فسينبّه إلى ذلك في موضعه. وكلمة Barcae ليست يونانية بل هي كلمة ليبية، مما يعني تأثيراً لليبيين في إنشائها، ويرجح شامو Chamoux. أن قبيلة الاوسخيساس هي التي أعانت أخوة اركسيلاوس على إنشاء برقة. وذلك حوالي سنة 560 ق.م. (عبد العليم: دراسات، ص: 57).
2 - Leucon موقع في أطراف ليبيا الشرقية. (المراجع).
3 - Mantenia. مدينة تقع في سهل جنوب شرق أركاديا، وكانت تقع بين المدينتين حروب مستعرة بدأت سنة 500 ق.م. ديموقراطية معتدلة، وكانت تحارب اسبرطة حينا وتهادنها حينا آخر، ثم دمرت سنة 223 ق.م. وبنيت بدلاً منها باسم (آنتيغونيا).

الفوضى في قورينا تستوجب إحضار المصلح ديموناكس

وحين أعرب القورينيون عن رغبتهم لأهل مانتينيا أرسل إليهم هؤلاء أعظم مواطنيهم قدراً، وكان اسمه "ديموناكس" فلما أتى إلى قورينا ووقف على أحوالها قسّم أهلها إلى ثلاث قبائل، وكانت أحداها تتألف من الثيرائيين والبريؤيكي1، والثانية تتكون من البلوبونيزيين والكريتيين، والثالثة من أهل الجزر جمعياً. وفضلاً عن ذلك فانه خصص لملكهم باتوس بعض الأملاك والسلطة الكهنوتية. أما باقي السلطات التي كان الملوك يمارسونها في الماضي فإنه أسندها إلى الشعب.

فقرة 162

وقد احترمت هذه الشرائع في خلال حياة باتوس سالف الذكر بيد أن نضالاً عنيفاً نشب في عهد ابنه أركسيلاوس حول حقوق الملك. ذلك أن أركسيلاوس ابن باتوس الأعرج و(فريتيمي) لم يشأ الالتزام بشرائع ديموناكس، بل أراد استعادة امتيازات أجداده. فتزعم حركة لهذا الأمر لكنه غلب على أمره وهرب إلى ساموس، كما فرت أمه إلى (سلاميس)2 في قبرص. وكان يحكم سلاميس في هذا الوقت (إفلثون) وهو الذي أهدى إلى دلفي تلك المبخرة الرائعة المقامة في بيت كنوز الكورنثيين.

فرتيمي وابنها ينقضان شرائع ديموناكس

وقد ذهبت فريتيمي إلى افلثون تطلب منه جيشاً يعيدها هي وابنها إلى قورينا، لكنه كان يرغب في أن يقدم لها أي شيء آخر عدا الجيش. وعندما أخذت

1 - طبقا للتقسيم المعتاد في المدينة – الدولة الدورية؛ إذ كانوا ينقسمون عادة إلى ثلاث قبائل. ويختلف الباحثون في من كان البريؤيكي. ويرى كثيرون أنهم كانوا جيران قورينا الليبيين، الذين أسهموا في إنشائها واصطبغوا بالصبغة الإغريقية واصهروا إلى القورينيين ثم سلب هؤلاء أراضيهم عندما ازداد عدد الإغريق في عهد باتوس (السعيد) نتيجة لهجرة كبيرة من مختلف أنحاء العالم الإغريقي. (المراجع).
2 - Salamis مدينة على الساحل الشرقي لقبرص.

مـا أعطاه امتدحت العطـاء ولكنها أردفت ذلك بقولهـا إنها كانت تفضل أن يســتجيب إلى رغبتها ويعطيها جيشــاً. وكانت لا تني تـردد ذلك القول مهما بلغت العطية. وأخيراً أرســل لهــا افلثون مغزلاً ذهبيــاً وثقالة ومعهما صوف. وقال لها – عندما كانت تردد عباراتها الســابقة – إن هذه، وليست الجيوش، هي الهدايا الخليقة بالنساء.

فقرة 163

أركسيلاوس يستنجد بدلفي مرة أخرى

وفــي هــذه الأثنــاء كان أركســيلاوس في ســاموس يقوم بحشــد كل من يستطيع حشدهم من الرجال، واعداً إياهم بتوزيع الأرض عليهم من جديد.

وحــين كان يجري جمع جيــش كبير على هذا النحو ارتحل أركســيلاوس إلى دلفي ليستنبئ الوحي عن عودته، فأعطته الكاهنة هذا الجواب:

" لثمانية أفراد من أسرتك،
أربعة منهم يدعون باتوس
وأربعة يدعون أركسيلاوس
يمنح لوكسيان ملك قورينا..
وينصحكم بأن لا تتجاوزوا ذلك
وأما أنت فعد إلى وطنك
وعش هناك في سلام.
وإذا وجدت الفرن مليئاً
بقدور الفخار فلا تحرقها.
بل دعها وشأنها دون
أن تمسها بسوء.
وإذا أحرقت القدور
في الفرن فلا تذهب إلى

المكان المحاط بالبحر
لأنك أن فعلت فستقتل
أنت نفسك.. وكذلك
أفضل ثور في القطيع"1.

وكانت هذه النبوءة التي أبلغتها الكاهنة أركسيلاوس.

فقرة 164

نبوءة دلفي تتحقق

بيد أنه ما أن عاد أركســيلاوس والســامونيون إلى قورينا، وقبض على زمام الأمور فيها حتى نســي النبوءة وطالب بالقصاص من خصومه الذين تســببوا فــي هروبه، وقــد رحل بعــض هؤلاء من البــلاد كليــة. أما بعضهــم الأخر فان أركســيلاوس ألقى القبض عليهم وأرسلهم إلى قبرص ليلقوا حتفهم هناك. وإذ طوحت الرياح بهؤلاء إلى (كنيدوس)2 فان الكنيديين أنقذوهم وأرســلوهم إلــى ثيرا. وفر فريــق آخر من القورينيين ينشــدون النجاة فــي حصن كان يملكه شخص يدعى (أغلوماخوس). فكوّم أركســيلاوس أخشاباً حول الحصن وأحرقه بمن فيــه. وعندما أدرك كان فحوى نبوءة دلفي التــي حظرت عليه إحراق القدور إذا وجدها في الفرن تحاشــى عامداً الذهاب إلى مدينة القورينيين خشية الموت الــذي أنبــئ به ، وذلك ظنــاً منه أن قورينا كانــت المكان الذي يحيــط به البحر. ولما كان أركســيلاوس متزوجاً مــن إحدى قريباته – وهي ابنــة ألازير3 ملك برقة – فانه ارتحل إليه. ولكن فريقاً من البرقيين ونفراً من القورينيين المنفيين تعرفوا

1 - قارن: ديودوروس الصقلي؛ الكتاب الثامن؛ فقرة 30 – حيث يقول: إن ســبب غضب الكاهنة منه أنه لم يتبع ســبيل باتوس الأول في الحكم كما أن خلفاء باتوس استحوذوا على أموال الشعب، ولم يحترموا الآلهة وصاروا طغاة جبارين.
2 - Cnidus مدينــة فــي (كاريا) بآســيا الصغرى. وكانــت إحدى المدن الدوريــة التي بعثت زميلتها (مانتنيا) المســرع (ديموناكس) إلى قورينا. انظر فقرة 161.
3 - Alazir وهو اســم ليبي مثل اســم (أدكران) الذي ســبق ذكره. واسم (انابو) وهو اسم زعيم قبيلة ليبية استعانت به (آرتافيلا) القورينية للتخلص من طغيان زوجها.

عليه وقتلوه وهو يسير في السوق العام، كما قتلوا حماه الازير. وهكذا فان أركسيلاوس، سواء عن قصد أم عن غير قصد، لم يدرك معنى النبوءة وحقق ما سطره القدر.

فقرة 165

أعمال فرتيمي

وفي أثناء إقامة أركسيلاوس في برقة – بعد أن هيأ لنفسه أسباب تهلكته – كانت أمه فريتيمي تباشر سلطته في قورينا، حيث كانت تدير دفة شئون الدولة وترأس اجتماعات مجلس الشورى1. لكنها عندما علمت بموت ابنها في برقة فرت إلى مصر معتمدة على الخدمة الطيبة التي أداها أركسيلاوس لقمبيز بن قورش، فقد كان أركسيلاوس هذا هو الذي سلم قورينا إلى قمبيز ووافق على أن يدفع له الجزية، ولذلك فان فريتيمس – عند وصولها مصر – توسلت إلى أريادنس2 أن ينتقم لها بدعوى أن ابنها تحالف مع الميديين3.

فقرة 167

الفرس يغزون ليبيا

وفي هذه الأثناء أخذت الشفقة أرياندس، وهو الذي أتحدث عنه، على فريتيمي وأعطاها جميع القوات الفارسية في مصر، البرية منها والبحرية، وعين (أماسيس) المارافي قائداً للجيش، و(بادرس) الذي هو من قبيلة (الباسارغداي)4 قائداً للأسطول. لكن أرياندس بعث، قبل أن يتحرك الجيش،

1 - البولي Poli وهو يشبه مجلس الشورى الديموقراطي الأثيني ذا الخمسمائة عضو. وهو ربما كان قد خرج إلى الوجود بعد ثورة ديمقراطية على الحزب الاوليغركي المتسلط.
2 - Aryandes كان نائب دارا في مصر، ثم قتله بتهمة الثورة، لكن السبب – كما يقول هيرودوتس فقرة 166 – هو انه حاول منافسة دارا بأن صك نقوداً تضاهي نقوده في النقاوة، بل ليس هناك ما يضاهي النقود الاريانديه في الصفاء.
3 - Medes يعني الفرس.
4 - باسار غاداي مدينة في فارس أنشأها قورش سنة 549 ق.م. واهتم بها ملوك فارس فازدهرت واغتنت، ثم سقطت في يد الأسكندر الأكبر سنة 336 ق.م.

رسولاً إلى برقة ليستعلم عمن قتل أركسيلاوس. فرد البرقيون بأن ذلك كان من عمل المدينة كلها، بسبب الإساءات الكثيرة التي أنزلها بهم أركسيلاوس. وما إن سمع اريانديس هذا حتى أرسل الحملة مع فريتيمي.

وقد كانت هذه الذريعة التي انتحلت لإرسال الحملة. لكنها في رأيي أرسلت للسيطرة على ليبيا، ذلك أن القبائل الليبية كثيرة ومتعددة الأنواع. وعلى الرقم من أن قلة منها كانت رعايا(دارا) فإن أكثرها لم يعنها من أمره شيء.

فقرة 168

الأدورماخيداي

أما عن مواطن الليبيين فإن موطن قبيلة (الأدورماخيداي)1 أقرب هذه المواطن إلى مصر.وقد اقتبست هذه القبيلة أغلب عاداتها عن المصريين. غير أن ملبسها يماثل ملبس القبائل الليبية الأخرى. وتضع نساؤها حلقات برونزية حول الساقين كلتيهما كما يطلقن شعورهن. وعندما تبلغ العذارى سن الزواج فإن للملك أن يزيل عذرية من يستحسنها منهن. ويمتد موطن قبيلة الأدورماخيداي من مصر إلى المرفأ المسمى (بلونوس)2.

فقرة 169

الجيليغاماي

وتلي هذه القبيلة (الجيليغاماي)، وهي تقطن الإقليم الواقع إلى الغرب حتى جزيرة (افرودسياس)3. وقبل الوصول إلى هذه الجزيرة تقع قرب الشاطئ جزيرة بلاتيا – وهي التي استعمرها القورينيون – ويوجد على الشاطئ ذاته المرفأ المسمى (منيلاوس)4، وكذلك أزيريس التي كانت مقراً للقورينيين. ومن

1 - Adormachidae. ويحدد Scylax موطنهم في ما يلي مصر غرباً حتى ابيس (زاوية الرخم شرق السلوم).
2 - Plynus. سيدي البراني الآن، في الصحراء الغربية داخل مصر.
3 - Aphrodisias. جزيرة كرسة غرب درنة.
4 - Menelaus. ميناء صغير شرق خليج بومبا.

هنا يبدأ إقليم (السلفيوم)1. وهو يمتد من جزيرة بلاتيا حتى مدخل خليج سرت. وهذه القبيلة تماثل القبائل الأخرى في عاداتها.

فقرة 170

الاسبوستاي

وتلي الجيلغاماي غرباً قبيلة الاسبوستاي2 وهي تقطن إلى الداخل وراء قورينا ولا يصل موطنها ساحل البحر. لأن الساحل جزء من إقليم قورينا – والاسبوستلس يستخدمون أكثر من أي قبيلة أخرى عربات ذات أربعة جياد. وقد دأبوا على تقليد أغلب عادات القورينيين.

فقرة 171

الآوسخيساي

وتلي قبيلة الاسبوستاي غرباً قبيلة (الآوسخيساي)3 وهي تقطن إلى الداخل وراء برقة. ويلاصق موطنها ساحل البحر عند (يوسبريدس)4: وتجاه منتصف إقليم الآوسخيساي تقريباً تقطن قبيلة (البكالس) الصغيرة. ويمتد إقليمها حتى البحر عند (توخيرا)5 وهي بلدة تقع في إقليم برقة. وعادات هاتين القبيلتين هي نفس عادات القبيلة التي تقطن إلى الداخل وراء قورينا6.

فقرة 172

النسامونس

ويلي إقليم الآوسخيساي غرباً إقليم زاخر بسكانه من قبيلة (النسامونس)1

1 - Silphium. قارن: بليني؛ الكتاب التاسع عشر. فقرة 15.
2 - Asbystae. وحكم هيرودوتس بأنهم دأبوا على تقليد عادات القورينيين يعني أنهم تأغرقوا.
3 - Auschisae وهم الذين بنيت مدينة (برقة) في أرضهم.
4 - Euhesperides بنغازي الآن.
5 - Tauchera طوكرة.
6 - يقصد الأسبوستاي.

وهم في الصيف يتركون قطعانهم بجانب البحر ويذهبون إلى منطقة في الداخل تدعى (أوجلة)2 ليجمعوا التمور من أشجار النخيل التي تنمو هناك بكثرة عظيمة وتثمر جميعها. وهم يصيدون الجراد ثم يجففونه في الشمس، وبعد أن يطحنوه في اللبن ويشربونه. ومن عاداتهم أن يتخذ كل رجل عدة زوجات. وهم يباشرون النساء دون قيد أو ضابط. على نحو ما يفعل رجال قبيلة (المساجيتاي)3. إذ تُغرس عصاً أمام المسكن ثم يتعاشرون. وعندما يتزوج رجل من النسامونس للمرة الأولى فانه يجب على العروس – طبقاً للعرف – أن تضاجع في الليلة الاولى واحداً تلو الآخر من المدعوين. ويعطيها كل رجل بعد ذلك أية هبة أتى بها من بيته4. أما طريقتهم في القسم فهي أنهم يضعون أيديهم على قبور الرجال الذين اشتهروا بأنهم كانوا عدلاً وأحسنهم خُلقاً ثم يقسمون بهؤلاء الرجال. أما طريقتهم في استطلاع الغيب فهي أنهم يذهبون إلى أضرحة أسلافهم حيث يقيمون الصلوات ثم ينامون ويعتبرون كل ما يأتيهم من الأحلام وحياً. وهم يتبادلون المواثيق بأن يشرب احدهم من يد الآخر. فان لم يجدوا سائلاً اخذوا من تراب الأرض ولعقوه.

فقرة 173

البسولوي

وعلى حدود موطن النسامونس يقع موطن (البسولوي)5 وهم الذين اندثروا على هذا النحو: ذلك انه بفعل الرياح الجنوبية جفّ ما في صهاريجهم

1 - قارن بليني، الكتاب الخامس فقرة 5.
2 - Augila والمقصود مجموعة واحات جالو وأوجلة الآن.
3 - Massagetae وهو اسم عام كان يطلقه هيرودوتس على القبائل التي كانت تعيش شرقي ساحل بحر قزوين. وقد قتل قورش الأكبر ملك فارس – طبقاً لبعض الروايات – في أثناء حملة له هنالك (انظر: هيرودوتس. الكتاب الأول فقرة 204-226- الكتاب الرابع فقرة 11).
4 - قارن ما يذكره أرسطو في كتاب (السياسة) ص 32 من طبعة Everyman's Library رقم 605 من شيوعية النساء في أعالي ليبيا، ومن المرجح أنه ينقل عن هيرودوتس. وقد فند مصطفى عبد العليم هذا القول في كتاب (دراسات في تاريخ ليبيا القديم). قارن أيضاً: بليني. الكتاب الخامس فقرة 8.
5 - Psylloi أو Psylii قارن: بليني – الكتاب الخامس فقرة 4 والتعليق.

مـن مياه. ولـم يعد هناك ماء في كل أنحاء موطنهم الواقع في إقليم سـرت. وبعد أن تشـاوروا مع بعضهم البعض سـاروا نحو الجنـوب (وأنا أحكي القصة كمـا يرويها الليبيون) وعندما توغلوا في الصحـراء الرملية ردمتهم ريح عاتية قادمة من الجنوب. وهكذا انقرضوا تماماً واستولى النسامونس على إقليمهم.

فقرة 174

القمفزانتس

وفيمـا يلي هؤلاء إلى الداخل صوب الجنوب يقطن (القرامانتس)1 في أرض الوحـوش الضارية. وهم يتحاشـون رؤية الناس وصحبتهم، ولا يملكون أسـلحة للحرب. كما لا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم.

فقرة 175

المكاي

ويقيـم هؤلاء إلى الداخل عن موطن النسـامونس، وهـو الذي يجاوره على ساحل البحر غرباً موطن (المكاي)2. وأهل هذه القبيلة يحلقون رؤوسهم بحيث يزيلون تماماً كل شـعرهم عدا عفـرة يتركونها على قمة الـرأس لتنمو3. وهم يحملون في الحرب دروعاً مصنوعة من جلود النعام ويصب نهر (كينوبس)4 في بحرهـم بعـد أن يجتاز موطنهم قادماً من تل يدعى (تل الحسـان). وتنمو على هـذا التـل أحراش كثيفة على حـين أن بقية ليبيا التي تحدثـت عنها عارية من

1 - صحة اسـمهم (القمفزانتس Gamphazantes) قارن: بليني الكتـاب الخامس فقرة 8 وقارن: هيرودوتس. فقرة 183 – مـن الكتـاب الرابع. حيث يتحدث عـن القرامنتس حديثاً يخالف حكمـه هذا. يظهر فيه القرامنتـس أمة محاربة. وواضح إن هناك تشـويهاً طرأ على نص هيرودوتس في هذه الفقرة التي أمامنا. فجاء اسـم القرامنتس بدلاً من اسـم القمفزانتس وهم المقصودون. ويبدو أن موطن هذه القبيلة المسـالمة كان في فزان Phazania كما يتضح من اسـمهم (قم – فزان – تس Gam/ Phazan/ Tes).

2 - Macae ويعين سـكيلاس منازلهم من نصب الأخوين فلايني (القوس) إلى نهر كينوبس (كعام) وهم الذين أعانوا القرطاجنيين على إخراج (دوريوس الاسبرطي) من مستعمرته في وادي كعام أواخر القرن السادس ق.م.

3 - هذه العادة لا تزال سارية في بعض القبائل الليبية حتى اليوم – ويسمونها (الشوشة).

4 - Cinyps هو وادي كعام. انظر: هيرودوتس الكتاب الرابع فقرة 198 والتعليق.

الأشجار. ويبعد هذا التل عن البحر بمائتي فرسخ1.

فقرة 176

الجيندانس

ويلـي موطن المكاي غرباً موطن قبيلـة (الجيندانس)2 حيث تضع كل امرأة حول سـاقيها حلقات كثيرة من الجلد. لأن المرأة (كما يقال) تضع حلقة عن كل رجل اتصلت به. وتشـتهر تلك التي تضع أكبر عـدد من هذه الحلقات بأنها خير نساء القبيلة. لأنه أحبها أكبر عدد من الرجال.

فقرة 177

اللوتوفاجي

ومن موطن الجيندانس تبـرز في البحر رأس3 يعيش عليها (أكلة اللوتس)4 وهـو غذاؤهـم الوحيـد. وحجم ثمـرة اللوتس في حجـم التوت البـري. وحلاوة مذاقهـا مثل حـلاوة مذاق الرطب. وأكلـة اللوتس لا يأكلونه فحسـب بل هم يتخذون منه نبيذهم أيضاً.

فقرة 178

المخلويس

ويلي موطن الجندانس. على امتداد السـاحل. موطن (المخلويس) وهم أيضاً يسـتعملون اللوتـس ولكـن على نطـاق أضيق ممـا يفعل القوم الذين سـلف ذكرهم. ويمتد موطن المخلويس حتى نهر كبير يدعى (تريتون)5 ويصب في بحيرة

1 - أي حوالي 25 ميلاً.

2 - Gindanes وفي ظن Bates (الليبيون الشرقيون ص 52) أنهم قسم من أكلة اللوتس (فقرة 177).

3 - لعلها كانت رأس زارزيس ** أو زوخيس Zochis بالقرب من خليج سرت الصغرى (المراجع).

4 - ثمرة الـ Rhamnus Lotus التي تنمو في هذا الجزء من أفريقيا. ويقال أنها تؤكل، ولكنها ليسـت لذيذة إلى درجة تبرر وصف هوميروس لها بأنها في (حلاوة العسل) ولم تحدد هذه الشجرة العجيبة تحديدا دقيقاً إلا أن المرجح أنها ضرب من النبق. انظر بليني. الكتاب 13 – فقرة 32.

5 - Triton (طرف الماء) إلى الجنوب الغربي من خليج تونس. (المراجع).

(تريتونيس)1 العظمى، حيث توجد جزيرة تسمى (فلا) ويقال إن وحياً أمر (اللاكيدايمونيين)2 بأن ينشئوا لهم محلة على هذه الجزيرة.

فقرة 179

وتروى كذلك القصة التالية:- يقال انه بعد بناء السفينة (آرغو)3 عند سفح جبل (بيليون)4 وضع "ياسون" في السفينة قرابين عظيمة ومنضدة برونزية ذات ثلاث أرجل، وأقلع بالسفينة دائراً حول شبه جزيرة "البلوبونيز"5 قاصداً دلفي.

ياسون يقابل تريتون

بيد أنه في أثناء رحلته عندما كان تجاه رأس "ماليا"6 هبت ريح شمالية وطوحت به إلى ليبيا، وقبل أن تتكشف له معالم الأرض كانت السفينة قد توغلت في ضحاضح بحيرة تريتونيس. وتقول القصة أن "تريتون"7 ظهر له هناك، قبل أن يتمكن من الخروج من هذه الضحاضح، وأمره بأن يعطيه المنضدة واعداً إياه بأن يرشد ملاحيه إلى المخرج - إذا فعل ذلك - ويدعهم جميعاً يذهبون إلى حال سبيلهم دون أن يمسهم ضرر.

1 - Tritonis شط الجريد وشط الحميمات.
2 - المقصود الاسبرطيون.
3 - Argo وهي سفينة بنيت على اسم Argus بن Prixus، أبحر فيها خمسون بطلاً أسطورياً من أبطال الإغريق الأقدمين على رأسهم Jason بحثاً عن "الجزيرة الذهبية". وكانت السفينة آرغو وربانها ياسون وقصة غرامه بمحبوبته ميديا Medea مبعث إلهام الكثير من الشعراء والكتاب ومصدراً لا ينضب في عالم الأساطير البطولية اليونانية. أنظر مثلاً:

Apollonius Rhodius. Argorautica.
J. R. Bacon, Voyages of The Argonauts.

4 - Pelion جبل يزيد ارتفاعه عن 5300 قدم في إقليم تساليا. وكان على قمته معبد مكرس لزيوس، ومن أشجاره بنيت سفينة الآرغو هذه.
5 - Jason وهو في الاساطير ابن آيسون وقائد بحارة سفينة الآرغو.
6 - Malea رأس في الجنوب الشرقي بالمورة. وهو ركن خطير بالنسبة للسفر بسبب هبوب الرياح العاتية فجأة عند ساحل لا مرفأ فيه. وقد اشتهر بهذا منذ عهد هوميروس حتى عصر الكتاب البيزنطيين. ولكن هذه المخاطر ليست سوى تصاوير أدبية، فإن هناك طرقاً وممرات في هذا البوغاز الضيق بين ميليا وكيثرا.
7 - هو شيخ البحر (بوسلامة) عند اليونان أو أساطير ما قبل اليونان. وليس للاسم معنى وان يكن يعني شيئاً كالماء في اليونانية قبل العصر الهليني. ويظل تريتون شخصية غامضة تظهر غالباً في زخارف السفن والأعمال الفنية الأخرى. ويقال بأن تريتون ظهر بشكل بشري بحارة الآرغو ناوتكا وأعطاهم قطعة طين عربوناً لتملكهم قورينا. ويذكر البعض أنه رأى تريتون هذا، ولعله سبع البحر أو ما يشبهه.

تريتون

وعندما فعل ياسون ما أمر به أرشدهم تريتون إلى المنفذ من الضحاضح ووضع المنضدة في معبده. ولكنه أدلى - قبل ذلك - بنبوءة عن المنضدة على مسمع من رجال ياسون، وفحوى هذه النبوءة أنه إذا أفلح أحد من سلالة بحارة السفينة آرغو في اخذ المنضدة فلابد أن تنشأ مائة مدينة إغريقية على ضفاف بحيرة تريتونيس. ويقال إن أهل البلاد الليبيين عندما سمعوا ذلك اخفوا المنضدة.

فقرة 180

الأوسيس

ويلي موطن الخلوس موطن "الأوسيس"1. ويفصل نهر تريتون بين هاتين القبيلتين، وهما تنزلان على ضفاف بحيرة تريتونيس. ويطيل أفرادهما شعر رؤوسهم، غير أن الخلوس يرسلونه إلى الخلف بينما يسدله الأوسيس إلى الأمام. وكلهم يقيمون حفلاً سنوياً للربة "أثينا"2 تنقسم فيه عذاراهم فريقين يحارب أحدهما الآخر بالحجارة3 والهراوات وبهذا "على حد قولهن" يظهرن إجلالهن - على نمط الأسلاف - نحو تلك الربة الوطنية التي ندعوها نحن أثينا. وتعتبر الفتيات اللاتي يمتن متأثرات بجراحهن غير أبكار. وقبل أن تبدأ الفتيات في القتال يختار القوم جميعاً أملحهن ويلبسونها خوذة "كورنثية"4 وعدة حرب إغريقية ثم يركبونها عربة ويجرونها على ساحل البحيرة كلها. ولا أستطيع

1 - Ausees أقصى الليبيين البدو الرعاة غرباً.
2 - Athena هي الالهة العذراء عند اليونان، كما كانت ربة الحكمة والحرب والزواج والنبات، وهي تسمى كذلك بالاس Pallas وكانت تصور في عدة حرب كاملة تحمل غصن زيتون وبجانبها حية، ولعل غصن الزيتون والحية انحدرا من عبادة قدماء اليونان للأشجار والحيات.
3 - كان الليبيون قد مهروا في رشق الحجارة وكانت سلاحهم ضد الأعداء.
انظر J. A. Harrison Mythology وقارن: ديودوروس الصقلي. الكتاب 3 فقرة 49.
4 - نسبة إلى كورنتة Chorinth وهي مدينة إغريقية تبعد ميلاً ونصف الميل جنوب البرزخ الذي يصل البلوبونيز بأواسط اليونان.

القول بأي سلاح كانوا يجهزون عذاراهم قبل أن يأتي الإغريق ليسكنوا بالقرب منهم، لكنني افترض أن السلاح كان مصريا. لأني أعتقد أن الإغريق اخذوا الدرع والخوذة عن نصر. أما أثينا فأنهم يقولون أنها كانت ابنة بوسيدون والبحيرة التريتونية، وأنها – مغضبةً بسبب ما من والدها – منحت نفسها لزيوس1 الذي جعلها ابنته هو. وهذه هي قصتهم. واتصال الرجال بالنساء عندهم لا ضوابط له وعلى نمط ما تفعل السوائم. فهم يعاشر بعضهم بعضا. وعندما يبلغ طفل أي امرأة أشدّه فان الرجال يعقدون اجتماعاً في مدى ثلاثة أشهر ويقررون إن الولد هو أبن ذلك الرجل الأكثر شبهاً له.

فقرة 181

لقد تحدثت الآن عن كل الليبيين البدو الرعاة الذين ينزلون على ساحل البحر. وإلى الداخل بعيداً عن مواطن أولئك الليبيين يوجد ذلك الإقليم الليبي الذي ترتاده الوحوش الضارية. ويوجد إلى ما وراء ذلك شريط رملي يمتد من (طيبة)2 في مصر حتى (أعمدة هرقل)3 وعند مواقع على هذا الشريط، يبعد كل منها عن الأخر بمسافة يستغرق قطعها عشرة أيام، توجد كتل ضخمة كثيرة من الملح على هيئة تلال صغيرة، وعلى قمة كل تل نبع يقذف عالياً من وسط الملح بماء بارد عذب. وحول هذه التلال يقيم أولئك الذين توغل مواطنهم إلى أبعد مدى تجاه الصحراء إلى ما وراء إقليم الوحوش الضارية.

وأول جماعة يلقاها القادم من طيبة بعد رحلة تستغرق عشرة أيام هي

1 - Zeus رب الأرباب عند اليونان، كان مقره قمة جبل الاولب. وهو في الاساطير اليونانية كان ابن كرونوس أصغر التيتان ** (أم الارباب وأخاً لبويسدون، انظر فقرة 50. وكان يدعى أبو الالهة والبشر وأقوى الخالدين، كنا كان مسلحاً بالبرق والرعد ودروعه المشهورة وهو عرف عند الرومان باسم جوبتر Jupiter .

2 - Thebes الاقصر الان في صعيد مصر.

3 - إن وصف هيرودوتس صحيح إلى الدرجة التي يشير فيها إلى حقيقة وجود طريق قوافل لا شك فيه بين مصر وشمال غرب افريقيا، حيث يجب ان تكون بداية الطريق هي ** وليست طيبة. غير أن المسافات التي يقررها بين الاماكن التي يمكن التعرف عليها خاطئة تماماً، ولا يحتمل الوصف برمته النقد. ليرجع القارئ إن أراد مزيداً من التفاصيل إلى طبعات: Rawlinson و How and Wells Macan

جماعة الأمونيين الذين يعبدون زيوس طيبة1 إذ أن لتمثال زيوس في طيبة، كما قلت من قبل، رأس كبش.

ينبوع الشمس والأمونيون

وعند الأمونيين نبع آخر يكون ماؤه دافئاً عند الفجر، ثم يزداد برودة وقت انعقاد السوق ويغدو بارداً عند الظهيرة – وفي هذا الوقت بالذات يروون جنائنهم. وكلما تقدم النهار قلت برودة الماء. حتى إذا ما غربت الشمس يأخذ الماء في الدفء وتزداد درجة حرارته تدريجياً، وتبلغ ذروتها عند منصف الليل فيغلي الماء حينذاك الماء ويفور. وبعد منتصف الليل تبدأ حرارة الماء في الهبوط تدريجياً حتى الفجر. ويدعى هذا النبع (نبع الشمس)2.

فقرة 182

أوجلة

وعلى بعد مسيرة عشرة أيام أخرى من الآمونيين، على امتداد الشريط الرملي، يوجد تل ملح مثل تل الآمونيين وينابيع مياه، حيث يعيش الأهالي، ويدعى هذا المكان أوجلة. ومن عادة النسامونس أن يأتوا إلى هذا المكان ليجمعوا ثمار النخيل.

فقرة 183

وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى من أوجلة يوجد تل ملح آخر وينابيع مياه وأشجار نخيل كثيرة محملة بالثمر، كما هي الحال في الأماكن الأخرى.

1 - المقصود هنا إله سيوه (آمون) وقد ناقش Bates في كتابه (الليبيون الشرقيون) هذا الموضوع. ومن رأيه أن هناك فرقاً بين زيوس طيبة – أو آمون طيبة – وبين زيوس سيوه، حتى أن قمبيز الثالث ترك الأول دون أن يمسه بسوء وأرسل حملة ضد الثاني. وكان هيرودوتس عادة يسمى إله الليبيين في سيوه (زيوس آمون) قارن: (الكتاب الأول فقرة 46، الثاني فقرة 18، 32، الثالث فقرة 25) وقد كان هناك تأثير متبادل بين العبادتين الليبية والمصرية على كل حال.

2 - قارن: بليني – الكتاب الخامس. فقرة 5. وانظر: ديودوروس الصقلي (الكتاب الثالث فقرة 57، الكتاب السابع عشر فقرة 50).

القرامانتس

ويعيش هنا قوم كثيرو العدد يدعون (القرامانتس)[1]، وهم يزرعون التربة التي بسطوها فوق الملح. ومن هنا تبدأ أقصر طريق إلى موطن أكلة اللوتس، وهو على بعد مسيرة ثلاثين يوماً. وعند القرامانتس توجد الثيران التي تمشي القهقري حين ترعى. والسبب إن قرونها محنية إلى الأمام، ولذلك فأنها تمشي إلى الوراء أثناء رعيها غير قادرة على السير إلى الأمام نظراً إلى أن قرونها ستنغرز عندئذ في الأرض، وهي فيما عدا ذلك كالثيران الأخرى، غير إن جلدها أغلظ واصلب ملمساً. ويمضي هؤلاء القرامانتس في عرباتهم ذات الخيول الأربعة يطاردون الأثيوبيين[2] سكان الكهوف، إذ إن الأثيوبيين أسرع في الجري من أي قوم بلغتنا أخبارهم. وهم يعيشون على الثعابين والسحالي وأشباه هذه الزواحف. ولا يشبه كلامهم أي كلام آخر في العالم، بل هو مثل زعيق الخفافيش.

فقرة 184

الأترانتس

وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى من مواطن القرامانتس يوجد أيضاً تل ملح وماء. ويدعى القوم الذين يقطنون هناك (الأترانتس). وهؤلاء القوم هم الوحيدون المعروفون لنا الذين لا أسماء لأفرادهم، إذ يدعى الناس جميعاً (أترانتس) لكنه ليس لأحد منهم اسم خاص به. وعندما تكون الشمس في

1 - Garamantes هم سكان فزان الأقدمون. كانت لهم سطوة على الصحراء ودولة، وعاصمة ملكهم هي ما يعرف بجرمة. وهيرودوتس هو أول من أشار إليهم وخلط بينهم وبين القمفزانتس فقرة 174. تميز القرامانتس بعرباتهم ذات الخيول الأربعة التي نقلها عنهم اليونان، وهناك رسوم كثيرة وجدت في فزان تمثلها. وقد كان القرامانتس هم الوحيدون الذين يستطيعون اختراق الصحراء جنوباً في مطاردتهم للحيوانات مثل الفيلة والنعام ونحوها (انظر: لو كان الساموساتي. المحاورات) وكان بينهم وبين الرومان صراع طويل دارت فيه الحرب سجالاً بين الفريقين حتى انتصر عليهم كورنيليوس بالبوس سنة 19 ق.م. (انظر بليني الكتاب 5 فقرة 5) قد امتد نشاط القرامانتس إلى الشمال وساعدوا لبدة وأويا (طرابلس) على الثورة ضد الرومان في عهد (فسباسيان) سنة 69 م.
ويرجح البعض أن التوارق الموجودين حالياً بالصحراء الليبية هم نسل أولئك القرامانتس الأقدمين.

2 - Etheopians ولعلهم سكان جبال تبستي.

كبد السماء يشتمها هؤلاء ويسبونها بأقذع السباب. لأن أشعتها المحرقة تؤذي الناس وأرضهم. وبعد مسيرة عشرة أيام أخرى يوجد تل ملح آخر وماء وقوم يعيشون هناك ويوجد بالقرب من هذا الملح جبل يسمى (أطلس) ذو شكل دقيق دائري تماماً. ويقال أنه يبلغ من العلو حداً لا ترى معه العين ذراه. لان السحاب يغطيها دائماً شتاء وصيفاً. ويسميه أهل البلاد (عامود السماء). وقد اكتسب هؤلاء الناس اسمهم (اطلنتس) من هذا الجبل. ويقال أنهم لا يأكلون كائناً حياً ولا يرون أحلاماً في منامهم.

فقرة 185

أنني أعرف وأستطيع أن أورد أسماء جميع الأقوام الذين يقطنون على الشريط الرملي حتى موطن الاطلنتس لكن ليس ابعد من ذلك. وإنما الذي أعرفه أن الشريط الرملي يصل إلى أعمدة هرقل وما بعدها. ويوجد على الشريط منجم ملح كل مسيرة عشرة أيام وأناس يعيشون هناك.

بيوت الملح

وبيوتهم جميعاً مشيدة بكتل الملح. لأن حتى هذه أيضاً أجزاء من ليبيا لا ينزل فيها المطر. إذ إن الجدران – المكونة من الملح – ما كانت لتستطيع الوقوف ثابتة لو كان هناك مطر. والملح هناك أبيض وارجواني معاً. وخلف هذا الشريط توجد الأجزاء الجنوبية والداخلية من ليبيا التي هي صحراء جافة حيث لا وحوش هناك أو أمطار أو غابات. وهذا الإقليم جاف جفافاً مطلقاً.

فقرة 186

ديانة الليبيين

وهكذا يكون الليبيون – من مصر حتى البحيرة التريتونية – بدواً رعاةً يأكلون اللحم ويشربون اللبن وللسبب نفسه. الذي يجهر به المصريون

كذلك، هم لا يلمسون لحم الأبقار ولا يربون الخنزير. وتعتبر نساء قورينا أيضاً من الإثم أن يأكلن لحم الأبقار، وذلك من أجل (ايزيس)[1] مصر. بل أنهن يكرمنها أيضاً بالصيام والاحتفالات. وترفض نساء مدينة برقة كذلك أن يأكلن لحم الخنزير والأبقار.

فقرة 187

من عادات الليبيين الصحية

وهذه هي حال هذه المنطقة. لكن الليبيين غرب البحيرة التريتونية ليسوا بدواً رعاة، ولا يمارسون العادات نفسها، ولا يعاملون أطفالهم مثلما تعوّد البدو الرعاة أن يفعلوا. إذ إن من عادة كثير من الليبيين البدو الرعاة (ولا أستطيع أن أقول بدقة ما إذا كانت عادة الجميع) أن يأخذوا أولادهم عندما يبلغون الرابعة من العمر ويكووا عروق جلود رؤوسهم أو أحياناً عروق أصداغهم بدهن صوف الغنم، حتى لا يصاب الأطفال بعد ذلك أبداً بالبلغم الذي ينزل من الرأس. وهم يقولون إن هذا يجعل أطفالهم أصح. والحق أنه ليس في المعروف لدينا من الشعوب من هو في مثل صحة الليبيين. ولست استطيع القول بدقة ما إذا كان ذلك بسبب من هذه العادة، لكنهم أصح الناس بالتأكيد. وقد وجد الليبيون علاجاً لتوجع الأطفال من ألم الكي، وهو أن يطببوهم بترطيبهم ببول الماعز، وهذا ما يقوله الليبيون أنفسهم.

1 - Isis وهي في الديانة المصرية القديمة أوزيريس وأم حورس. وقد كان الليبيون يعبدونها، فقد كانت عبادة (سخت – حور) منتشرة بين الليبيين. وحور الليبي أرضعته وحضنته البقرة (سخمت) وقد استمرت عبادة البقر على مر الزمان على الحدود الليبية المصرية حتى برقة تحت اسم (هاتور) أو (ايزيس). انظر:
H. Kees. Ancient Egypt, F. & F. London 1960 P. 31
ونستطيع أن نفهم من هذا القول إن الإغريق الذين قدموا من ثيرا – ولم يكن معهم نساء – قد تزوجوا من نساء ليبيات حافظن على مقدسات قومهن من مثل الامتناع عن أكل لحم البقر وعبادة ايزيس والصيام لها وإقامة الاحتفالات من أجلها. وقد ذكر بندار Pindar في قصيدته البوثية التاسعة أن أحد أبناء (تيليسكراتس) القوريني تقدم إلى ملك الجيلغاماي طالباً يد أبنته. وكان عليه أن يشترك مع غيره من الإغريق والفرسان الليبيين في سباق يحظى الفائز فيه بالفتاة جائزة له. وكان الفائز هو (اليكسيداموس) الإغريقي، وقد حياه الفرسان الليبيون تحية النصر والفوز.

فقرة 188

إن طريقة البدو الرعاة في تقديم القرابين هي قطع جزء من أذن الضحية من أجل بواكير المحصول وإلقائه فوق البيت[1] وعندما يتم هذا يلوون عنق الضحية إلى الوراء.

ومن عاداتهم الدينية

وهم لا يقربنون لأرباب سوى الشمس والقمر، وهذه هي عادة الليبيين جميعاً. غير إن القاطنين منهم عند البحيرة التريتونية يقربنون لأثينا خاصة، ثم من بعدها لتريتون وبوسيدون[2].

فقرة 189

الإغريق يأخذون عن الليبيين الثياب والغناء والعربات

يبدو أن ثوب ودرع تماثيل أثينا نقلهما الإغريق عن النساء الليبيات، غير أن لباس النساء الليبيات جلدي وان عذبات دروعهن المصنوعة من جلد الماعز ليست ثعابين، بل هي مصنوعة من سيور جلد الحيوان. وأما في ما عدا ذلك الذي يطلق على درع أثينا ينم عن ان كساء تماثيل هذه الإلهة جاء من ليبيا، إذ أن النساء الليبيات يرتدين فوق ثيابهن جلود ماعز ذوات عذبات بعد نزع شعرها وتلوينها باللون الأحمر[3]. وقد غيّر الإغريق الاسم الليبي لجلود الماعز هذه إلى اسمها الإغريقي (آيجس)[4] أي الدرع، وأكثر من هذا فإن الغناء الطقسي[5] -

1 - هذه عادة كانت لا تزال سارية في البلاد الليبية حتى عهد قريب ويف عيد الأضحى ينتزع طحال الأضحية ويلصق على مدخل الدار.
2 - أنظر: الكتاب الثاني فقرة 50 والتعليق.
3 - في الأصل (بنبات الفوة). ومن الطريف أن نجد أن اللباس القومي الليبي (الجرد) نقله اليونان عن قدماء الليبيين واتخذوه لباساً. أنظر:
Kaj Birket – Smith
.The Paths of Culture. W. Uni. 1965, p. 183
4 - ربما كان Aegis درع أثينا التقليدي الذي كان على صدرها. ومن المحتمل إن محافظة الفن الديني أبقت للربة المحاربة الدرع المصنوع من جلد الماعز الذي كان واحداً من أقدم أشكال السلاح الإنساني.
5 - كانت كلمة Ololuge اليونانية عبادة لأثينا، وهي صيحة انتصار وبهجة. ولعلها ذات أصل شرقي وصلت بالتهليل السامي (هليلوجاه) أو هي ضرب من الزغاريد.

فيما أظن – ظهر أولاً في ليبيا، فان نســاء تلك البلاد يغنين غناءً مطرباً شجياً. ومن الليبيين تعلم الإغريق كيف يقودون العربات ذات الخيول الأربعة.

فقرة 190

دفن الموتى والمساكن

ويدفن البدو الرعاة – فيما عدا النسامونس – موتاهم بالطريقة الإغريقية. أما النســامونس فإنهم يدفنون موتاهم جالسين، فهم يحرصون على أن يكون الشـخص جالســاً حينما يسـلم الروح، فلا يموت ممداً على ظهـره، ومنازلهم مصنوعة من غاب تلتف حوله سـيقان البروق1 ويمكن نقلها من مكان إلى آخر. هذه هي عادات الليبيين.

فقرة 191

الماكسوس وما بعد نهر تريتون

وإلى الغرب من نهر ترتيون، وبعد موطن الاوســيس، تبدأ بلاد الليبيين الذين يفلحون الأرض ويقتنون البيوت، وهم يدعون (الماكسـوس)2 ويسـدلون شـعورهم الطويلة على الجانب الأيمن من رؤوســهم ويحلقون الأيسر، ويطلون أجسامهم بالقرمز. ويدعى هؤلاء أنهم نسـل الرجال الذيـن جاءوا من (طروادة)3. وبلادهم، وبقية الجزء الغربي من ليبيا أكثر وحوشــاً وأحراشــاً من بـلاد البدو الرعاة، ذلك لان الجزء الشـرقي من ليبيا الذي يسـكنه البدو الرعـاة، منخفض ورملي حتى

1 - أو السيراس، وهو نبات طويل الساق من فصيلة الغاب ويقال انه إذا غامت السماء أخضر.
2 - Maxyes ومن الممكن أن يكونوا هم (المشوش) الليبيون القدماء.
3 - هـي مدينـة (هيسـاوليك) الحديثة، تبعد أربعة أميال إلى الشـرق عـن المدخل الإيجي للدردنيـل. وقد توالت على طـروادة Troy عهـود كثيرة منذ العصـر البرونزي (ما قبل التاريخ) وكان بينها وبين أثينا معارك مشـهورة، وعن حروبها كتب هوميروس (الإلياذة) و(الأوذيسة). وقد تميزت حياة طروادة بالروح العسكرية القوية وصراعها مع جيرانها من أهل المدن اليونانية الأخرى. ومن الطريف أن يكون (إيراتوسثنيس) الجغرافي القوريني المعروف أول من حدد تاريخ وقوع الحرب الطروادية بعد أن ضاع هذا التاريخ في سدم الأساطير والخيالات.

نهـر تريتون. أما البـلاد التي تقع غربي هذا النهر – حيـث يعيش زارعو – الأرض فجبليـة للغابـة وملأى بالأحـراش والحيوانـات الضارية. ويوجد فـي تلك البلاد الأفاعي الضخمة والأسـود والفيلـة والدببة والصلال والحمـر القرناء. والناس الذين رؤوســهم رؤوس كلاب والذين لا رؤوس لهم وعيونهم في صدورهم – كما يقول الليبيون – والرجال المتوحشـون والنساء المتوحشات1 فضلاً عن مخلوقات أخرى ليست خرافية.

فقرة 192

تنوع الحيوانات في ليبيا

لكن لا يوجد شــيء من ذلك في بلاد البدو الرعاة. على ان هناك أنواعاً أخرى مـن الحيوان، مثل التباتـل البيضاء الكفل، والظباء، وبقـر الوحش، والحمر، وهي ليست الحمر القرناء بل تلك المسماة (الحمر التي لا تشرب) لأنها فعلاً لا تشرب أبـداً، والمهـا، وهي التي يصنع مـن قرونها جوانـب اللورة، والثعالـب، والضباع، والقنافذ، والكباش البرية، وأبنـاء آوى، والنمور الرقطاء، والديكتوس والبوروس2، وتماسيح البر التي طولها ثلاثة أذرع وهي أشبه ما تكون بالسحالي، ثم النعام، والأفاعي الصغيرة الوحيدة القرن.

كل هـذه الحيوانـات موجودة هناك، إلـى جانب تلك التي توجـد في أماكن أخـرى، فيمـا عدا الغزال والخنزيـر البري فقط، إذ ليس هناك مـن هذين النوعين شــيء في ليبيا. وتوجد في هذه البلاد ثلاثة أنواع من الفئران وهي: الفئران ذات القدمين3 وازيجيريس (وهـذه كلمة ليبية تفيد في لغتنا: التلال) ثم الفئران الخشــنة الشعر – كما تسـمى – وتوجد أيضاً في إقليم السلفيوم أبناء عرس

1 - انظر: ديودوروس الصقلي. الكتاب الثالث. فقرة 52 وما بعدها.
2 - The Dictys and Borys نوعان من الحيوان غير معروفين وإن كان هناك غزال إفريقي صغير يسمى Dik – dik.
3 - يعني الجرابيع.

وهي تشبه كثيراً أبناء عرس طرطسوس[1]. وعلى قدر علمنا – نتيجة لما بذلناه من أقصى الجهد في البحث – يتبين أن الحيوانات المتوحشة في بلاد البدو الرعاة كثيرة جداً[2].

فقرة 193

الزاوكس

ويلي موطن الماكسوس الليبيين موطن (الزاوكس)[3] وهم الذين تقود نسائهم عرباتهم إلى الحرب.

فقرة 194

الغوزانتس

ويلي موطن هؤلاء موطن (الغوزانتس)[4] حيث ينتج النحل عسلاً كثيراً والصناع المهرة أكثر من ذلك (كما يقال)[5]. ومن المؤكد أنهم جميعاً يطلون

1 - Tartessus في اسبانيا.

2 - أورد الفيلسوف اليوناني الأشهر (أرسطو) بعض حديث حيوانات ليبيا في كنابه Historia Animalium وهو يذكر – في حديثه عن الأفاعي – انه (في ليبيا – طبقاً لجميع الروايات – يكون طول الأفاعي شيئاً مرعباً. وينسج البحارة قصة بهذا الخصوص مرادها أن بعضهم هبط إلى الساحل ذات مرة فرأوا عظام عدد من الثيران، وأنهم تأكدوا من أن الأفاعي هي التي التهمتها؛ إذ بينما كانوا يبحرون جاءت تطارد زوارقهم مسرعة وقلبت أحد الزوارق وقضت على بحارته). وهو يضيف (وكقاعدة عامة فان الحيوانات المفترسة أشد ما تكون وحشية في آسيا وجرأة في أوروبا وتنوعاً في ليبيا. والواقع إن هناك قولاً مأثوراً هو: من ليبيا يأتي دائماً شيء جديد!) 606B.9-20 ويقول أرسطو: (ويوجد الصل في ليبيا، ومن جسده يعمل عقار يدعى "العفن Septic" وهو الترياق الوحيد المعروف لعضة الصل. وكذلك يوجد وسط السلفيوم حية يقال إن حجراً ما ينفع لعضتها؛ وهو حجر يؤتي به من قبر ملك قديم حيث يوضع الحجر في الماء ويشرب). هو يذكر أنه (لا يوجد في جميع أنحاء ليبيا الخنزير البري ولا الإبل ولا الماعز البري) لكن (يوجد فيها الكبش الطويل القرنين الذي يولد بهما، وليس الكبش فقط – كما يقول هوميروس – بل النعجة أيضاً). ويشير أرسطو إلى عجائب حيوانات ليبيا فيذكر أن حشرة زيز الحصاد (بوزنان) توجد بكثرة حول قورينا لكثرة أشجار الزيتون هناك كما يتزاوج في قورينا الذئب وأنثى الكلب (أو الثعلب) وينتج هذا التزاوج، وقد تحدث عن البجع المغني في ليبيا الذي يقاوم النسور ويغلبها. فإذا ما اقترب منه الموت طار إلى البحر وألقى بنفسه فيه وهو يغني لحناً حزيناً ويلقى بنفسه في البحر ميتاً).

3 - Zaueces في شرق تونس وقد كان استعمال العربات الحربية معروفاً عند الاسبوستاي والغايتولي والقرامنتس. بل إن اليونان عرفوا استعمال العربات الحربية التي تجرها أربعة خيول من الليبيين. قارن: هيرودوتس. الكتاب الرابع فقرة 189.

4 - Gyzantes وقد وضعهم سكيلاكس إلى الجنوب مما حدده هيرودوتس (انظر Bates صفحة 54) وأود أن أشير هنا إلى أن اشتهار الغوزانتس بتربية النحل وعمل العسل الصناعي ربما كان ذا علاقة بما يرويه ديودوروس الصقلي (الكتاب الرابع 51) عن إن ارستايوس ابن قورينا من ابوللو هو أول من علم الناس استخراج العسل من النحل وعمل الجبن من اللبن وزراعة شجر الزيتون، وهو ما تعلمه من مربياته الحوريات اللاتي أودع ابوللو ابنه لديهن في ليبيا.

5 - راجع الكتاب السابع فقرة 31 – حيث يذكر إن الناس يستخرجون العسل من القمح ونبات الطرفاء (وهو شجر أصناف منه الأثل) وهو يعني العسل الطبيعي.

أجسامهم بالقرمز ويأكلون القردة التي تتوافر بكثرة في جبالهم.

فقرة 195

جزيرة كوراويس

وغير بعيد عن ساحلهم (على حد قول القرطاجنيين) توجد جزيرة تدعى (كوراويس) طولها خمسة وعشرون ميلاً وضيقة العرض. ويمكن بلوغها من البر خوضاً. وهي ملأى بأشجار الزيتون وكروم الأعناب. ويقال ان في هذه الجزيرة بحيرة تستخرج فتيات البلاد التبر من طينها بري مدهون بالقار. ولا أعرف ما إذا كان هذا صحيحاً أم لا. فأنا أكتب ما يقال. ومع ذلك فإن كل شيء ممكن. إذ رأيت أنا نفسي القار يستخرج من ماء بركة في (زاكونتوس)[1]. ذلك أن البرك هناك كثيرة أعظمها تبلغ سبعين قدماً طولاً وعرضاً وقامتين عمقاً. وهم يدلون في هذه البركة قضيباً مع غصن آس مثبت في طرفه. ثم يخرجون القار الذي على الآس. وهو ذو رائحة كالإسفلت وأفضل – من حيث باقي خواصه – من قار (بييريا)[2] – ثم يصبونه في حفرة حفروها بقرب البركة.

وعندما يجمعون قدراً كبيراً في الحفرة يملأون منها أوعيتهم. وأي شيء يقع في البركة يحمله تيار تحت الأرض ويظهر ثانية في البحر الذي يبعد أربعة فراسخ تقريباً عن البركة. وهكذا تكون إذن كالحقيقة تلك القصة الخاصة بالجزيرة القريبة من الساحل الليبي.

1 - Zacynthus جزيرة في البحر الأيوني تدعى الآن زنته Zente. استعمرها البيولوبونيز أولاً ثم شكلت جزءاً من إمبراطورية أثينا.

2 - Pieria مدينة في آسيا الصغرى سميت باسم نبيلة تزوجها ابن ملك ملطية بمباركة افروديت. قارن كاليماكوس القوريني، "الأسباب Aetia" سلسلة Loeb ترجمة وتعليق G. A. Trypanis.

فقرة 196

القرطاجنيون يتاجرون مع الليبيين

وتحكى قصة أخرى كذلك على لسان القرطاجنيين. فهم يقولون: أن هناك مكاناً في ليبيا، حيث يعيش قوم خلف أعمدة هرقل، وإليه يأتون ويفرغون بضائعهم، وبعد وضعها بنظام على الشاطئ يذهبون إلى ظهور سفنهم ويوقدون ناراً ذات دخان؛ فيرى الأهالي الدخان. وعند مجيئهم إلى البحر يضعون على الأرض ذهباً ثمناً للبضائع وينسحبون بعيداً عنها. ثم يهبط القرطاجنيون إلى البحر ويتأملون الذهب، فإن بدا لهم ثمناً عادلاً أخذوه ومضوا في سبيلهم، وإن لم يكن كذلك ذهبوا ثانية إلى ظهور سفنهم ينتظرون. ويعود الأهالي ويزيدون الذهب حتى يرضى رجال السفينة. وفي هذه العملية (كما يقال) لا يخدع أي فريق منهما الآخر؛ فان القرطاجنيين لا يأخذون الذهب حتى يعادل قيمة سلعتهم، كما أن الأهالي لا يمسون البضائع حتى يأخذ رجال السفينة ذهبهم.

فقرة 197

في ليبيا شعبان أصيل ودخيل

هؤلاء هم كل الليبيين الذين نستطيع تسميتهم. أما بالنسبة لملوكهم فإن القسم الأكبر لم يكن يبالي بملك المبديّين1 في الوقت الذي أكتب عنه، كما لا يبالون به الآن. وأني لأضيف إلى ما ذكرته عن هذه البلاد أنه بقدر ما تسعفنا معلوماتنا تعيش هنا أربع أمم لا أكثر، اثنتان منهما أصليتان واثنتان غير أصليتين، فالليبيون في الشمال والأثيوبيون في جنوب ليبيا أصليون. أما الفينيقيون والإغريق فأنهم استقروا فيها فيما بعد.

1 - Medes هم أهل البلاد الجبلية جنوب غرب بحر قزوين. وكانت (ميديا) عاصمة الامبراطورية الميدية. وقد انضووا على يد قورش الاكبر – ملك فارس – تحت لواء فارس وأصبحوا من محاربيها.

فقرة 198

الحديث عن نهر كيونبس (كعام)

وفي كني أنه ليس هناك جزء من ليبيا ذو ميزة عظيمة تؤهله لان يقارن بآسيا أو أوروبا فيما خلا المنطقة التي تدعى بنفس اسم نهرها (كينوبس) 1. فان هذه المنطقة نظيرة لأخصب أراضي القمح في العالم، وتختلف تماماً عن بقية ليبيا، إذ إن التربة فيها سوداء وتمدها الينابيع بمياه وفيرة، ولا تخشى الجفاف، كما لا تضار من شآبيب الأمطار الغزيرة (فهذا الجزء من ليبيا مطير). وان محصولها من القمح لهو بنفس معدل محصول أرض (بابل)2 كما أن الأرض التي يسكنها (اليوهسبيرتاي)3 جيدة كذلك، فهي تغل على الأكثر مائة ضعف، لكن أرض كبنوبس تغل ثلاثمائة ضعف.

فقرة 199

ثلاثة مواسم للحصاد في قورينا

ويتمتع إقليم قورينا – وهو أعلى جزء من ليبيا التي يسكنها البدو الرعاة – بنعمة رائعة وهو إن له ثلاثة مواسم للحصاد، فأولاً تكون ثمار الأرض على ساحل البحر قد نضجت للحصاد والقطاف، وعندما تجمع هذه الحاصلات تكون حاصلات المنطقة الوسطى أعلى الساحل، تلك التي يدعونها التلال، يانعة للجمع. وما أن يجمع نتاج البلاد الوسطى حتى تكون حاصلات المنطقة

1 - Cinyps هو وادي كعام الآن، غربي مدينة زليتن بخمسة عشر كيلومترا.
ولعل كلمة (كعام) محرفة عن (كينوبس) هذه. وقد اشتهرت هذه المنطقة بخصبها حتى كانت هدفاً لدوريوس Dorius حينما تجاهله الاسبرطيون ولم يتخذوه ملكاً لهم. فذهب إلى ليبيا واستقر عند نهر "كينوب" "أفضل جزء في ليبيا" ليتخذ مستعمرة هناك مثلما فعل أهل ثيرا في قورينا من قبل. غير إن الليبيين والقرطاجنيين اتحدوا ضده وطردوه من هناك، فعاد إلى جزر البولوبونيز. (انظر: هيرودوتس: الكتاب الخامس – فقرة 42).
ولمارتيال (الشاعر الروماني 40 – 140 ق.م.) قصائد يتغنى فيها بخصب كينوبس ويشير إلى تميز ماعِزه بطول الشعر. ويشيد بالثياب المصنوعة من هذا الشعر وهي التي تدعى Cilicium.
ويقول مارتيال في قصيدة له: "خذ ثلاث حفنات من مزرعة ليبية فتزدهر بها أرضك القاحلة" مشيراً إلى اشتهار ليبيا بمحاصيلها الوافرة "راجع مارتيال – CXL . XIL'XIV . CV XIII VII.X" وقارن: فرجبل Geog. III 312.

2 - كانت ارض بابل حول دجلة والفرات مشهورة بقمحها الوفير.

3 - Euhespiritae بنغازي وما حولها.

العليا ناضجة. ولذلك فان آخر ثمار الأرض تفد حين تكون أولاها قد استنفدت في الطعام والشراب. وهكذا فان الحصاد عند القورينيين يدوم ثمانية شهور. وحسبنا هذا عن هذه الأمور1.

فقرة 200

العودة إلى الحملة الفارسية

وعندما وصل الفرس، الذين أرسلهم ارياندس من مصر لينتقموا لفريتيمي إلى برقة (المرج) ضربوا حصاراً حول المدينة طالبين تسليم أولئك الذين قتلوا اركسيلاوس. لكن البرقيين – وقد كانوا جميعاً شركاء في هذه الفعلة – لم يستجيبوا لهذا الطلب. وعندئذ حاصر الفرس برقة تسعة شهور، وحفروا أنفاقاً تحت الأرض تقود إلى الأسوار، وقاموا بهجمات عنيفة عليها.

أهل برقة "المرج" يكتشفون الأنفاق

أما الأنفاق فان حدّاداً اكتشفها عن طريق درع نحاسي. وإليك كيف تم له ذلك. فقد كان يسير حاملاً الدرع لجانب الواجهة الداخلية للأسوار وأخذ يدق به أرض المدينة، وحيثما وجدت الأنفاق كان صوت ارتطام النحاس بالأرض جلياً واضحاً. أما في الأماكن الأخرى فان الصوت كان يأتي مكتوماً. فحفر البرقيون عند كل نفق نفقاً مقابلاً، وقتلوا أولئك الفرس الذين كانوا يحفرون الأرض. هكذا اكتشفت الأنفاق وصدت الغارات على أيدي رجال المدينة.

فقرة 201

أحمس يأخذ برقة بالخديعة

وعندما انقضى وقت طويل، وقتل الكثيرون من كلا الجانبين (ولم يكن عدد

1 - إلى هنا ينتهي حديث هيرودوتس عن القبائل الليبية وطبيعة أرضها ويعود ليصل ما انقطع من حديثه عن حملة آرياندس الفارسي على برقة وما جرى فيها.

قتلى الفرس أقل من عدد قتلى أعدائهم) دبر أماسيس – قائد الجيش البري – خدعةً، لعلمه أن برقة لا يمكن أن تؤخذ عنوةً بل قد تنال بالخدعة.

فحفر في الليل خندقاً واسعاً ووضع عبره ألواحاً رقيقة من الخشب، ثم غطاها بطبقة من التراب في مستوى ما حولها من الأرض. وعندما طلع النهار دعا البرقيين للتباحث معه، فسارعوا إلى قبول الدعوى. وأخيرا وافق الجميع على شروط للسلم وقد تم ذلك هكذا: بينما كان الرجال من الطرفين يقفون على الخندق الخفي تبادلوا عهداً مصحوباً بقسم باحترام معاهدة الصلح طالما ظلت الأرض التي يقفون فوقها على حالها. وكانت المعاهدة تنص على أن يدفع البرقيون مبلغاً معيناً للملم، وعلى أن لا يُلحق الفرس بالبرقيين أي أذى. ولم يخامر البرقيين أي ريب بعد عقد الاتفاق والقسم على احترامه، ففتحوا أبواب مدينتهم كلها وخرجوا منها وسمحوا لمن شاء من أعدائهم، الذين طالما تحرقوا شوقاً إلى اختراق الأسوار، بدخولها. لكن الفرس كسروا الجسر الخفي وهرعوا إلى داخل المدينة، وهم كسروا الجسر الذي صنعوه ليكون في وسعهم عندئذ احترام اليمين التي أقسموها للبرقيين. وكان فحواها احترام هذه المعاهدة طالما بقيت الأرض كما هي عليه، فإذا ما كسروا الجسر فان المعاهدة لم تعد قائمة.

فقرة 202

انتقام فريتيمي

وقد أخذت فريتيمي أكثر البرقيين اتصالاً بالجريمة، عندما سلمهم إليها الفرس، وقضت بخوزقتهم ووضعهم فوق الأسوار على طول امتدادها، كما قضت بقطع أثداء نسائهم ونثرها كذلك على قمة الأسوار. وقد طلبت فريتيمي إلى الفرس أن يأخذوا كل من بقي بعد ذلك من البرقيين غنيمة لهم، فيما عدا من كان هناك من أسرة باتوس ولم يشاركوا في جريمة القتل، وعهد إلى هؤلاء بحكم المدينة.

فقرة 203

الفرس يدمرون برقة والليبيون الشرقيون ينتقمون

وهكذا استرقّ الفرس بقية البرقيين ورحلوا إلى بلادهم. وحينما ظهروا أمام مدينة قورينا سمح لهم القورينيون بالمرور عبر مدينتهم كي تتحقق نبوءة معينة. وبينما كان الجيش ماراً كان بادريس – أمير الأسطول – يرى أخذ المدينة لكن أماسيس – قائد الجيش البري – لم يوافق. قائلاً إنه أرسل ضد برقة وليس ضد أية مدينة إغريقية أخرى1.

وأخيراً عبروا قورينا. وعسكروا على تل (زيوس لوكايوس)2. وهناك ندموا على أنهم لم يأخذوا المدينة. وحاولوا دخولها ثانية غير أن القورينيين لم يسمحوا لهم بذلك. وعندئذ استولى الرعب على الفرس رغم أن أحداً لم يهاجمهم. وهربوا إلى مكان يبعد ستين فرسخاً وعسكروا فيه. وبينما كانوا هناك لم يلبث أن جاء إلى المعسكر رسول من أرياندس يأمرهم بالرجوع. وطلب الفرس من القورينيين مؤناً لمسيرتهم وحصلوا عليها. فارتحلوا ذاهبين إلى مصر. لكنهم بعد ذلك وقعوا في أيدي الليبيين. فقتلوا المتمهلين والمتخلفين عن الجيش من أجل ثيابهم وممتلكاتهم. حتى بلغوا مصر أخيراً.

فقرة 204

برقة جديدة في أقاصي فارس

وقد تقدمت هذه الحملة الفارسية إلى (يوهسبريداي)3 في ليبيا وليس أبعد من ذلك. أما بالنسبة للبرقيين الذين أخذهم الفرس عبيداً فأنهم، وقد

1 - لعل لهذه المعارضة من قبل أماسيس في احتلال قورينا صلة بثورته على فرعون مصر أبرييس (خفرع) الذي ينحدر من أصل ليبي، ثم بزواجه من (لاديكي) السيدة القورينية اليونانية بعد ذلك.

2 - Zeus Lycaeus وهو تل شمال شرق قورينا، وكلمة Lycaeus هي أحد ألقاب أبوللو وتعني باليونانية الحامي من الذئاب.

3 - Euhespiridae بنغازي الآن.

نفوهم، أتوا بهم من مصر إلى الملك دارا الذي أعطاهم بلدة في (باكتريا)1، ليعيشوا فيها. فأطلقوا على هذه البلدة أسم (برقة) وظلت مكاناً آهلاً حتى يومي هذا.

فقرة 205

نهاية فريتيمي

لكن الحال تعسرت بفريتيمي أيضاً ولم تكن نهاية حياتها طيبة، إذ إنها ما لبثت – بعد أن انتقمت لنفسها من البرقيين وعادت مصر – أن ماتت ميتة شنيعة بعد أن تقيح جسمها الحي وأخذ ينتج ديداناً. ويبدو أن الآلهة تغضب غضباً شديداً من الانتقام الإنساني البالغ العنف وعلى هذا النحو، وإلى هذا المدى، كان الانتقام الذي أنزلته بأهل برقة فريتيمي ابنة باتوس!

1 - Bactria مقاطعة في أقصى الإمبراطورية الفارسية شرقاً، غزاها الأسكندر الأكبر المقدوني وعرفها العرب باسم (بلخ) فيما بعد. وقد اشتهرت بثرائها وازدهارها الذي كان سببه موقعها على طريق ذهب سيبيريا وعلى الطريق الرئيسي للتجارة بين الشرق والغرب.

نُصُوص مِن سترابو

تعريف

ولد سترابو Strabo في أماسيا Amasia في منطقة بحر مرمرة عام 63 أو 64 ق. م. من أسرة ثرية، وكان يجري في عروقه دم خليط من أصول يونانية وآسيوية. وقد مكنه ثراء أسرته – التي كانت على اتصال بالسياسة والحياة العسكرية الرومانية – من تكريس حياته العلمية وطلبه.

وقد ذهب سترابو إلى روما حوالي عام 44 ق. م. في بواكير شبابه حيث واصل تعليمه، الذي بدأه في وطنه الأصلي يونانيا، على يد العالم الجغرافي تيرانيون Tyrannion الذي كان له كبير الأثر على مستقبل حياته، وهناك اتصل بالمدرسة الفلسفية الرواقية. وفي عام 25 ق.م. ذهب إلى مصر وترحل حتى أسوان، وعاش في الإسكندرية مدة خمس سنوات، حيث انتفع بمكتبتها العظيمة واغترف من أسفارها كما هو واضح في كتابه، وبخاصة من إيراتوستنيس القوريني. وفي عام 7 ق. م. وهو العام الذي يرجح أنه أنهى فيه كتابه، وكان في الخامسة والستين من عمره، زار روما لآخر مرة، وهو عاش حتى بلغ الرابعة والثمانين من عمره حيث توفي في مسقط رأسه.

وقد اشتهر سترابو بأنه جغرافي، رغم أن كتابه في الأصل كان إعداداً لتاريخ شامل ربما كتبه ولم يصلنا وإنما وصلتنا "جغرافيته" . وهذا الكتاب ليس جغرافيا فحسب بل هو موسوعة للعالم المعروف في العصر المسيحي. وهو أيضا من باب ما يسمى الآن الجغرافيا السياسية أو هو – في الحق – فلسفة للجغرافيا؛ ذلك لما يحويه من بحوث في اتصال الفلسفة بهذا العلم ولما يبثه فيه من آراء في السياسة والتاريخ والجندية وارتباطها بالجغرافيا.

ويبدو أن سترابو لم ير الكثير من العالم المعروف يومذاك، وإنما اعتمد على النقل والاقتباس وتسجيل ملاحظاته بعينه الفاحصة الناقدة. ومن المدهش حقاً أن مؤلفه كان أكثر شهرة في الشرق منه في الغرب، حتى أن "بليني" لم يشر إليه.

وقد اعتمدت في نقل ما سجله سترابو عن ليبيا على ترجمة "هوراس ليونارد جونس" H. L. Jones الانجليزية عن اليونانية التي نشرتها سلسلة "لويب" طبعة 1959م.

الكتابُ السابع عَشَر
الفصلُ الثالِث

فقرة 19

من قرطاجنة إلى رأس مصراتة

وعلى طول الساحل الممتد من قرطاجنة إلى (كيفالاي)1 وإلى أرض (المساسيلي)2 تقع بلاد الليبيين الفينيقيين الممتدة إلى بلاد (الغايتولي) 3 الجبلية حيث تبدأ ليبيا4. والأرض التي تعلو (الغايتولي) هي أرض (القرمنت) الواقعة بإزاء الاولى. وهي الأرض التي يؤتى منها بالحجر القرطاجني5. ويقال إن القرمنت بعيدون عن الأثيوبيين الذين يعيشون على شاطئ المحيط. على بعد رحلة تسعة أو عشرة أيام وعلى بعد خمسة عشر يوماً من (آمون)6. وبين (الغايتولي) وشواطئ بحرنا7 يوجد ثمة سهول عديدة وجبال كثيرة أيضاً وبحيرات واسعة وأنهار يختفي بعضها في جوف الأرض بحيث لا يرى.

نمط حياة السكان

والسكان هنا على بساطة متناهية في أنماط حياتهم وثيابهم. غير أن للرجال زوجات كثيرات وأولاداً كثيرين. وهم في جوانب معيشتهم كالعرب الرحل.

1 - Cephalae تعني "الرؤوس" – والمقصود رأس مصراته.
2 - Masaesylians بطن من قبيلة الغايتولي.
3 - Gaetulians أنظر: بليني – الكتاب الخامس – فقرة 8.
4 - يعني ليبيا الحقيقية بمفهوم سترابو وهي أفريقيا المعروفة آنذاك. متميزة عن ليبيا الفينيقية.
5 - أنظر: سترابو – 11 .3 .17 وبليني: 30 – 25 .37.
6 - Ammon واحة سيوة.
7 - البحر الأبيض المتوسط (بحر الروم).

وخيول كلا الفريقين وأبقارهم ذات رقاب أطول من سواها في البلاد الأخرى. ويمارس ملوكهم تربية الخيول بشغف لا نظير له. حتى أن عدد الأمهار ليبلغ كل عام مائة ألف مهر. وتربى الأغنام من أجل ألبانها ولحومها وبخاصة في المنطقة القريبة من أثيوبيا1. كذا هو تقديري للمنطقة الداخلية.

فقرة 20

خليج سرت العظمى

لسرت العظمى محيط يبلغ ثلاثة آلاف وتسعمائة وثلاثين فرسخاً. وقطر يبلغ – في تجويفه الأقصى – ألفاً وخمسمائة فرسخ. والصعوبة في سرت هذه. وفي سرت الصغرى. تكمن في أن مياهها العميقة تحتوي في مواقع كثيرة على ضحاضح2. وتكون النتيجة أن يقع البحارة. في أثناء المدّ والجزر. في هذه الضحاضح وينغرزون هناك. وأن نجاة السفن نادرة. وعلى هذا فإن البحارة يحفظون مسافة بينهم وبين الساحل حين يبحرون بحذائه متحوطين لكيلا يؤخذوا على غرة وتدفعهم الرياح في هذه الخلجان. وعلى كل حال فأن طبيعة الإنسان ركوب الأخطار تدفعه لتجريب أي شيء في الوجود وبخاصة الإبحار بحذاء الساحل.

التهريب بين قورينا والقرطاجنيين

وحين يبحر المرء في سرت العظمى، على اليمين. هناك بعد أن يتجاوز (كيفالاي) فانه يأتي إلى بحيرة طولها ثلاثمائة فرسخ وعرضها حوالي سبعين فرسخاً. وهي تصب في الخليج وتحتوي على جزر صغيرة ومرسى في مصبها. ويصل بعد المرفأ إلى مكان يدعى (آسبيس)3. وإلى أفضل مرفأ في

1 - Aethiopia وليس المقصود ما يسمى الحبشة الآن، بل ما نسميه (السوادين).
2 - مناطق ضحلة غير عميقة. قارن: بليني – الكتاب الخامس فقرة 4.
3 - Aspis وتعني "الدرع".

سرت العظمى. واستمراراً لهذا نجد (برج يوفرانتاس) الحد الفاصل بين بلاد القرطاجنيين السابقة والبلاد القورينية كما كانت تحت حكم بطليموس[1]. ثم يأتي إلى مكان آخر يدعى (كاركس)، وهو الذي استخدمه القرطاجنيون كميناء تجاري؛ فكانوا يحملون إليه الخمر ويتسلمون في مقابلها أحمال السلفيوم من التجار الذين كانوا يحضرونه إليهم خفية من قورينا. ثم تأتي بعد ذلك إلى نصب الأخوين فيلايني، وبعد ذلك إلى (أتومالا) – وهو حصن ذو حامية يقع في أقصى عمق الخليج برمته. وخط العرض المار بهذا الخليج هو أمعن قليلاً إلى الجنوب من ذلك الذي يمر بالإسكندرية بألف فرسخ. ومن ذلك الذي يمر بقرطاجنة بأقل من ألفي فرسخ. غير أنه يتطابق مع خط العرض الذي يمر بهرنوبوليس الواقعة في أقصى عمق الخليج العربي[2] والذي يمر بداخل بلاد (المساسولي) والموريسيين وبقية الساحل من هنا إلى مدينة (برنيكي) طوله ألف وخمسمائة فرسخ.

بلاد النسامونيين

أما الأراضي الداخلية أعلى هذا الشريط الساحلي والممتدة أيضاً حتى نصب الأخوين فيلايني فهي بلاد النسامونيين كما يدعون. وهم قبيلة ليبية. وهناك، على كل حال، رعن[3] يسمى (بسيدوبينياس) هو الذي تقع عليه (برنيكي)، قرب بحيرة تدعى (تريتونياس)[4] أهم ما فيها جزيرة عليها معبد أفروديت. وفي هذه المنطقة هناك أيضاً ميناء[5] (هسبريديس). وقدما في

1 - أنظر: 17.1.5 – حيث يتحدث سترابو عن حدود مصر فيقول: إن الكتّاب الأقدمين كانوا يطلقون أسم مصر Aegypt على شريط نهر النيل من أسوان حتى البحر الأبيض المتوسط ليس غير، ثم ضم إليها المنطقة بين النيل والبحر الأحمر من جهة الشرق والواحات إلى قورينا من جهة الغرب. وفي عهد بطليموس الأول (سوتر) الذي حكم ما بين عامي 323-285 ق.م. وحّدت قورينا مع مصر، حتى جاء الرومان ففصلوا قورينا وجعلوها دولة حليفة Civatas Foederata عام 95 ق.م. وصيروها عام 88 ق.م. مقاطعة رومانية، ثم وحدوها في مقاطعة واحدة مع كريت.

2 - يعني البحر الاحمر

3 - لسان أو جزء من الأرض داخل في البحر.

4 - Tritonis = Tritonias

5 - يصلح البعض "ميناء" إلى "بحيرة".

الداخل بعد برنيكي يقع رعن صغير يسمى (بوريوم) وهو الذي يشكل مع كيفالاي فم خليج سرت.

حملة كاتو

وتقع برنيكي مقابلة لرؤوس (البيلوبونيز) في مواجهة (أختوس) كما تدعى، وأيضاً في مواجهة (زيكونثوس) حيث تبلغ المسافة ثلاثة آلاف وستمائة فرسخ. وقد خرج "ماركوس كاتو" من هذه المدينة وارتحل دائراً حول خليج سرت براً في خلال ثلاثين يوماً[1]، وهو يقود جيشاً قوامه أكثر من عشرة آلاف رجل، مقسماً إياهم إلى فرق بسبب من ندرة مواقع الماء، وسافر وهو على قدميه في الرمال الغامرة والحرارة اللاهبة.

بعد برنيكي

بعد برنيكي يأتي المرء إلى مدينة (توخيرة) التي تسمى أيضاً (أرسنوي). ثم إلى مدينة كانت تدعى فيما سبق (باركي) أما الآن فهي تسمى (بتوليمايس)[2]. ثم إلى (لسان فوكوس)[3] المنخفض والخارج أكثر نحو الشمال إذا قورن ببقية الساحل الليبي، وهو يقع مقابلاً (لتاريناروم) في (لاكونيا). وتبلغ المسافة ألفين وثمانمائة فرسخ. وهناك أيضاً بلدة صغيرة تحمل الاسم ذاته الذي يطلق على اللسان.

وغير بعيد من فوكوس توجد قاعدة القورينيين البحرية (أبولونيا) على بعد حوالي مائة وسبعين فرسخاً من قورينا – مدينة كبيرة في سهل شبه معين، كما بدت لي من البحر.

1 - في مسيرته عام 47 ق.م. ليلحق بمتيلوس سكيبيو M. Scipio .

2 - هنا يخلط سترابو بين مدينة برقة (المرج) وميناءها (طلميثة).

3 - Phycus رأس سم الحالية. قارن: بليني – الكتاب 5 فقرة 5.

فقرة 21

من تاريخ قورينا

أنشئت قورينا على يد المستوطنين من (ثيرا)1. وهي جزيرة لاكونية كانت تسمى في غابر الأيام (كاليستي) كما يقول كاليماخوس: " كاليستي كان اسمها أولاً، لكن اسمها أخيراً ثيرا، أم أرض آبائي، شهيرة بجيادها الصافنات". وتقع القاعدة البحرية للقورنيين في مواجهة لسان كريت الشرقية (كريوميتوبوم) حيث تبلغ المسافة ألفي فرسخ. ويقام بالرحلة اعتماداً على الريح الجنوبية2. ويقال: إن قورينا أنشئت على يد باتوس ويزعم كاليماخوس أن باتوس كان جده. وقد نمت قورينا بسبب خصوبة أرضها، فهي أرض جيدة جداً لتربية الخيول، وهي تنتج فاكهة رائعة. وكان بها رجال كثيرون ذوو احترام وقدرة على الدفاع عن حريتها بطريقة تستحق الإكبار، وعلى مقاومة البرابرة3 الذين يعيشون أعلاهم بقوة. وقد كانت هذه المدينة في العصور السالفة مستقلة، ثم نمت قوة المقدونيين الذين ملكوا مصر وهاجموا القورينيين بقيادة "ثيبرون" ورفاقه الذين قتلوا "ربولوس". وبعد أن حكمها البطالمة4 لفترة من الزمان صارت المدينة تحت سلطان الرومان. وهي الآن مع كريت تضمها مقاطعة واحدة. ولكن أبولونيا وباركي وتوخيرا وبرنيكي والبلدان القريبة الأخرى ملحقة بقورينا.

1 - راجع: هيرودوتس، الكتاب الرابع – فقرة 150 وما بعدها.
2 - Leoconotus
3 - Barberians وكان اليونان – وتبعهم في ذلك الرومان قبل انهيار إمبراطوريتهم – يطلقون هذا التعبير على كل من عداهم من الشعوب التي لا تتكلم لغتهم. ومن المناسب هنا أن نذكر رأي ايراتوستنيس القوريني في هذا الأمر، ولموقفه دلالة خاصة. إذ يورد سترابو هذا النص: "وقرب نهاية بحثه – بعد أن أضرب عن الثناء على أولئك الذين يقسمون البشر إلى جماعتين، أغارقة وبرابرة – وكذلك الذين نصحوا الأسكندر أن يعامل الأغارقة كأصدقاء والبرابرة كأعداء – يمضي ايراتوستنيس ليقول بأنه من الأفضل أن نأتي بهذه التقسيمات طبقاً للخصال الحميدة والخصال السيئة، ليس لأن كثيرين من الأغارقة سيئون فحسب بل لن كثيرين من البرابرة متمدينون، كالهنود والفرس مثلاً، وكذلك الرومان والقرطاجنيين ..."
4 - الأصل: الملوك Kings.

فقرة 22

سبب انقراض السلفيوم

يحد قورينا البلاد التي تنتج السلفيوم والعصير القوريني، والاخير ينتج عن السلفيوم عن طريق استخلاص عصارته1. غير أنه أوشك على الانقراض حين اغار البرابرة على البلاد بسبب بعض الاحن وقضوا على جذور النبات2. وأهل البلاد بدو رحل.

مشاهير قورينا

والقورينيون الذين اشتهروا كانوا: "أرستبوس" الفيلسوف السقراطي الذي وضع أسس الفلسفة القورينائية، وابنته المسماة "آريتي" التي خلفته على رأس المدرسة، ثم ابنها "أرستبوس" خليفة آريتي، الذي كان يدعى "من علمته أمه"3. "وأنيكرس" الذي عرف بأنه نقّح آراء الفرقة القورينائية وأدخل عوضاً عنها آراء الفرقة الانيكرية، و"كاليماخوس" كان قورينياً أيضاً، وكذلك "إيراتوستنيس" – وكلاهما كرمه الملوك المصريون4.

وكان الأول شاعراً وفي الوقت ذاته دارس آداب متحمس. وكان الثاني متفوقاً ليس في هذه الجوانب فحسب بل في الفلسفة والرياضيات كما لم يكن رجل. وفضلاً عن ذلك كان "كارنيادس" الذي هو بإجماع الآراء خير فلاسفة الأكاديمية، "وأبولونيوس كرونوس" أيضاً من قورينا. وكان الأخير أستاذاً "لديودروس الجدلي" الذي لقب "بكرونس". فأطلق بعض الأشخاص لقب الأستاذ على التلميذ.

1 - راجع: بليني – الكتاب الثالث / فقرة 32 وما بعدها.
2 - هذا هو تعليل سترابو لانقراض السلفيوم. وإذا كان لما حمله الليبيون من إحن ضد الإغريق والبطالمة والرومان جميعاً هذا الأثر الذي دفعهم لاجتثاث جذور السلفيوم انتقاماً ممن كانوا يستنزفون ثروة بلادهم فهو أمر مقبول كمحاولة لتفسير اختفاء هذا النبات الغامض. وقد يكون للظروف الطبيعية والتغيرات المناخية تأثير في هذا الاختفاء. ومن الممكن مقارنة اختفاء السلفيوم من الجبل الأخضر باختفاء الزعفران من جبل غريان، وقد كان حتى عهد قريب يستنبت بكثرة ويصدر كأفضل زعفران في العالم.
قارن: ليون الإفريقي عند حديثه عن جبل غريان.
3 - Metrodidactis
4 - قارن: بليني – الكتاب 5/ فقرة 5 و 6 والتعليق.

بعد أبولونيا

وبعـد أبولونيـا يأتـي المرء إلـى بقيـة سـاحل القورينيين الـذي يمتد حتى (كاثابوثموس)[1] مسـافة قدرها ألفان ومائتا فرسـخ. وليـس الابحار على هذا السـاحل يسـيراً بالمرة، إذ ليس هنالك سـوى عـدد قليل من المرافئ والمراسـي والمنازل ومواقع الماء.

ومـن جملـة الأماكن المعروفـة أكثر على طول السـاحل: (ناسـتاثموس) و(زفوريوم) ذات المرسـى (وزفوريوم) ثانية، ولسـان (خرونيسـوس) الذي به مرفأ. ويقع هذا اللسـان مواجهاً (لسـوكولوس) فـي كريت، والمسـافة بينهما ألف وخمسـمائة فرسـخ إذا كانت الريح جنوبيـة غربية. ثم يأتي بعـد ذلك إلى ما يشـبه معبد هرقل، ثم أعلاه إلى قرية تسمى (باليريوس) ثم تأتي من بعد ذلك إلـى مرفأ (منيلاوس)[2]. ثم إلـى (أردونيس) وهي عبارة عن لسـان منخفض ذي مرسى. ثم إلى مرفأ متسع يقع مواجهة خرونيسوس في كريت، وتبلغ مسافة مـا يفصل بـين المكانين حوالي ألفي فرسـخ. ومـن الممكن أن أقـول تقريباً إن كريت ككل، لكونها ضيقة ومسـتطيلة، تقع في مقابلة هذا الساحل موازية له. وبعد المرفأ المتسـع يأتي إلى مرفأ آخر يسـمى (بلونوس)، وتقع أعلاه الأبراج الأربعـة غير أن المكان يدعى (كاتابوثمـوس). ويصل امتداد قورينا إلى هذا الحد. والجزء الباقي من السـاحل، الممتد من باراتيونيوم[3] إلى الإسـكندرية سـبق أن ذكرته في حديثي عن مصر.

فقرة 23

القبائل الليبية في داخل البلاد

إن البـلاد الواقعة فـي عمق الداخل أعلى سـرت وقورينـا – وهي منطقة

1 - السلوم الآن.
2 - ميناء صغير شرق خليج بومبا. قارن: هيرودوتس/ فقرة 169.
3 - مرسى مطروح الآن.

قاحلـة جرداء – يشـغلها الليبيون: النسـامونيون أولاً، ثم البسـولي وبعدهم بعـض الغايتولـي، ثم القرمنـت، ثم – في ناحية الشـرق – المارماريـداي الذين يتاخمون قورينا وينتشرون حتى آمون.

وصف هذا الداخل

ويقـال إن الذيـن يقطعون المسـافة مشـياً على الأقدام مـن نهاية طرف سـرت العظمى الجنوبي، مـن نواحي أوتومالا تقريباً في اتجاه الجنوب الشـرقي، يصلـون أوجلة فـي اليوم الرابـع. وهذه المنطقة تشـبه آمـون لكونها منتجة للنخيل وبها مياه كثيرة، وهي تقع أعلى قورينا نحو الجنوب. وهي تنتج أشـجاراً لمسـافة مائة فرسـخ. لكن الأرض لا تنبت سوى ما يبذر فيها بعد مائة فرسخ، وهي – بسـبب جدبهـا – لا تنبت الأرز[1]. وأعلى هذه المنطقـة توجد البلاد التي تنتج السلفيوم، ثم تأتي المرء إلى البلاد غير المأهولة وإلى بلاد القرمنت والأرض التي تنتج السـلفيوم ضيقة مسـتطيلة وجدباء بشـكل ما. وهي تمتد طولاً، حين يمضي المرء تقريباً نحو الشـرق، حوالي ألف فرسـخ. ويبلغ عرضها ثلاثمائة فرسـخ أو أكثر قليلاً، هذا على الأقل بالنسـبة للجزء المعروف، إذ أنه من الممكن أن نسـتنتج أن كل الأراضي المتتابعة، دون أن يفصلها فاصل على خط العرض نفسـه، تتشـابه من حيث المناخ والنبات. لكن بما أن عـدة صحراوات تقطعها فإننـا لا نعرف جميع هـذه المناطق. وبالمثل فـان المناطق أعلى آمـون والواحات حتـى أثيوبيا مجهولة هي الاخرى، كما أننا لا نسـتطيع أن نحيط بحدود ليبيا أو أثيوبيـا، ولا أن نقـرر ما هي بالضبط حدود البلاد مـا بعد مصر، وأقل من هذا نعرفه عن تلك التي يحدها المحيط.

1 - في بعض المخطوطات تقرأ "جذور" Roots بدلا من "أرز" Rice وهو الأقرب للصحة.

الكِتابُ الأول

الفَصلُ الثالِث / فقرة 4

هل كان البحر يغمر الصحراء الليبية؟

ويضيف إيراتوستنيس إلى هذا القول إن هذه القضية1 على وجه التخصيص أثارت مشكلة هي: كيف يتأتى أن توجد كميات هائلة من القواقع البحرية والصدف والودع البحريين، بل والملاحات، في مواطن كثيرة في الداخل على بعد ألفين أو ثلاثة آلاف فرسخ من البحر – مثلاً (ولنقتبس من ايراتوستنيس) بجوار هيكل آمون وعلى الطريق المؤدية إليه والتي يبلغ طولها ثلاثة آلاف فرسخ.

فهو يقول إن في ذلك المكان مستودعاً ضخماً من الأصداف وطبقات من الملح لا تزال توجد هناك، وفوارات من الماء المالح ترتفع نوعاً ما. وبالإضافة إلى هذا فهم يبينون عن قطع من حطام سفن بحرية قال أهل البلاد إنها ظهرت فجأة من خلال بعض الانهيارات الأرضية. وعلى عمد صغيرة رصدت عليها درافيل تحمل النقش التالي: "من سفراء قورينا المقدسين"...

فقرة 15

- وأيضاً، حين يقول "هيبارخوس"2 إن النقش على الدرافيل الذي صنعه

1 - الإشارة هنا إلى نظرية إيراتوستنيس القوريني عن تأثير الأحداث الجيولوجية كالبراكين والانهيارات ونحوها في تغيير المواقع وطبوغرافية الكرة الأرضية.

-2 Hipparchus (150 ق.م.) فلكي وجغرافي شهير، وأول من وضع نظام تقسيم الكرة الأرضية إلى خطوط الطول وخطوط العرض.

سفراء قورينا المقدسون، مزيف، فهو يقدم سبباً غير مقنع حين يقول انه رغم إنشاء قورينا يقع في نطاق الأزمنة المؤرخ لها وما من مؤرخ سجل أن الهيكل أقيم على بحر. حسن .. وماذا لو أنه ما من مؤرخ سجل هذه الحقيقة، مع أن الدرافيل كانت في الواقع قد رصدت والنقش قد حفر بيد سفراء قورينا المقدسين، طبقاً للدليل الذي نبني عليه ظننا أن المنطقة كانت ذات يوم أرضاً تقع على ساحل البحر؟...

الكِتابُ الثاني

الفصل الخامِس / فقرة 33

وصف ليبيا

- ... وليبيـا – كمـا يبين الآخرون، وكما أخبرني فعلاً "كنايوس بيسـو" الذي كان ذات يـوم حاكماً لتلك البلاد – تشـبه جلد الفهـد؛ إذ أنها منقطة بمواطن مأهولة محاطة بأرض صحراء لا ماء فيها.

وتقسيمها

ويسـمى المصريـون هـذه المواطـن العامرة "أواسـيس". لكن رغـم أن هذا مـا تميـزت به ليبيا فـان بها خواص أخـرى تجعل لها تقسـيماً ثلاثياً. فـأولاً: إن معظم سـاحلها المواجه لنا خصـب للغاية، وبخاصة قورينـا والبلاد قرطاجنة حتى ماوروسـيا وأعمدة هرقل. وثانياً: إن سـاحلها الواقـع على المحيط ينتج من مقومات الحياة شيئاً وسطاً. وثالثاً: إن المنطقة الداخلية التي تنبت السلفيوم، تنتـج من الغذاء النزر القليل، حيث أنها في الجزء الأكبر منها صخرية وصحراء رمليـة. ويصـح الوصف نفسـه على امتداد هـذه المنطقة فـي أثيوبيا وأرض التروغلوديين1 والجزيرة العربية جيدروسيا2 حيث يعيش أكلة الأسماك.

سبب الجهل بليبيا

إن أغلـب أهـل ليبيـا مجهولون لدينـا، لأن كثيراً منها لـم تبلغه الجيوش.

1 - Troglodytes سكان الكهوف.
2 - Gedrusia بلاد الاخثيوفاجي Ichtheophagi (أكلة الأسماك).

ولا زارهـم أناس مـن أمم غريبة عنهم. وفضـلاً أن عدداً قليلاً جداً من سـكانها القاطنين في داخلها زارنا، فان ما يخبروننا به ليس موثوقاً به أو كاملاً.

شعوب ليبيا

وعلـى كل حال فـإن ما يلي مبني علـى ما يقولون: فهم يسـمون أبعد الشـعوب نحو الجنوب الأثيوبيين. ويدعون أولئك الذين يعيشـون شـمال الأثيوبيين – على الجملة – القرمنت، والفاروسـي، والنيغريتاي. ويسـمون أولئك الذين يعيشـون شمال النيغريتاي: الغايتولي، ومن يعيشون قرب البحر أو حتى على سـاحله، بعد مصر حتى قوينا: المارمايداي. بينما يسمون من خلف قورينا وسـرت: البسـلوي، والنيامونيس وبعض الغايتولي، ثم الأسبوستاي، والبوزاكي الذين تبلغ أرضهم حتى قرطاجنة..

الكتابُ السّابع عَشَر

الفَصلُ الأول / فقرة 30

- مـن (هليوبوليـس)[1]. إذن، يأتـي المرء إلـى النيل أعلـى الدلتا. فـإذا أبحر صُعُـداً تسـمّى الأجزاء التي عن يمينه ليبيا، كما تسـمّى كذلـك الأجزاء حول الإسكندرية وبحيرة مريوط. وعلى هذا فإن هليوبوليس تقع في بلاد العرب، لكن مدينة (كيركيسورا) الواقعة قرب مراصد "ايودوكسوس"[2]. تقع في ليبيا...

فقرة 44

- ... ويقـول البعـض أنـه بالضبط كمـا أن هنـاك ضرباً مـن التنافر[3] بين البسـولي بجوار قورينـا والثعابين، فإن هـذا التنافر موجود بـين (التينتوريتاي) والتماسـيح، ولـذا لا يخافون منها، بل إنهم ليغطسـون فـي النهر دون خوف ويعبرون فوقها، رغم أن أحداً غيرهم لا يجرؤ على هذا الفعل...

1 - مدينة الشمس = عين الشمس الآن.
2 - Euboxus أحد الفلاسفة العلماء يذكره اديوجين اللائرتي في كتابه "حياة الفلاسفة". ويذكر أنه انشأ مرصداً على شاطئ النيل الغربي هل هناك علاقة يا ترى بين اسمه وأسم حي "الدقي" المعروف في القاهرة؟!
3 - التنافر الروحي Antipathy والمقصود الحصانة من هذه الحيوانات.

الفَصل الثالث

فقرة 7 / ثياب الليبيين وخيولهم

- والليبيون بوجه عام يرتدون الثياب نفسـها، وهم متشابهون في المظاهر الأخرى جميعها، مسـتخدمين الخيـول الصغيرة الحجم لكنها سـريعة العدو، وهي مطواعة حتى أنهم ليسوسـونها بقضيـب صغير. وتلبس الخيول أطواقاً من خشـي أو شعر يثبت فيها اللجام، رغم أن بعضها يتبع صاحبه دون أن يقاد، كالكلاب. ولهؤلاء الناس دروع صغيرة مصنوعة من جلد غير مدبوغ، ورماح ذات رؤوس عريضة وهم يرتدون عباءة غير ذات نطاق بأطراف فضفاضة، ويستعملون – كما قلت – الجلود والأوشحة والدروع...

أكلة اللوتس

ولكنه هو ذاته[1] يذكر رواية أسـوأ كثيراً عن المنطقة ذاتها، حين يروي قصة بعض الرحل، أعني اللوتوفاجي، الذين يجوسون خلال بلد لا ماء فيه ويطعمون اللوتـس، وهو ضـرب من النبت والجذر، فلا يحتاجون إذا أكلوه إلى شـراب، وأنهم ينتشـرون حتى أعالي قورينا، لكنـه يقول أيضاً إن أهل تلك المنطقة يشـربون اللبن ويأكلون اللحم أيضاً، رغم أنهم على خط العرض نفسه...

1 - الإشـارة هنا إلى أرتيمميدورس الافسوسـي (10 ق.م.) جغرافي معروف في أثناء نقاشـه لبعض آراء إيراتوستنيس القوريني عن ليبيا.

نصوص من بليني الأكبر

تعريف

بليني الأكبر أو Plinius Secundus. عرف (ببليني الأكبر) تمييزاً له عن أبن أخيه الأصغر. وهو مؤلف لاتيني يحتمل أنه ولد في مدينة Novum Comum في غاليا سنة 23م. وقد عمل في الجيش في إفريقيا ورأس فرقة الفرسان سنة 46م واستقر في روما عام 52م. كما شغل منصب حاكم إقليم في اسبانيا من عام 68-72م ومراكز عليا في عهد فسباسيان. وقائد أسطول في مسينا في عهد نيتوس. وكان فضوله العلمي وإحساسه بالواجب سبباً في نهاية حياته. فقد أقلع في أثناء ثورة بركان فيزوف الشهيرة عام 79م إلى هناك ليشاهد ظاهرة البركان وليساعد بعض أصدقائه. فمات اختناقا بالغازات السامة المتصاعدة من البركان.

وكانت مؤلفات بليني قد شهرته بأنه أكثر الناس علماً في عصره. وإن كان الزمن لم يبق لنا من هذه المؤلفات. في التاريخ والتكتيك الحربي واللغة. سوى كتابه (التاريخ الطبيعي) وهو دائرة معارف فريدة تقع في 17 كتاباً في الفلك والزراعة والجغرافيا والمناجم والحيوانات ومختلف موضوعات العلم والفن والتاريخ الطبيعي.

وقد نقلت من هذا المؤلف الفقرات 4. 5. 6. 8. من الكتاب الخامس. وهي التي تتحدث عن جغرافية بلادنا وطبيعتها وقبائلها وبعض الأحداث التاريخية التي وقعت فيها. ومن الكتاب الثالث عشر الفقرتين 32. 33 وهما الخاصتان بشجرة اللوتس والغار اللتين اشتهرت بهما ليبيا قديماً. ونقلت الفقرة 15 من الكتاب

التاسع عشر والفقرتين 48 – 49 – من الكتاب الثاني والعشرين. وهما ترويان قصة نبات السلفيوم الشهير بتفصيل كبير.

الكتَابُ الخامِس
فقرة 4

الحديث عن أهم البلدان والمعالم في ليبيا

ينقسـم الجون الثالث إلى خليجين يصبحان شاسـعين بمياه مدّ السرتين[1] الضحلـة. والمسـافة بين سـرت الدنيـا – وهـي صغـرى الاثنتـين – وقرطاجنة هـي – كمـا يقول (بولوبيـوس)[2] – ثلاثمائة ميل. وهو يقـدر عرضها بمائة ميل ومحيطها بثلاثمائة ميل. غير أن هناك طريقاً لها من البر كذلك يمكن التعرف عليـه بملاحظة النجـوم عبر صحراء مهجـورة تغطيها الرمـال وتعج بالحيات. ويلـي ذلك غابات ملأى بعـدد وفير من الحيوانات المفترسـة. وعنـد التوغل في الداخل هناك مسـاكن الفيلة المتوحشـة، ثم صحراء شاسـعة، وخلفها قبيلة (القرامنتس)[3] على مسيرة اثني عشر يوماً من أوجلة[4]. ووراء هؤلاء كانت توجد قبيلة (البسـولوي)[5]، وخلفهم بحيرة (لونكسـاما)[6] تحيط بها الصحراء. وتقع

1 - The Two Syrtess يعني سرت الكبرى (خليج سدرة) وسرت الصغرى (خليج قابس).

2 - Polybius آخر أعظم المؤرخين الإغريق (205-125ق.م) شاهد سقوط قرطاجنة وكورنت في 146 ق.م. وكان له أثر كبير على الحياة الأدبية الرومانية. ويغطي (تاريخه) الفترة ما بين 221-146 ق.م أما بالنسبة لقرطاجنة فإن مرحلة جديدة لبدأ في تاريخ البحر الأبيض المتوسط عندما بدأ الفينيقيون يحوّلون محطاتهم التجارية فيه إلى مستعمرات واستقرار دائم؛ فأسسوا قرطاجنة عام 814 ق.م. ولم تلبث أن أصبحت زعيمة المدن الفينيقية في مقاومة التوسع الإغريقي في صقلية وغرب البحر المتوسط. لا سيما إن صور وصيدا كانتا قد أضعفهما العدوان الآشوري إلى حد كبير. ونحن لا نعرف بالضبط ظروف إنشاء المستعمرات الفينيقية في طرابلس، ولا شك أن تأسيس لبدة وصبراته وأويا قد حدث في زمن متأخر بالنسبة لتأسيس قرطاجنة وربما كان تحت رعاية قرطاجنة نفسها. (المراجع)

3 - أنظر: هيرودتس – الكتاب الرابع – فقرة 183. وقد كان هناك صراع طويل بين القرامنتس والرومان. ولعل أول حملة رومانية كبيرة ضدهم من قبل الرومان كانت بقيادة (بالبوس) Balbus سنة 21 ق.م. ويذكرها بليني في كتابه الخامس فقرة 5 كما سيأتي.

4 - قارن: هيرودتس – الكتاب الرابع – فقرة 173 والتعليق.

5 - Psylii وقد اشتهرت هذه القبيلة بأن سم الأفاعي والعقارب لا يؤثر في أفرادها. وكانوا يعرضون الصبي حين ولادته لعضة أفعى فإن لم يمت كان هذا دليلا على شرعيته وأنه منهم. وهناك حادثة مشهورة تروى عن اشتهار أفرادٍ قبيلة البسولوي بقدرتهم على شفاء المعضوض والملدوغ. ويذكر أن أكتافيوس (الإمبراطور أغسطس) دعا واحداً

أوجلة ذاتها في الوسـط تقريباً على بعد متسـاوٍ من كلا الجانبـين، من أثيوبيا التي تمتد غرباً، ومن الإقليم الواقع بين السـرتين. لكن الشـريط السـاحلي بين السـرتين يبلغ مائتين وخمسين ميلاً. وهنا توجد مدينة (أويا)[1] المستقلة، (ونهر كينوبس) والاقليم المسمى بذاك الاسم، ومدن (نيابولس) و(تافرا) و(هابروتونم) ولبـدة الثانيـة المسـماة (لبدة الكبـرى)[2] ثم تأتي سـرت الكبرى ومقياسـها سـتمائة وخمسـة وعشـرون ميلاً محيطاً، وثلاثمائة واثنا عشر ميلاً عرضاً عند المدخل. حيث يعيش بالقرب منه شـعب (الكسيبادس)[3]. وفي نهاية هذا الجون كان يوجـد ذات يوم سـاحل "أكلة اللوتس"[4] وهو الشـعب الذي يدعوه البعض "المحرواي"[5] منتشـرين إلـى "نصب فيلاينـي"[6] المكونة من أكـوام الرمال. وبعد هـؤلاء غيـر بعيد عن شـاطئ البر الأصلي هناك مسـتنقع واسـع يصب فيه نهر "تريتونس" وهو نفس الاسـم الذي يحمله، ويدعـوه كاليماخوس[7] "بحيرة

منهم لينقذ (كليوباترة) – الملكة المصرية الشهيرة – من نهشة الأفعى التي انتحرت بواسطتها بعد موت حبيبها (انطونيو) غير أنه لم يفلح؛ فقد فات الاوان. ويعتقد Bates ان الحية كانت بالنسبة لهذه القبيلة طوطماً تعبده. أنظر: The Eas. Lib. P. 180

قارن : هيرودتس. الكتاب الرابع. فقرة 183.

6 - Lynxama وهي ربما كانت بحيرة تشاد.

1 - Oeo وهي مدينة طرابلس الغرب الحالية. وقد كانت ثالث (امبوريا) تكمل لبدة وصبراته أو المدن الثلاث Tripoliis ثم انصرف الاسم إلى أويا وحدها بعد اضمحلال المدينتين الأخريين. والأصل الفينيقي لأويا هو (أويات) بزيادة حرف التاء، وهو ما يطلقه عليها أبن خرداذبة في كتابه (المسالك والممالك).

2 - Leptis magna عند مدينة الخمس الآن. ووجدت صعوبة في التعرف على مدن Neapolis وTaphra وHabrotonum.

3 - Cisippades غرب سرت الصغرى.

4 - أنظر: هيرودوتس – الكتاب الرابع فقرة 177، والتعليق.

5 - Machroae وقد يدعون الماخرواس Machroas أو الماخلويس Machlyes ويخلط بليني بينهم وبين (أكلة اللوتس) كما يحدد موطنهم شرقي موقعه الحقيقي بكثير، وهذا خطأ يخالف ما أتى به هيرودوتس وبطليموس اللذان يضعانهم حول بحيرة تريتونيس (شط الجريد) ومن الممكن الربط بين الماخرواي و(مغراوة) وهي بطن من زناتة كانت تعيش في القرن السابع الميلادي إلى الغرب. (أنظر: Eas. Lib. Bates ص 57 – 58 – 64 – 71).

6 - كان لابد من تعيين الحدود على الساحل الليبي بين الإغريق في الشرق والفينيقين أو القرطاجنيين في الغرب وكان القرطاجنيون قد نجحوا في طرد حملة إغريقية عام 514 ق.م. بغية الاستيطان في طرابلس (وادي كعام). هذا إلى جانب أن مصالحهم التجارية بدأت تنتشر تدريجياً إلى الشرق في خليج سرت. ولم تكن قرطاجنة لتسمح بأي تسلل إغريقي إلى مناطق نفوذها في طرابلس، فأصبح من الواضح إقامة الحدود كبديل وحيد للحرب.

وتروي الأسطورة إن الجانبين اتفقا على أن يجري عدّاءان منهما بحيث تكون الحدود عند ملتقاهما ولكن – لأسباب غير واضحة – وصل الأخوان فيلايني Philaeni إلى الطرف الشرقي لخليج سرت قبل وصول العدائين القورينيين. وبنظرة إلى الخريطة تتضح استحالة الأمر إلا إذا فرضنا أن عدائي قورينا كانوا يتحركون ببطء شديد إذا كانا قد تركا مدينتهما في نفس الوقت، وأتهم القورينيون القرطاجنيين بالغش، فأصر الإخوان فيلايني على إنكار هذه التهمة، وأبديا استعدادهما لأن يدفنا حيين في المكان الذي وصلا إليه في سبيل اعتماد هذا الموقع حداً فاصلاً بين الطرفين، وقبل الإغريق. وبالفعل قدم الأخوان نفسيهما ضحية في سبيل قرطاجنة وأقيمت فوق قبريهما ربوتان سميتا (مشهد الأخوين) وهو (القوس) الان. (المراجع).

7 - أنظر: هيرودوتس – الكتاب الرابع فقرة 178 – 180 – والتعليق.

بالاس"[1] – وهو يعين موقعها على الجانب الأدنى من سرت الصغرى – لكن كتّاباً كثيرين يجعلونها بين السرتين. ويدعى الرأس الذي يغلق على سرت الصغرى "رأس تراجوني" ومن ورائه مقاطعة قورينا.

فقرة 5

أشهر معالم قورينا

من الأمكنة[2] الشهيرة في مقاطعة قورينا (التي اسمها اليوناني: بلاد المدائن الخمس) هيكل آمون، وهو على بعد 400 ميل من مدينة قورينا، وينبوع الشمس، والمدائن الخمس خاصة، برنيكي، أرسينوي، بتولومايس، أبولونيا، وقورينا نفسها وتقع برنيق على رأس طرف خليج سرت. وكانت تدعى سابقاً (مدينة سيدات الغرب)[3] المذكورة آنفاً، إذ غالباً ما تغير أساطير اليونان مواطنها. وأمام المدينة غير بعيد هناك نهر (الليثي)[4] مع غابة مقدسة معروفة بأنها موقع جنائن سيدات الغرب. وتبعد برنيق 375 ميلاً عن لبدة، كما تبعد أرسينوي 43 ميلاً عن برنيق، وهي تدعى عموماً (تاوخيرا)[5]، ثم بتولومايس بعد 22 ميلاً، وهي التي كان اسمها القديم "برقة"[6]، ثم 40 ميلاً عن رأس "فوكو"[7] داخل البحر الكريتي، على مسافة 350 ميلاً من رأس "ماتابان" في "لاكونيا"، و250 ميلاً من كريت ذاتها. وبعد رأس فوكو تقع قورينا على بعد 11 ميلاً عن البحر، ومن رأس

1 - Pallas أسم آخر لأثينا.
2 - Berenice بنغازي، Arsinoe طوكرة، Ptolimais طلميثة، Apollonia سوسة، و Cyrene قورينا.
3 - Hesperedis بنغازي الآن. وهي سميت في عصر البطالمة برنيق Berenice باسم زوجة بطليموس الثاني.
4 - تعني كلمة Lethe أو Lethon باليونانية النسيان، أو السلوى. وكان اليونان يعتقدون أن الأؤواح لابد أن تمر بعد وفاة المرء بهذا النهر لتتطهر وتنسى آلامها في الحياة الدنيا لتدخل بعد ذلك العالم السفلي، أو Hades. وقد لعب نهر النسيان هذا دوراً كبيراً جداً في الاساطير اليونانية منذ عصر هوميروس حتى وقت متأخر من الحضارة اليونانية. وامتد أثره إلى العالم الروماني والعصر الحديث أيضاً. كما هو الحال بالنسبة للغابة المقدسة أو حدائق الهسبيرديس (سيدات الغرب).
5 - Tauchira طوكرة. وكانت تسمى في عصر البطالمة Arsinoe زوجة بطليموس الثالث
6 - Barce والواقع إن برقة لم يكن اسم بتولومايس القديم. وقد أسست برقة على إثر خلاف أسري بين أركسيلاوس الثاني (القاسي) وبين إخوته، وازدهرت في برقة، رغم خلافها مع قورينا، العلاقات الطيبة مع الأهالي الوطنيين، وأصبح إقليمهما يدعى (برقايا Barcaia) وكان لابد لمدينة برقة وهي مدينة داخلية من ميناء لتجارتها، فكان موقع بتولومايس أحسن المواقع لهذا الغرض، وهكذا نشأت بتولومايس ميناء لبرقة (المراجع).
7 - Phycus رأس سم الحالية.

فوكو إلى مرفأ قورينا 24 ميلاً[1]، وإلى "خرسونيس"[2] 88 ميلاً. ومن خرسونيس إلى "كاتاباثموس"[3] 216 ميلاً.

وسكان هذا الساحل هم "المارماريداي"[4]، وهم يشغلون كل المنطقة على وجه التقريب من إقليم "باريتونيوم"[5] حتى سرت الكبرى.

سرت وما حولها

وبعد هؤلاء هناك "الأكروكيلس" ثم النسامونس[6] عند نهاية خليج سرت، وكان الإغريق يدعونهم (المسامونس)[7] بسبب موطنهم، إذ إن هذه الكلمة تعني (في وسط الرمال).

نباتات قورينا

وتعتبر منطقة قورينا إلى عرض 15 ميلاً من الساحل صالحة حتى لنمو الأشجار، ولكن لا ينمو عند التوغل في الداخل لنفس المسافة إلا الحبوب، وبعد ذلك – وعلى شريط عرضه 30 ميلاً وطوله 250 ميلاً – لا ينمو نبات سوى (السلفيوم).

سرت وما بعدها غرباً وجنوباً

ونأتي بعد النسامونس إلى مساكن (الأسبوتاي) و(المكاي)[8] ومن ورائهم على مسيرة إثنى عشر ميلاً من سرت الكبرى يأتي (الأمانتس). وهؤلاء محاطون

1 - النص: من رأس فوكو إلى رأس أبولونيا.
2 - Chersunnes رأس الطين الآن.
3 - Catabathmus السلوم الحالية.
4 - marraidae وقد ظهر اسمهم أول مرة عند (سيكلاكس Scylax) كتب حوالي 320 ق.م. وأعطوا اسمهم للإقليم الذي استوطنوه – هو إقليم مارماريكا أو المرمريق – شرق ليبيا. عبد العليم: دراسات. ص 75.
ويقول (يوسيوس) في كتابه (الحرب اليهودية) ص 473 من طبعة (لويب) في معرض حديثه عن قوة الرومان الذين لم يستطع أن يقهرهم (لا القورينيون أعقاب الإسبرطيين، ولا المارماريداي ذلك الجنس الممتد على طول الأقاليم المجدبة، ولا السرتيّون الذين اسمهم الرعب في القلوب).
5 - Paraeronium مرسى مطروح الآن.
6 - Nasamonium قارن: هيرودوتس، الكتاب الثاني، فقرة 32. الكتاب الرابع فقرة 172.
7 - Masamones أنظر: بليني، الكتاب التاسع عشر. فقرة 15 والتعليق.
8 - Asbytae أو Asbystae و Macae.

كذلك بالرمال في الناحية الغربية، ولكنهم مع هذا يجدون الماء دون مشقة على عمق حوالي ثلاثة أقدام، حينما تستقبل المنطقة فيض مياه "موريتانيا"[1] وهم يبنون مساكنهم من قطع الملح تقطع من جبالهم كالصخر.

سكان الكهوف وفزان

ومن هؤلاء – وعلى مسيرة سبعة أيام تقريباً إلى الجنوب – نجد "سكان الكهوف" وهم الذين لا تتعدى صلتنا بهم تجارة الحجر الكريم المجلوب من إثيوبيا، وهو ما نسميه نحن "العقيق الأحمر". وقبل بلوغهم – وفي اتجاه الصحراء الأفريقية التي ذكرنا من قبل أنها تقع خلف سرت الصغرى – توجد (فزان) حيث أخضعنا قبيلة فزان[2] ومدن (أليلن) و(كليبا) مثلما فعلنا مع (كيداموس)[3] في اتجاه (صبراتة)[4]. وبعد هؤلاء تمتد سلسلة جبال من الشرق إلى الغرب، ويدعوها قومنا (الجبل الأسود)[5] إذ هي تبدو كأنها قاست من النار، أو لفحتها أشعة الشمس.

أهم معالم فزان

وبعد هذه السلسلة الجبلية هناك صحراء، ثم بلدة القرامنتس تدعى (ثلغاي) وكذلك (دبريس)[6]، وبقربها نبع يغلي ماؤه حارّاً من منتصف النهار حتى منتصف الليل، ثم هو قارس البرودة بعدد الساعات نفسها حتى منتصف النهار[7]. ثم (جرمة) عاصمة القارامنتس الشهيرة[8]. وقد أخضعت جميع

1 - Mauritania والمقصود المنطقة في شمال غرب أفريقيا، بين البحر المتوسط والمحيط الأطلنطي وجبال أطلس.
2 - يعني الرومان.
3 - Cydamus هي غدامس الآن.
4 - Sabratae ويشير بليني في هذا الموضوع إلى حملة كورنيليوس بالبوس سنة 19 ق.م. على فزان. والواقع أن محاولة التعرف على أسماء المدن التي أوردها بليني في هذه الحملة بأسماء مواقع حديثة لم تستقر حتى الآن، ويرى بعض الباحثين أن Cilliba أو Cillaba هي زويلة. (المراجع).
5 - هي جبال الهروج السود.
6 - Thelgae و Debris ودبريس هي ما تعرف الآن بأوباري.
7 - راجع هيرودوتس. الكتاب الرابع. فقرة 181.
8 - Garama ولا تزال آثارها حتى الآن.

مواطنهم بيدي روما حين فتحها (كورنيليوس بالبوس)[1] الذي أعطي نصراً هو الأجنبي الوحيد الذي نال شرفه، وحقوق المواطنة كذلك؛ ولذا فإنه منح وعمه الأكبر (بالبوس) مواطنيتنا على الرغم من أنه من أبناء قادش[2].

بالبوس والصحراء الكبرى

وهناك كذلك هذه الحادثة المشهورة، وهي أن كتابنا سجلوا أسماء البلدان المذكورة آنفاً كأنما أخذها هو، وذكروا أنه حمل في موكب نصره إلى جانب غدامس وجرمة أسماء وصور جميع الأجناس والمدن الأخرى التي سارت على هذا الترتيب: بلدة "تبستي" قبيلة "نيتريس" بلدة "ملجيس جميلا"، قبيلة أو بلدة "فيبابو"، قبيلة "الأنيبي"، بلدة "ثوبين"، الجبل المعروف بالجبل الأسود، البلدتان المدعوتان "نيتبروم" و"رابسا"، قبيلة "فسكيرا"، بلدة "ديكري"، نهر "ناثابور" بلدة "تابساغوم" قبيلة "تامياجي"، بلدة "بوين"، بلدة "بيجي" نهر "داسيباري"، سلسلة بلدان "باراكوم" "بولوبا"، "آلاسيت"، "غالسا"، "بالا" "ماكسالا"، "كيزانيا" وجبل "غيري" الذي قدمت صورته في نقش على أنه كان موضعاً تستخرج منه الحجارة الكريمة[3].

اكتشاف طريق جديدة

وقد كان مستحيلاً قبلئذ أن تشق طريق إلى بلاد القرامنت، إذ ان قاطعي طرق ذلك الجنس يملأون الآبار بالرمل، وهذه الآبار لا تحتاج إلى حفر عميق لو كنت معانا بمعرفة مواقعها. وفي الحرب الأخيرة التي شنت على أهل أويا في بداية قنصلية (فسباسيان)[4] اكتشف طريق لمسافة أربعة أيام فقط، وهي المعروفة

1 - C. Balbuus مواطن من قادش، عمل مع بومبي وقيصر وأغسطس ومنح حق المواطنة الرومانية وكان أول من حصل عليها، وذلك في القرن الأول ق.م.
2 - Gadiz أو Gadiera في الطرف الغربي من إسبانيا.
3 - بلدة Tibesti قبيلة Niteris، بلدة M. Gemella، قبيلة أو بلدة Febabo، البلدتان المدعوتان Nitibrum و Rabsa (لعلها غات الآن)، قبيلة Viscera (أمزيرة الآن)، بلدة Decri (أم العبيد الآن)، نهر Nathabus (نهر ثيسافا)، بلدة Thabsagum (سافا)، قبيلة Thamiagi، بلدة Boin، بلدة Pege (ونيغا)، نهر Dasibari (لعله نهر النيجر الآن) سلسلة بلدان: Baracum (براك) Cizania، Maxala، Balla، Gala، Alasit، Buluba وجبل Gyri.
4 - Flavius Vespasianus إمبراطور روماني (69 – 79 ب.م).

بطريق (رأس الصخرة).

آخر حدود قورينا

ويدعى آخر موقع في مقاطعة قورينا (كاتاباتموس) وهي بلدة ووادٍ يهبط فجأة. وطول قورينا الإفريقية من سرت الصغرى إلى الحد هو 1060 ميلاً وعرضها – بالقدر المتحقق منه – يبلغ 810 أميال.

فقرة 6

مواقع ليبيا الشرقية والمسافات بينها

وتدعى المنطقة التالية "ليبيا ماريوتيس"1 وهي تحد بمصر ويشغلها المرماداي والادورماخيداي، ثم المريوتاي. والمسافة بين كاتاباتموس وبرايتونيوم هي 886 ميلاً، وبينهما في داخل تلك المنطقة توجد "أبيس"2 – وهو مكان له شهرته في الديانة المصرية. والمسافة من أبيس إلى برايتونيوم هي 62.5 ميل. ومن برايتونيوم إلى الاسكندرية 200 ميل. وعرض المنطقة 169 ميلاً. ويقدر "ايراستنيس"3 المسافة بطريق البر من قورينا إلى الإسكندرية بـ 525 ميلاً. وقد جعل "أغريبا"4 طول أفريقيا كلها من "الأقيانوس"5 متضمنة مصر السفلى 3000 ميل. وجعل بولوبيوس وايراستنيس – اللذان يعتبران كاتبين دقيقين تمام الدقة – المسافة من الأوقيانوس إلى قرطاجنة الكبرى 1100 ميل. ومن قرطاجنة الكبرى حتى أقرب فرع للنيل، وهو الفرع الكانوبي6، 1628 ميلاً.

1 - Libya Mareotis أو ليبيا مريوط.
2 - Apis زاوية الرخم، إلى الشرق من السلوم على الحدود الليبية – المصرية.
3 - Eratosthenes عالم رياضي شهير، وكاتب أثّر في عصره وما بعده، وجغرافي عظيم كانت له منجزات رائعة. ولد في قورينا سنة 276 ق.م. تقريبا وتتلمذ لكاليماكوس – مواطنه – في الإسكندرية. ودرس الفلسفة على يد أرستون واركسيلاوس في أثينا. وتولى في عهد بطليموس الرابع أمانة مكتبة الاسكندرية، حيث انجز مؤلفه (الجغرافيا) الذي استفاد منه (سترابو) استفادة لا تحد. وقد كان ايراشتنيس رياضيّاً وفلكيّاً وعالماً وشاعراً وناقداً عظيماً.
4 - Agrippa ولعله السياسي الروماني M. Vepsanius Agrippa القرن 1 ق.م. وكان له مؤلف جغرافي فقد.
5 - المحيط الاطلنطي.
6 - Canupus يعني الفرع الغربي من النيل بعد تفرعه عند الدلتا وهو فرع دمياط.

ويجعل (ايزدورس)1 المسافة من (طنجة) إلى الفرع الكانوبي 3599 ميلاً، وهذه ذاتها تقل 400 ميلاً حسب تقدير "أرتميدوروس"2.

فقرة 8

في داخل إفريقيا

وفي محيط إفريقيا الداخلي صوب الجنوب وخلف (الغيتولي)3 بعد شريط صحراوي متوسط، فان أول السكان جميعاً هم الليبيون المصريون، ثم الشعب المسمى في اليونانية (الأثيوبيين البيض) ثم توجد خلف هؤلاء بطون (النيغريتاي)4 الأثيوبية المسماة باسم النهر المذكور آنفاً، وقبيلة (الغمنوتيس الفاروسيين)5. ثم بعد ذلك هناك على تخوم الأوقيانوس (البيرورسي) الذين تحدثنا عنهم على حدود موريتانيا. وإلى الشرق من هؤلاء هناك أقاليم واسعة غير آهلة تمتد حتى القرامنت والأوجليين6 وسكان الكهوف.

والرأي الذي يمكن الاعتماد عليه أكثر من سواه هو رأي أولئك الذين يميزون بين قسمين من الأثيوبيين وراء الصحراء الإفريقية، وخاصة "هوميروس" الذي يخبرنا بأن الأثيوبيين قسمان: قسم شرقي وآخر غربي.

1 - Isidorus Hespalensis وله كتاب Etymologeac وكتاب Origines.
2 - Artemidorus جغرافي يوناني عاش في القرن الثاني ق.م. له 12 كتاباً عن الجغرافيا العامة لم يبق منها شيء، إلا أن سترابو Strabo استفاد منها وحفظ عن طريقه بعض شذراتها.
3 - Gaetullii كانت قبائل الغيتولي تعيش في صحراء الجزائر تقريباً، وان كانت تمتد شرقاً وغرباً. وهي على امتداد قبائل القرامانتس في فزان. وقبائل الغيتولي بدوية عرفت بفنها في القتال. وقد قاد (كورنيليوس كورسوس) حملة ضدها عام 6 م. ولعل أسم الغيتولي يرتبط في النزاع مع الرومان أكثر ما يرتبط بـ(تاكفاريناس Tacfarinas) وهو جندي نوميدي كان يعمل في الفرق المساعدة الرومانية وخبر الشئون العسكرية الرومانية، وأصبح زعيماً لقبيلة (الموسولاي) إحدى قبائل الغيتولي، ثم هزمه الرومان بعد حرب استمرت ثماني سنوات (المراجع).
4 - Nigritae قارن: سترابو. الكتاب السابع.
5 - Pharusian Gymnetes أو الفاروسي Pharusii ويقول المؤرخ الروماني سالوست Sallust إن هرقل اختفى في إسبانيا فتبعثرت فلول جيشه المكون من الميديين والأرمن والفرس في شمال أفريقيا، واختلط هؤلاء الفرس (أو الفاروسي) بقبائل الليبيين والغيتولي المجودة قبلهم. (أنظر Bates صفحة 255) وكان الفاروسيون يركبون الخيول، ويساخدمون العربات (سترابو. الكتاب السابع).
6 - Augilae أنظر: هيرودوتس، الكتاب الرابع. فقرة 183.

نهر النيجر

ولنهـر "النيجر"1 نفس طبيعة نهر النيـل: فنباته الغاب والبردي، وحيواناته نفـس حيوانات النيل. وهو يفيض في نفس الفصول من السـنة. ويقع منبعه بين قبائل "الترايلي" و "الأويخاليكاي" وعاصمة القبائل الأخيرة هي "ماجيوم".2. وفي وسـط الصحراء – كما يرى البعض – توجد قبيلة "أطلس"3 وتليها قبيلة "ماعز البان"4 "والبلمّاي"5 و"القمفزانتس"6 و"السـاتير"7 و"الهيمانتوبوديس"8.

قبيلة أطلس

وقد انحدرت قبيلة أطلس إلى ما دون مستوى المدنية الإنسانية، إذا صدقنا ما يقال، إذ لا يخاطب أحدهم الآخرين بأي من الأسـماء. وعندما يدركون شروق الشـمس أو غروبها يسبونها سبّاً مقذعاً، لأنها سـبب البلاء لهم ولحقولهم. وعندما ينامون لا يحلمون كبقية الناس9.

سكان الكهوف

أما سكان الكهوف فيجوفون مغارات هي مساكنهم. وهم يعيشون على لحم الثعابين. ولا صوت لهم، ولكنهم يحدثون أصواتاً كالصراخ، وهم محرومون

1 - الراجح أنه ليس النهر المعروف بهذا الإسم الآن.
2 - قبائل Tarraelii والـ Oechalicae والعاصمة هي Magium.
3 - Atlas أنظر: هيرودوتس. الكتاب الرابع فقرة: 184.
4 - Goat – Pans و(البان) عند اليونان هو إله الرعي وقطعان الماشية. وكان يظهر للمسافرين وفي الغابات بأقدام ماعز وشعر كثيف فيسبب لهم الخوف الرهيب. وعرف عنه الرومان باسم Faunus.
5 - Blymmyes هم في رأي الكثير من الباحثين (البجاة Beja) الحاليون الذين يسكنون بين النيل النوبي والبحر الأحمر، وكانوا يغيرون على مصر العليا مما دفع الامبراطور (دقلديانوس 248 – 305 م) إلى أن يدعو النوباتيين للإقامة في النوبة السفلى كإجراء مضاد لغارات البليميين (المراجع).
6 - Gamphasantes وقد عناهم هيرودوتس أيضاً (الكتاب الرابع – فقرة 174) عندما اسماهم (بالقرامنتس) – يسكنون في أرض الوحوش ويتحاشون رؤية الناس وينفرون من صحبتهم. ولم تكن لهم أسلحة حرب ولا يعرفون كيف يدافعون عن أنفسهم (المراجع).
7 - تمثل السـاتير Satyrs في الأساطير اليونانية الأرواح الأولية للغابات والجبال: فهي جنس من (جن الغابات) التي يثير ظهورها المفاجئ الذعر والرعب بين الرعاة والمسافرين. لها آذان مدببة وقرون قصيرة وأجسام بشرية تنتهي بسيقان ماعز. (المراجع).
8 - Himantopodes وهو اسم يوناني مركب من كلمتين: القدم والسيور الجلدية. مما يشير إلى أن هذا الشعب – عند بليني – عرف بأقدام تشبه السيور الجلدية إلى حد كبير. (المراجع).
9 - قارن: هيرودوتس. الكتاب الرابع فقرة: 184 – 191.

كلية من التفاهم عن طريق الكلام1.

القرمنت والأوجليون القمفزانتس البليميون الساتير

ولا يمـارس القرامنـت الزواج، بل يعاشـرون نسـاءهم مختلطـين2. ويعبد الأوجليـون قوى العالم السـفلي فقـط3. أمـا القمفزانتس فأنهم يسـيرون عراة ولا يشـتبكون فـي معركة. ولا يتصلون بالأجانب علـى الإطلاق. ويروي أن البليميـين دون رؤوس، أفواههـم وعيونهـم ملتصقة بصدورهم4. ولا يشـترك السـاتير مع البشر في أي شيء ما عدا الشـكل الإنساني. وشكل أفراد قبيلة ماعز البان هو ذاك الذي يرى في صورهم عموما.

الهيمانتوبوديس والفاروسي

الهيمانتوبوديس شعب بأقدام كالسيور الجلدية، ومن طبيعتهم أن يزحفوا بدلاً من أن يمشـوا. ويقال إن (الفاروسـيين) – وهم في الأصل شـعب فارسـي – رافقوا (هرقل)5 في رحلته إلى سيدات الغرب (الهسبيرديس).

وليس هناك شيء آخر بقي علينا أن نذكره عن إفريقيا.

1 - يعني أنه ليست لديهم لغة بشرية مركبة من حروف وأسماء وأفعال.
2 - قارن: هيرودوتس. الكتاب الرابع فقرة 172 والتعليق.
3 - ربما كان يعني أنهم لا يعبدون الشمس والقمر ككثير من الليبيين غيرهم. أما إله العالم السفلي عند اليونان فهو بلوتو Plito وتدعى مملكته السفلى عالم الهايدس Hades وهو أسمه الأصلي. وقد عبده الرومان كذلك باسم Dis.
4 - قارن: هيرودوتس الكتاب الرابع، فقرة 191. وكل هذا ضرب من الخيال العلمي الذي لا يصمد للنقد.
5 - Heracles بطل إغريقي أله. أنظر: ديودوروس الصقلي، الكتاب الثالث فقرة 55 – وكان من جملة أعمال هرقل العظيمة التي كلفته بها الآلهة أن حصل عليها وحملها إلى الآلهة التي أعادتها إلى موضعها بعد ذلك.

اللوتس شجرة السلوان

تعريف

نبتان كانا من أشهر نباتات ليبيا قديماً، وكان لهما صيت ذائع وشهرة فائقة. أولهما شجرة اللوتس، وثانيهما نبات السلفيوم، وسيلي الحديث عن الأخير بعد قليل.

وقد انتشر خبر شجرة اللوتس العجيبة في العالم القديم، منذ أن أتى به الشاعر اليوناني الأشهر (هوميروس) في الأوذيسة حين روى مغامرة أوديسيوس – أوعليلوس – وبحارته على ساحل أكلة اللوتس غربي ليبيا. ووصف كيف كان يصيب من يأكله بسلوان كل شيء إلا طلب المزيد من هذه الفاكهة ذات الطعم العسلي المدهش، فينسى أهله ووطنه وصحبه ويرتمي على الساحل السحري يستمتع بغيبوبة منتشية ويذيب حشاشة نفسه مع كل حبة يأكلها من هذه الشجرة المدهشة. يقول هوميروس على لسان أوديسيوس:

" من ذاق مرة ذاك الطعام الشهي

سلا وطنه ورغب عن الإياب إليه أبداً.

لن يعرف صحبه مصيره،

فمن اشتهى من رسلي أن يحيا

بين أكلة اللوتس ويطعم تلك الفاكهة.

فلن يعود أبد الدهر".

ثم أغرق الشعراء وكتاب الأساطير في الحديث عن فاكهة اللوتس، وذكرها هيرودوتس، الكتاب الرابع، فقرة 175 كما مضى. ولم يقتصر الأمر على الشعراء الأقدمين؛ بل هو امتد إلى المحدثين منهم ممن تأثروا بأساطير العالم القديم، فنرى الشاعر الانجليزي المعروف (تنيسون) يتحدث عنه في قصيدة كاملة أطلق عليها أسم (أكلة اللوتس) فيقول:-

" حملوا أغصان تلك الشجرة المسحورة،

وتبادلوها مثقلة بالزهر والثمار..

فمن تناولها وتذوقها حمله تيار الموج

إلى بعيد..

فيظل ينتحب ويهذي على السواحل الغريبة.

وإذا تكلم رفيقه جاء صوته خافتاً،

كأنه يصدر من قبر،

ويمضي في سبات عميق وهو الصاحي كل الصحو.

ودقات قلبه ترسل في أذنيه أنغاما شجية".

ويقارن بليني بين هذا اللوتس الذي يؤكل ثمره وبين اللوتس المصري وهي مقارنة جديرة بالتسجيل، ذلك أن اسم النباتين واحد مع الفارق الكبير بينهما. فاللوتس المصري عشب كان ينمو في أحراش الدلتا ومستنقعاتها ويكتمل نموه عند انحسار مياه فيضان النيل، ويشبه نبات الفول في ساقه وأوراقه، وتنمو ثمرته على رأس النبات، وهي تشبه ثمرة الخشخاش تماماً، وتحتوي على حبوب دقيقة مثل حبات الذرة الرفيعة (القصب). وقد كانت زهرة اللوتس المصرية شائعةً جداً في رسوم المصريين القدماء وزخارفهم وفنونهم المختلفة.

ولعل عدم تحديد ماهية نبات اللوتس الليبي هذا واختلاط الأمر بينه وبين اللوتس المصري حتى عند المؤرخين الأقدمين كان سبب بلبلة في تعيينه، فقال البعض إنه فصيلة من النبق. وقال آخرون أنه ضرب من نبات الخشخاش المعروف في ساحل الإقليم الغربي من ليبيا باسم (القنقيط) والمنتشر فيها انتشاراً عظيماً حتى اليوم. وهو يشبه اللوتس المصري وبه خواص تخديرية يعرفها عامة الشعب في ليبيا. وتأكله العذارى مخلوطاً بالكسكسي لمعرفة حظهن في الزواج. فيكون له تأثير مخدر ويحدث هذياناً وأحلاماً قد يستمران اليوم بطوله.

الكتاب الثَالِث عَشَر

فقرة 32

اللوتس في ايطاليا

وتنتج إفريقيا أيضاً – في أجزائها التي تتجه نحونا – شجرة شهيرة هي (اللوتس) وتسمى باللغة الدارجة (كلثيس). وهي التي أدخلت كذلك إلى التي أدخلت إلى ايطاليا لكنها فسدت بتغير التربة.

أفضله حول سرت تحديده

ويوجد أفضل اللوتس حول سرت ومنطقة النسامونس. وهي في حجم الكمثرى رغم أن (كورنيليوس نيبوس)1 يذكر أنها ثمرة صغيرة. وتشبه الحزات التي في أوراقها حزات أوراق السنديان. ألا أنها أكثر عدداً. وهناك أنواع عديدة من اللوتس تختلف أساساً في ثمارها. وهذه التي نتحدث عنها الآن. في حجم حبة الفول. وفي لون الزعفران. لكنها تغير من لونها عدة مرات قبل أن تنضج. كالأعناب. وهي تنمو في عناقيد كثيفة فوق الأغصان مثل حب ثمار الآس. وليست كالكرز كما هو الحال في ايطاليا.

اللوتوفاجي

وهي في موطنها لذيذة حينما تؤكل حتى لقد أعطت اسمها لجنس من الناس2 ولبلاد مضيافة للغرباء الذين يأتونها فتجعلهم بلدهم الأصلي. ولا

1 - Cornelius Nepos مؤرخ روماني وصديق شيشرون اشهر خطباء الرومان (القرن 1 ق.م.) مات في عهد أغسطس وقد حفظ لنا الزمان من مؤلفاته:
"De xcellentibus Ducibut Exteranum Gentium"
وهو جزء من مؤلف باسم: "Deviris Illustiibus" أنظر ترجمة J. C. Rolfe في سلسلة Loeb.

2 - هو شعب اللوتوفاجي Lotophagi قارن: هيرودوتس. الكتاب الرابع فقرة 177.

يحتـوي أفضل أنواعــه علـى حب فـي باطنــه. أما الأنواع الأخــرى فتحتوي علـى نواة ذات مظهر عظمـي. كذلك يعصر من هذه الثمرة خمر يشبه البتع[1] وهـو - طبقاً لقول نيبوس مرة أخرى - لا يصلح لأكثر من عشرة أيام. وهو يذكر أن الحب يفرم مع الحنطة ويحفظ في براميل خشــبية للطعام. ونحن نعرف بالفعل أن جيوشاً أقتاتت بهذا الطعام عندما كانت تجوب إفريقيا جيئة وذهوباً.

استعمالات اللوتس

وخشــبه ذو لون أسود. وهو مطلوب لعمل النايات المطربة[2] بينما يتخذ من الجذع مقابض المدى وأدوات قصيرة أخرى.

فقرة 33

بين اللوتس والغار

ويضع إقليم قورينا اللوتس في مرتبة أدنى من شـجرة غاره[3]. وهذا أقرب ما يكون في طبيعته إلى الشـجيرات. وثمرته اشـد احمراراً. وهي تحتوي على نواة تؤكل أو هي مستسـاغة في حد ذاتها. ويحســن طعمها بأن تغمس في الخمر. كمــا أن إضافة عصيرها إلــى الخمر يجوِّد نوعه. أما داخل إفريقيا فينتشـر فيه النخيــل حتى القرامنــت والصحراء. وهو نخيل مشــهور بحجمه وثمره المفرط الحلاوة. وأشهره ما كان مجاوراً لمعبد آمون[4].

1 - شراب يتخذ من العسل.
2 - نذكر أن للشــاعر الانجليزي "تنيســون" قصيدة بديعة عن حوريات الهسبيرديس ونايات اللوتس العجيبة. قارن أيضاً: اثيناوس في (مائدة الفلاسفة).
3 - يعني أن القورينيين يفضلون ثمرة الغار على اللوتس.
4 - في سيوه، ولا يضاهي ثمر نخيل فزان جودة إلا بلح سيوه.

السلفيوم

الذهبُ الأخضَر

تعريف

"ما أروع أرضك يا ليبيا وما أكثر مباهجها!

هناك يجود السلفيوم بعصيره في قورينا.

وهناك معبد آمون المثير.

وهناك قبر باتوس المقدس العريق".

بهـذه الكلمات غنى الشـاعر الرومانـي (كاتلوس) لحبيبته (لسـبيا) وهو يحدثها عن حبه الذي جعله يطوف العالم في سبيلها:

ويقول (انثيباتس) في روايته (العشاق التعساء).

"أواه! أنــا لن أأوب إلى الوطن الذي نفيت منه.. فلأقل وداعاً لكل العواطف. لكل الخيول. وعرباتها. ولسباق الحواجز..

ووداعاً للسلفيوم. وحزمه. وأوراقه. وعصيره العجيب!!"

وقـد ذكـر "أرسـتوفان" الشـاعر الكوميـدي اليونانـي "445-380 ق.م." السـلفيوم في عدد من مسـرحياته. في "الطيور" تشـكو إحدى الشخصيات قائلة: "إنهم لا يشوونك ويعذبونك فحسب. بل يبشرون جُبْنهم وسلفيومهم أيضاً!". وفي مكان آخر من نفس المسـرحية تقول شخصية: "ناولني البشارة .. احضر السلفيوم. ثم الجبن بعدئذ".

وفي مسـرحية "بلوتوس" هنـاك ملاحظة عن قيمة السـلفيوم: "ثم انك لن تغيِّرني حتى وان أعطيتني سـلفيوم باتوس جميعه". وفي "الفرسان" تقول شخصية متحسرة: ""

ألا تذكر عندما كان ساق السلفيوم يباع بسعر التراب؟!".

وأورد الكاتـب الرومانـي "بلاوتـوس" في مسـرحية "رودنز" حـواراً ممتعاً عن السـلفيوم بـين شـخصيتين من شـخصيات مسـرحيته يتبين منـه القيمة العظيمة التي كان يمثلها هذا النبات العجيب.

فما سر هذا النبات وشهرته تلك يا ترى؟.

الحق أن سـر السـلفيوم ظل مسـتغلقاً على الأفهام الحديثة التي وجدت فيما نسـج الكتاب والشـعراء حوله من قصص وأشعار مجالاً خصيباً للنظم والتحقيق، وتعارضت فيه الآراء والنظريات والأقوال.

ولقـد كُتبت مقـالات عديدة عن السـلفيوم، وظهرت بعـض المفهومات عن هذا النبات واسـتعمالاته، غير أنه لم يكن في المسـتطاع تحديده في عالم النبات. وإذا كان اكتشافه من قبل الإغريق قد حدث بعد سنة 631 ق.م. أي بعد اسـتيطان اليونان في قورينا، فإن هذا الحكم يعتمد في الأسـاس على حساب (ثيوفراستوس) من أن هذا النبات ظهر بعد هطول مطر غزير ولم يكن موجوداً قبله. غير أن الدلائل والبحث عن أصل كلمة السلفيوم تشير إلى أنه عرف قبل مجيء اليونان وإنشاء قورينا بسنوات طويلة.

ومـن الصعب تحديد السـلفيوم نباتياً بوضوح – لأنـه كان قد انقرض من عهد بليني الأكبر – ولكن يمكن القول إنه من العائلة الجزرية: فإن ثيوفراستوس يصفه بأنه نبات ذو جذر غليظ وساق مثل ساق الفيرولا (الفيونكا) وورقه كورق الكرفـس أو الكزبـرة – بالإضافة إلى أوصاف بليني له. والرسـم الذي وجد على

خاتم محفوظ في المتحف البريطاني بلندن. ويقول السـيد (شـالمرز جيمل) : إن هنـاك نوعاً من النبات ينمو فـي الحدائق النباتية الملكية فـي (كيو) ببريطانيا يشبه السلفيوم1.

وقد كان السلفيوم عماد ثروة قورينا وأساس ازدهارها. وكانت الدولة تحتكره وتصـدره إلـى مختلف أنحاء العالـم القديم. فكان بحق هـو (الذهب الأخضر) يومذاك، كما يقال عن النفط إنه الذهب الأسـود وعن القطن الذهب الأبيض. وقد وجد قدح في (لاكونيا) صور عليه الملك (اركسـيلاوس) الرابع وهو يشـرف بنفسه على وزن السلفيوم وتعبئته، وكان يباع بوزنه فضة. واستمر الحال حتى بدايـة العهـد الروماني حيـث انقرض هذا النبـات فجأة، كما ظهـر فجأة. وان كان بعض الباحثين يحاول إلقاء المسـئولية على أهـل البلاد الذين عملوا على إفنائه برعي ماشيتهم عليه نكاية في الدولة التي كانت تستولي على أرباحه لنفسها دون أن يستفيدوا منها.

وبلغ من أمر السلفيوم شهرة أن أتُخِذ رمزاً لقورينا، ونقش على نقودها التي أصدرتها خاصة بها في مختلف العهود.

ونوه العلماء والكتاب والحكماء بفوائده الجليلة واستعمالاته العديدة، منذ زمن طويـل. فترى الطبيب اليوناني الشـهير (جالينوس) يذكر أن السـلفيوم يعالج نشاف الرأس وينتج الحرارة. ويقول (ديوسكوريدس) إنه يثير الرطوبة على الجسم، وأوصى به في حالات الصلع العام وأمراض العيون ووجع الأسنان وعضة الكلب والجروح والنزلة الشعبية. وذكره (أثيناوس) في "مائدة الفلاسفة" كنوع فاخـر من التوابل فـي الطعام مثلما فعل (كولوميـلا) و(أبيكيوس). وقد عرف

- راجع:
Chalmers L. Gemell. Silphium, Bulletin of The History of Medicine, Vol. XI, No. 4, July – Aug. 1966
وقد استفدت من مقالته القيمة في هذه المقدمة.

الأقباط السلفيوم. وهو يوصف في كتاب (الطب السرياني) كدواء لأمراض البرد والمعدة والسخونات.

أما عند العرب فيبدو أنه عرف باسم (الحلتيت) الذي حل محل السلفيوم منذ عصر بليني. فنرى أبا بكر الرازي في كتابه (الحاوي) يوصي باستعمال الحلتيت (السلفيوم) ذي الرائحة الطيبة. ويعني القوريني منه. ويذكره الرئيس أبو علي بن سينا تحت باب (الحلتيت) ويعدد فوائده فيقول: (حلتيت. الماهية. قال ديسقوريدوس في كتابه إن الحلتيت صمغ الأنجدان وذلك بأن يشرط أصله وساقه. ثم بعد الشرط يسيل منه الحلتيت. والحلتيت الذي يجلب من قورينا إذا ذاق منه اللسان فانه في الحال يظهر في بدنه كله شيء نحو الحصف. ورائحته ليست بكريهة ولذلك مذاقه لا يغير النكهة تغييراً شديداً. ونوع آخر من الحلتيت المعروف بسوريا. أي من الشام. وهو أضعف قوة من القوريني.. وقد ينبت ببلاد لوبية (ليبيا) شيء شبيه بأصل شجرة الأنجدان الا أنه أدق منه. وهو حريف وليس له صمغ ويدعى مأخوذ الصف ويفعل فعله. وبالجملة الحلتيت صنفان. منتّن. وطيب ليس بقوي الرائحة. وأسخنهمب الطيب وهو أشد جنسية نارية في جميعه وأكثر هذا النوع قوريني).

ويضيف الرئيس أبو علي بن سينا إلى هذا استعمالات السلفيوم فيذكر أنه يعالج: ريح البطن. تخثر الدم في الجوف. الصلع ما يطيب الطعام. كما يعالج الثآليل. والأورام. والبثور. والجراح. والقروح. وآلام المفاصل. والأعصاب. والفالج. والأضراس المتآكلة. والصرع. يزيل العلق من الحلق. ماء العين. السعال المزمن. ورم اللهاة. اليرقان. البواسير. ويستعمل كمسهل وقابض. كما أنه عظيم النفع في حمى الربيع. والسموم - خاصة العقرب والرتيلاء وعضة الكلب والسهام المسمومة. شرباً وطلاءً بالزيت.

أما علي بن العباس المجوسي فقد أشار في كتاب "الملكي" إلى فائدة السلفيوم في حالة مرض القولنج "التهاب المخاط الغشائي للمعي الغليظ". وفي طلب الإسهال وإسقاط الأجنة الميتة. كما أشاد به ابن البيطار[1] وأحمد ابن محمد الغافقي الطبيبان. وقد تسرب خبر السلفيوم في العصور الوسطى إلى أوروبا عن طريق "فينيسيا" وهو انتقل إليها باسم Cucous Cyrenaicus فنرى أن "جون جيرارد" في القرن السادس عشر يقول: ان السلفيوم "وأفضله ما جاء من أعالي جبال قورينا في إفريقيا وذو رائحة طيبة" يداوي تجلط الدم كما يزيل العلامات الزرقاء والسوداء من على الجسم. ويعالج مرض الاستسقاء. والورم الحاد. والنقرس أو داء النفاصل.

ثم لا نعود نسمع عن السلفيوم إلا خبره المتواتر. وان ظل استعمال الحلتيت - أو أبو كبير - شائعاً في كثير من المواطن. وصار يؤتى به من سوريا وفارس. كبديل لسلفيوم قورينا الطيب العجيب الذي حارت الأذهان فيه وشغل بال كثير من العلماء والشعراء والمفكرين.

1 - يجد القارئ في نهاية هذا النص ما كتبه ابن البيطار في كتابه "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية" عن السلفيوم حتى نلم بصورة عن تصور الأطباء العرب لهذا العقار العجيب وقد الم ابن البيطار بما كتبه سابقوه وجمعه في هذا النص.

الكتابُ التّاسع عَشر

فقرة 15

كيف انقرض

وبعد هذا سنتكلم عن (عصير السلفيوم)1 وهو نبات مهم مشهور، و(السلفيوم) هو الاسم اليوناني لهذا النبات، وقد وجد أصلاً في مقاطعة قورينا. ويدعى عصيره (لازر) وهو يحتل مكانة عظمى في الاستعمال العام وكذلك في العقاقير. ويباع بما يساوي وزنه من الدنانير الفضية. وهو لا يوجد في تلك البلاد الآن منذ سنوات عديدة لأن ملتزمي الضرائب الذين يستأجرون المراعي جردوها منه تماماً برعي الغنم عليه، مدركين أنهم يستفيدون أكثر بتلك الطريقة2.

وقد وجد هناك ساق واحدة فقط – على ما تعي ذاكرتنا – أرسل إلى الإمبراطور (نيرون)3.

دليل أكل السلفيوم

وإذا تصادف أن وقع قطيع يرعى على أحدى نباتاته اليانعة الغضة وأكلها

1 - يرجح أنه النبات الذي يطلق عليه علمياً اسم: Ferula Tingitana وكذلك F. Marmarica (أنظر تعليق H. Rackham في ترجمته لبليني Nat. Hist. ص 444). ويحسن أن أورد هنا ما ذكره C. T. Lewis وزميله في A Latin Dictionary ص (1038 ، ص 1699) حيث يقول: إن اللازر هو عصير نبات الـ Laser Pitium وهو الـ Asafoetida، وقد أطلق عليه فيما بعد اسم Laser Picium وهو ليس السلفيوم الذي كان العصير Laser يحصل عليه منه. وقد كانت كلمتا سلفيوم Silphium ولازر Laser تستعملان بنفس المعنى عند الإغريق والرومان (المراجع). وقد كانت الترجمة الانجليزية لكلمة Laser Picium هي Laser – Wort وربما أمكن ترجمتها إلى العربية بـ (ساق العصير) لكنني فضلت الأصل اليوناني (سلفيوم) كنبات و(عصير السلفيوم) المستخرج منه، لأنه أشهر وأسهل عند التعبير، وهو كذلك المقصود على كل حال.

2 - هذا يخالف تفسير (سترابو) لانقراض السلفيوم.

3 - Neron إمبراطور روماني حكم في سنة 54 – 68 م. وقد أصيب في أواخر أيامه بلوثة جعلته يعتقد أنه شاعر عبقري وهو الذي قام بحرق روما. ومات منتحراً بعد أن فتك بعدد كبير من خيرة شخصيات الرومان.

فأنه يمكن الاستدلال على ذلك من أن الأغنام سرعان ما تنام بعد أكلها له، كما ينتاب الماعز نوبة من العطش.

روما والسلفيوم

ولم يجلب السلفيوم منذ زمن طويل خلا ما ينمو فارس وميديا وارمينيا1 بكمية وافرة، لكنه أدنى نوعاً بكثير من النوع القوريني. بل إنه يغش كذلك بصمغ (الساكوبنيوم)2 أو بالبقول المجروشة. ولعل هذا يلزمنا أن لا نغفل ما حدث في عهد قنصلية (كايوس فاليروس) و(ماركوس هيرنبوس). من استيراد ثلاثين رطلاً من عصير السلفيوم عن طريق الحكومة. وان قيصر3 - أثناء دكتاتوريته في بداية الحرب الأهلية – سحب من الخزينة – مع الذهب والفضة – 1500 لبرة4 من نبات السلفيوم.

كيف ظهر لأول مرة

ويذكر أكثر مؤلفي اليونان ثقة أن هذا النبات ظهر للمرة الأولى بجوار "حدائق سيدات الغرب"5 وسرت الكبرى، بعد أن تشبعت الأرض فجأة بالمياه فأصبحت في لون القار، على أثر وابل من مطر. وقد كان هذا قبل تأسيس مدينة قورينا بسبع سنوات6، وهو عام 143 لمدينتنا7 وأن أثر هذا امتد عبر 500 ميل من إفريقيا. وأن نبات السلفيوم كان نما على نطاق واسع في تلك البلاد كعشب بري تماماً، وهو إن زرع أفلت إلى الصحراء. وأن له جذراً كبيراً وعليه ساقاً يشبه ساق الشمر (الفيونكا) ويماثله في السمك.

1 - Armenia البلاد الواقعة ما بين البحر الأسود وبحر قزوين.

2 - Secopenium وفي اليونانية Sagapenon وهو نبات ذو عصير صمغي تشبه زهرته المظلة أو الخيمة.

3 - يعني يوليوس قيصر، من أشهر وأعظم ساسة وأباطرة الرومان. ولد عام 102 ق.م. تقريباً وأغتاله خصومه السياسيون – ومعهم صديقه بروتوس – سنة 44 ق.م.

4 - ميزان روماني يساوي رطلاً واحداً تقريباً.

5 - انظر: بليني – الكتاب الخامس. فقرة 5.

6 - المعروف أن قورينا أنشئت سنة 631 ق.م.

7 - يقصد مدينة روما.

أوراق السلفيوم وساقه

وتدعى أوراق هذا النبات (ماسبيتوم) وهي قريبة الشبه بالبقدونس، وبذرته تشبه الورقة. أما الورق الحقيقي فيسقط في الربيع، وكان المألوف أن ترعاه الماشية، وكان أثره في البداية كأثر المسهل، ثم تسمن الحيوانات وتصبح لحومها من نوع مستطاب إلى درجة عجيبة. وبعد أن يسقط النبات أوراقه يأكل الناس ساقه الحقيقي مطهواً بشتى طرق الطهو، مسلوقاً ومشوياً. وهو يفعل معهم أيضاً فعل المسهل في الأسابيع الستة الأولى.

كيف يحصل منه على العصير

ويحصل على العصير في العادة بطريقتين، من الجذر ومن الساق. وكان الاسمان المطابقان له هما: (ريزياس) و(كاولياس)[1]، والثاني أدنى من الأول نوعاً وقابل للفساد. وللجذر قشرة سوداء. وكان العصير نفسه يغش – لأغراض تجارية – بأن يوضع في أوعية ويضاف إليه خليط نخالة، ثم يرج حتى يبلغ حالة النضج، وهو يفسد لولا هذه المعالجة. وكان دليل نضجه لونه وجفافه واختفاء العصير الرطب منه تماماً.

جذره وبراعمه

وتذكر روايات أخرى أنه كان لهذا النبات جذر يزيد طوله عن 18 بوصة، عليه دائماً نتوء بارزة فوق سطح التربة، فإذا ما أُحْدِث حَزٌّ في هذه النتوء فان عصيراً يشبه اللبن يتدفق منه. وانه كان هناك ساق ينمو فوق النتوء يدعونه (ماجيداريس)[2]، كما للنبات أوراق ذات لون ذهبي تقوم مقام البذرة، تسقط

1 - من الكلمتين اليونانيتين Rizias وتعني الجذر، Caulais وتعني الساق.

2 - Magidaris ونلاحظ أن ابن سينا يسمى السلفيوم نبات "الأنجدان". فيقول: "إن الحلتيت صمغ الأنجدان وذلك بأن يشرط أصله وساقه، ثم بعد الشرط يسيل منه الحلتيت". "القانون في الطب" ص 316 من الكتاب الثاني في الأدوية المفردة. طبعة بولاق 1294 هـ قارن: ابن البيطار، "الجامع لمفردات الأدوية والأغذية". مادة: أنجدان. وقد حدثني الأستاذ عبد الله القويري بأنه سمع عن نبات لا يزال موجوداً في الجبل الأخضر يسمى (الدرياس) إذا أكلته الغنم في فصل ولم تكن أكلته في الربيع ماتت في حينها. فإن كانت أكلته في فصل الربيع وأطعمته صيفاً لم يصبها شيء. ويقال للأغنام الطبية "غنم مدربسة" – أي أصابت من (الدرياس) – وهو بما يكون تحريفاً لكلمة (ماجداريس).

عقب ظهور كوكب المشتري وعندما تهب ريح جنوبية. ومن هذه الأوراق المتساقطة كانت تنبثق براعم السلفيوم، ويكتمل نمو الجذر والساق معاً على مدى عام.

وقد ذكر هؤلاء المؤلفون كذلك أنه كان من العادة أن يحفر حول جذور النبات وأنه لم يكن يفعل فعل المسهل مع الماشية، بل انه كان يشفيها إن مرضت، وإلا فأنها كانت تموت في الحال. وكان هذا الأمر الأخير لا يحدث في كثير من الحالات.

وهذه الصورة التي أوردناها تطابق نوع السلفيوم الفارسي كذلك.



رسم متخيل لنبات السلفيوم التي ازدهرت بقورينا في العصور الفائتة

الكتابُ الثاني والعِشرون

فقرة 48

بين السلفيوم والفقاع

إن جميع هذا الكمأ[1] يظهر بعد هطول وابل. والسلفيوم كذلك - كما ذكر - نما للمرة الأولى أثر وابل من المطر. وهو يجلب في الوقت الحاضر من سوريا [2]. وهذا السلفيوم السوري ليس في جودة السلفيوم البارثي وإن كان أفضل من الميدي[3]. أما سلفيوم قورينا فقد انقرض الآن تماماً كما قلت.

الأوراق والجذر استعمالات في الطب مختلفة

وتستعمل أوراق السلفيوم في الطب لتوسيع الرحم وإخراج الجنين الميت كما يستعمل عصيرها المغلي في صناعة خمرة بيضاء زكية الرائحة تشرب بعد الحمام في جرعة تعادل حقاً واحداً. أما جذره فعلاج جيد لالتهابات القصبة الهوائية، ويستخدم كذلك لعلاج رشح الدم. لكن من الصعب هضمه كطعام، إذ يؤدي إلى انتفاخ البطن بالغازات كما يسبب التجشوء. وهو ضار بخروج البول. لكنه مع الخمر والزيت عظيم الفائدة في علاج الكدمات. ومع الشمع في علاج أورام داء الخنازير. وتسقط البواسير إذا ما بُخِّر به عدة مرات.

1 - Fungus يعني النباتات الفطرية أو ما يسمى باللهجة الليبية "الفقاع" ويقول أثيناوس Athenaeus في كتابه (مائدة الفلاسفة Daipnosophistae): "ويدعى الكمأ الذي ينمو في قورينا ميسي Misy وهو طيب المذاق جداً وله رائحة اللحم، مثل الأويتون Oiton في تراقيا". 62 أ د.

2 - قارن: ابن سينا (القانون في الطب، الكتاب الثاني ص 316 ط. بولاق سنة 1294هـ) حيث يقول: ".. ونوع آخر من الحلتيت (يعني السلفيوم - راجع التعريف) المعروف بسوريا أي الشام، وهو أضعف قوة من القوريني".

3 - البارثي نسبة إلى Parthia وهي مملكة قديمة كان موقعها جنوب شرق بحر قزوين، في موضع ما يعرف الآن بمقاطعة خراسان الإيرانية. والميدي نسبة إلى Media وهي مملكة أخرى كانت في شمال غرب إيران. وقد ضمتا كلتاهما إلى فارس الساسانية عام 226 ق.م.

فقرة 49

استعمالات عصير السلفيوم

يستعمل عصير السلفيوم – الذي يستقطر من السلفيوم بالطريقة التي ذكرتها ويعد من أثمن نعم الطبيعة – كعنصر في وصفات طبية كثيرة جداً. وهو وحده يدفئ مرضى البرداء، وإذا أخذ في شراب فإنه يخفف آلام الأعصاب. وهو يعطي للنساء في الخمر، ويستعمل على صوفة ناعمة (كتصويفة) ليثير الطمث، وهو يستخدم مخلوطاً بالشمع في التخلص من ثآليل القدم، بعد أن تجتث دائرياً بسكين. وان قطعة في حجم حبة الحمص – مخففة – تدر البول. ويؤكد لنا (أندرياس) أنه – رغم أخذه في جرعات كبيرة – لا يسبب انتفاخاً في البطن، وهو مساعد عظيم على الهضم للمسنين والنساء، وانه كذلك أكثر نفعاً في الشتاء منه في الصيف، وهو أكثر نفعاً للممتنعين عن المسكرات وينبغي على كل حال أن يراعى خلو المريض من قرحة باطنية، وهو عظيم الأثر عند النقاهة حين يؤخذ في الطعام، لأنه إذا ما أعطي في الوقت الصحيح فإن له خصائص الدواء الكاوي1، بل إنه أكثر فائدة للذين اعتادوه من غيرهم. ويقدم استعمال السلفيوم خارجياً براهين مؤكدة على قوته الشافية، وهو عندما يُتناول في شراب يبطل سموم الأسلحة والأفاعي، فيوضع في ماء حول هذه الجروح ولا يضاف إليه الزيت إلا في حالات لدغ العقارب. وللدمامل التي لم تتكون لها رؤوس بعد يدهن العصير مع دقيق الشعير أو التين المجفف. وللجمرة مع نبات السذاب2 أو مع العسل أو وحده – يدهن مع مادة لزجة ليلتصق بالجسم. وهو يعد بالطريقة نفسها لعضة الكلب، ويستخدم مغليّه في الخل مع قشر الرمان للدوالي حول فتحة الشرج. وللثآليل المعروفة عموماً

1 - يعني الذي يدفئ ويجفف.
2 - نبات وردي كالزعتر ورائحته كريهة.

بالثآليل الميتة يجب أن يمزج بشيء من القلي1 مع عصير السلفيوم. ويجب أن يعالج الحكاك2 كله أولاً بالقلي ثم يُسْتَردّ الشعر بوضع عصير السلفيوم مع الخمر والزعفران، أو الفلفل، وروث الفأر والخل. وتعالج تشققات الأصابع وتورمها بتكميدها بالخمور وبوضع مغلي عصير السلفيوم في الزيت، وهو يستعمل بالطريقة ذاتها للجسأة الجلدية3 والثآليل التي على القدمين على أن تقشط أولاً.

وعصير السلفيوم ذو قيمة خاصة ضد المياه الفاسدة والمناطق غير الصحية أو الهواء غير الصحي. وهو يستعمل للكحة، وأمراض اللهاة، والصفراء المزمنة، والاستسقاء، والبحة، إذ هو ينقي الحلق في الحال ويستعيد الصوت وهو – مخففاً بالخل والماء ومستعملاً بإسفنجة – يلطف نقرس الاطراف. ويُعطى في ثريد للمرضى بذات الجنب عندما يشربون الخمر. وعلى هيئة حبات من حجم حبات الحمص مكسوة بالشمع لمن يقاسون من تقلص العضل ومرض الكزاز4. ويستعمل لالتهاب اللوزتين غرغرةً، ولنشيج الصدر والكحة المزمنة يعطي مع الكرات في الخل. ومع الخل أيضاً لمن ابتلعوا لبناً مخثرا5. وهو يعطي مع الخمر لآلام السوداء الدرنية وللصرع. وفي الصَّعف6 لشلل اللسان. ويستعمل مغليه مع العسل كمروخ لعرق النساء وروماتزم القطن7. وينبغي أن لا أقر نصيحة المصادر التي تقول أن الضرس النخر الموجع يجب أن يُحْشى بمعجون عصير السلفيوم والشمع، بعد التجربة الرهيبة التي

1 - الصودا.
2 - جرب الحيوانات.
3 - أي اللحم المتيبس أو المتصلب الذي ماتت خلاياه.
4 - مرض التيتانوس Tetanus وهو مرض خطير يقضي على صاحبه سريعاً، وينتج عن تسمم الجروح ودخول مواد غريبة إلى الجسم عن طريقها.
5 - كان يظن قجيماً أن اللبن المتخثر ضار بالصحة.
6 - شراب يتخذ من العسل.
7 - اللمباغو.

عاناها رجل ألقى بنفسه من علٍ نتيجة لهذا. والحقيقة أنه يهيج الثيران إذا ما مسحت به حطمها. وإذا مزج بالخمر فإنه يجعل الأفاعي تهترىء وهي تشتهي الخمر اشتهاءً كبيراً. ولهذا السبب فإنه ينبغي أن لا أنصح بأن تنظف الأسنان به. وعلى الرغم من أنه يوصي بفعل ذلك بعناصر السلفيوم وعسل أتيكا1.

إن استعمالات عصير السلفيوم ممزوجاً بعناصر أخرى، تبدو عديدة لا حصر لها عند ذكرها. وأنا أتناول الآن أدوية يتكون كل منها من مادة واحدة2. ذلك لأن الطبيعة الأساسية لهذه المواد واضحة. وعلى كل حال فإنه لا أحد يتمتع بحرص كافٍ – عند عمل الخلطات – يمكنه من ملاحظة تجاذب وتنافر طبائع العناصر الأساسية.

1 - نسبة إلى إقليم أتيكا Attica في اليونان.
2 - سيتضح من هذا أن بليني يعتبر هذه المواد – مثل الخل والعسل والزيت والخمر والشمع والشعير والتين.. الخ.. – إضافات إلى عصير السلفيوم – كمجرد عوامل لا تأثير لها على طبيعة العنصر الأساسي.

مُلحَق لِنَصّ بليني الأكبَر عَن السّلفيُوم

مِن كِتاب

"الجامِع لمفرَدَات الأدويَة والأغذيَة"

لضياء الدين أبي محمد بن البيطار الأندلسي

أنجدان1: قال بعض الأطباء هو ورق شجرة الحلتيت والحلتيت صمغه والمحروث أصله. إسحاق بن عمر: هو صنفان أحدهما الأبيض الطيب المأكول الذي يسمى السرخس وتسمى عروق أصله المحروث ويستعمل في الأغذية والأدوية، والآخر الأسود المنتن الذي خلط ببعض الأدوية، وصمغ الأنجدان هو الحلتيت والطيب منه يكون من الأنجدان الطيب والمنتن من الأنجدان المنتن. أبو حنيفة: المحروث أصل الأنجدان ومنابته في الرمل التي بين بست والقيقان2. والحلتيت صمغ يخرج من أصول ورقه، وأهل تلك البلاد يطبخون بقلة الحلتيت ويأكلونها، وليست مما تبقى في الشتاء. محمد بن عبدون: هو نبات كالكاشم ينبت ببابل يبيعه البقال مع التوابل. أبو عبيدة البكري: الأنجدان الأسود المنتن الذي هو صمغه الحلتيت المنتن هو أصل غليظ يضع ورقاً منبسطاً على الأرض، جعداً، كالكف في السعة، متركب من ورق صغير كهدب الجزر، أشبه شيء بالصفائح المخرمة التي تكون تحت حلق الأبواب، يطلع من بين ذلك الورق عسلوج في رأسه جمّارة كجمارة الشبت إلا أنها أعظم تمراً، يعقد حبّاً في غلف دقاق مفرطحة

1 - الاسم اللاتيني له هم Ferula Tingitana "فيرولا تنجنانا".
2 - لعلها: بين سرت وبلاد القيروان. والعرب يسمون قورينا القيروان أحياناً.

لإلى الطول ما هي كريهة الريح. ديسقوريدوس في الثالثة: سلفيوم، وهو شجرة الأنجدان ينبت في البلاد التي يقال لها قورينا وأرمينيا وميديا1 وهي ماؤه، وله ساق يسمى يسقطس (؟) شبيه في شكله بالقنا وهو الكلخ. وورق شبيه بورق الكرفس وبزر منبسط شبيه ببزر يسمى ماعدطارس2. وأصله منقٍّ نافع مجشيء مجفف عسر الانهضام مضر بالمثانة. وإذا خلط بالقيروطي وتمرخ به أبرأ الخنازير والجراحات. وإذا تضمد به مع الزيت ابرأ كمنة الدم العارضة تحت العين. وإذا خلط بقيروطي معمول بدهن الأرساد ودهن الحناء وتضمد به وافق عرق النساء. وإذا طبخ بخل في قشر رمان وتضمد به أذهب البواسير النابتة في المقعدة. وإذا شرب كان باد زهراً للأدوية القتالة. وطعمه طيب إذا وقع في أخلاط الصباغات أو خلط بالملح. جالينوس في الثامنة: لبن هذا النبات حار جداً وكذا ورقه وقضبانه وأصوله تُسَخِّن إسخاناً شديداً. وجوهرها كله جوهر نفاخ هوائي. ولذلك صارت كلها عسرة الانهضام. وإذا وضعت على البدن من خارج كان أكثرها وأبلغها فعلاً نفس الصمغة. مسيح: وقوته حارة يابسة في الدرجة الثالثة ينفع من عسر البول وبرد المقعدة ويدر الطمث ابن ماسويه: مجفف لرطوبة المعدة بطيء فيها يغير رائحة القفل والبدن. محمد بن الحسن: يستخرج الأجنة ويسهل الطبيعة وينفع الأكلة إذا سحق وذر عليها. الرازي: المحروث مقوٍّ للكبد والمعدة معين على الهضم. وقال في دفع مضار الأغذية: هو حارٌّ غلظ الجرم مع حدة ولطاقة وحرافة بها يلطف الأغذية الغليظة ويجشيء جشاءً كثيراً ويدوم طعمه في الجشاء مدة طويلة. فيتوهم من ليس له علم ولا تجربة أنه ليس معه معونة على هضم الطعام وليس الأمر كذلك، وذلك لمبالغته ومداخلته جرم المعدة. ولأن هذا المطعم منه في جرم له بعض الغلظ فيطول لذلك بقاؤه. والأنجدان أيضاً شيء عجيب وهو أنه نفخ الأغذية

1 - قارن مقالة بليني الأكبر عن السلفيوم.

2 - لعلها ماجيداريس أو ماغداريس Magidaris. قارن: بليني؛ الكتاب التاسع عشر فقرة 15.

النافخة ويولد من ذاته نفخاً يسيراً... وينفع الأنجدان أيضاً مع الخل الخفيف فيلطف الأغذية ويكسبها لذاذة وسرعة هضم ويكسر من حره في نفسه. وقال: وكامخ الأنجدان حار لطيف جداً ملهب يعطش أيضاً. وقال مرة أخرى: وكامخه شديد الحرارة مصدع. جيد للمعدة الكثيرة الرطوبة ولمن في هضمه تخلف شديد. (ص 58 -59 من الجزء الأول).

حلتيت: هو صمغ الأنجدان ... ديسقوريدوس في الثالثة: وقد يجمع من الأنجدان صمغ وهو الحلتيت بأن يشرط أصله وساقه... والحلتيت المعروف بقوريناس (القوريني) وهو الذي من قورينا إذا ذاق إنسان منه قليلاً فإنه على المكان يبدل ببدنه كله. ورائحته ليست بكريهة. ولذلك إذا تنوول منه لا يكون للفم رائحة شديدة1.. ومن الناس من يسمي ساق هذا النبات سلفيون (سلفيوم) ويسمى أصله ماء عنطارس (ماجيدارس) ويسمى ورقه مسقسطس (؟). وأقوى هذا كله الصمغ وبعده الورق وبعده الساق2.

"ص 27 – 28 من الجزء الثاني".

1 - قارن: ابن سينا؛ القانون في الطب 316 – الكتاب الثاني عن الأدوية المفردة. ط. بولاق 1294 هـ

2 - يورد ابن البيطار فوائد استعمال الحلتيت، أو السلفيون، كما أوردها بليني الأكبر، ويضيف إليها مقالة الرازي وحبش بن الحسن وابن سينا بتفصيل كبير.

نُصُوصٌ مِن ديُودورُوس الصِّقلي

تعريف

ديـودوروس الصقلــي أو Diodorus Siculus مــؤرخ يونانــي وأحــد مواطني صقلية. عاصر يوليوس قيصر وأغســطس. ويعتبر مؤلفه الذي أسماه (المكتبة التاريخيــة) عملاً تحليلياً مذهلاً يغطــي فترة من أقدم العصور حتى بداية حرب القيصر الغاليّة (58 ق.م.). وقد وجد من هذا المؤلف كتب 1-4 ، 9-20 وبالتحديد كتاب التاريخ الأسطوري لليبيا ومصر وآشور وإثيوبيا واليونان وأحداث السنوات 480 – 302 ق.م. إلى جانب فقرات وشذرات متفرقة.

وقد تحــدث ديودوروس فـي الكتــاب الثالث – الذي نقتطــف منه النصوص التاليــة – عــن الإثيوبيــين في أعالــي نهر النيـل. ثم مناجم الذهـب بين مصر وإثيوبيا. ثم عن البحر الأحمر والشعوب التي تعيش حوله. والقبائل حول المحيط الهنـدي والخليج العربــي.. حتى يصل في فقرة 49 إلى ليبيا. فيصف أســاطير الليبيــين عن الغرغونــات والأمازونات. وهــو الموضوع الذي يقــوده بعد ذلك إلى الأســاطير اليونانية ونشــأتها وموالد الأرباب ومغامراتهم وهذا مدخل الكتاب الرابـع. ومــن النصــوص التالية يتبـين لنا أن ديــودوروس يعمــد أولاً إلى وصف الجماعــات الليبية (فقــرة 49) ثم يتحدث عــن المظاهر الجغرافيــة والطبيعية لليبيــا (فقرة 50) حتــى يصل إلى وصف ظاهــرة طبيعية عجيبــة (فقرة 51) ويتجه بعدها إلى الحديث عن مغامرات الأمازونات – وهن طراز من النساء أونين قوة البدن وشــجاعة القلب وشدة المراس – فيصف مغامرتهن المثيرة في ليبيا واكتساحهن الشــرق حتى وصلن آسيا الصغرى بقيادة ملكتهن (مورينا) وهي أشبه ما تكون بالكاهنة (داهية) التي قاومت الفتح العربي (فقرة52-54).

وينبغي أن لا تفوتني الإشــارة هنا إلــى أن منهج ديودوروس في التاريخ كان يميل إلى التقاط الجوانب الطريفة المثيرة يغلفها برداء أسطوري غامض تختلط فيــه الحقائــق التاريخية بالخيــال اختلاطاً شــديداً. فيصعب التمييــز بين الحق والباطــل. لكن هذا لا يمنع من اعتبار ديودوروس كاتبــاً ومؤرخاً عظيماً. كثيراً ما استند إليه جاء بعده من الكتاب والمؤرخين.

الكتابُ الثالث

فتوحات الملكة مُورِنَا

فقرة 49

الليبيون الشرقيون

أما الآن وقد تناولنا هذه الأمور 1 فإنه من المناسب أن نتحدث عن الليبيين الذين يعيشون بالقرب من مصر والبلاد التي تتاخمهم..

قبائل متنوعة

ويسكن الأجزاء القريبة من قورينا وخليج سرت – مثلما هو الحال في داخل أرض هذه المناطق – أربع قبائل من الليبيين. ومن هؤلاء يسكن الناساموِنس2 - كما يدعون – في الأجزاء الجنوبية والأوسخيساي3 في الأجزاء الغربية. ويشغل المارماريداي4 الشريط الضيق بين مصر وقورينا ثم يهبطون إلى الساحل. ويعيش المكاي5 - الذين هم أكثر نفراً من رفاقهم الليبيين – في المناطق التي حول خليج سرت.

منهم الرحل والزراع

والليبيون الذين ذكرناهم منذ قليل مزارعون يملكون أرضاً يمكنها أن تنتج

1 - يعني بلاد العرب التي يتحدث عنها في الفقرة السابقة.
2 - Nasamones قارن: هيرودوتس. الكتاب الثاني. فقرة 32، والرابع فقرة 172.
3 - Auschisae قارن: هيرودوتس الكتاب الرابع فقرة 171.
4 - Marmaidae وكانوا يستوطنون ما يسمى الآن خليج مارماريكا. ولم يذكرهم هيرودتس.
5 - Macae قارن: هيرودوتس. الكتاب الرابع فقرة 175 وهم الذين أخرجوا دوريوس الاسبرطي من وادي كينوبس (كعام بالتعاون مع قرطاجنة، حينما أراد أن ينشئ مستعمرة فيه كما فعل مواطنوه في قورينا.

محاصيل وافرة، في حين أن أولئك بدو رحّل يحصلون على غذائهم من أسراب الماشية وقطعان الغنم التي يقتنونها. ولكل من هاتين الجماعتين ملوك، ويعيشون حياة لا تختلف كثيراً عن حياة المتحضرين.

جماعة ثالثة

أما الجماعة الثالثة فإنها، على كل حال، لا تطيع ملكاً ولا تهتم – أو حتى تفكر – في العدل، وتجعل من الغزو شغلها الشاغل، تهاجم على حين غرة من الصحراء وتنهب كل ما تقع عليه ثم تنسحب مسرعةً إلى حيث أتت.

معيشتهم وسلاحهم

ويحيا جميع الليبيين الذين هم من هذه الجماعة الثالثة حياة بدائية، يمضون أيامهم لا يظلمهم سقف، ويسترون أجسامهم بجلود الماعز. وليس لرؤسائهم مدن بأي شكل من الأشكال بل قلاع بالقرب من موارد المياه. وإلى هذه القلاع يأتون بفضلة غنيمتهم ويخزنونها فيها وهم يفرضون على الخاضعين لهم يمين ولاء لسلطتهم سنوياً. ويبسطون حمايتهم على من أذعنوا لهن كحلفاء. وتلائم أسلحتهم كلا من طبيعة البلاد ونمط حياتهم، إذ لما كانوا خفيفي الأجسام، يسكنون أرضاً هي عبارة عن سهل مستوٍ في جزئها الأكبر، فأنهم يواجهون الأخطار التي تحدق بهم مسلحين بثلاثة رماح وحجارة في أجربة من الجلد. وهم لا يحملون سيفاً ولا خوذة ولا أي سلاح آخر. فان غايتهم أن يتفوقوا على عدوهم في سرعة الحركة عند الكر والفر. ولذا فقد برعوا في صقل الحجارة وقذفها، وساروا بالمزايا التي وهبتهم الطبيعة إياها إلى الغاية القصوى بالدربة والعادة1.

1 - كان لهذه الصورة عن الصورة عن الجماعة الثالثة من الجماعات الليبية أثر في الميثولوجيا اليونانية. وتقول السيدة J. E. Harrison في كتابها Mythology ص 39 – 42. إن "بيرسيوس" قاتل الغرغونة "ميدوسا" كان يصور وهو يحمل رأسها في الـ Kibisis أو الجراب الذي هو عبارة عن حقيبة الليبي التي ذكرها ديودوروس الصقلي. وقد رسم برسبوس على زهرية كورنثية وهو يهاجم الوحش بالحجارة ووقفت بجانبه حبيبته (أندروميدا) تزوده بها من كوم عظيم. والمعروف أن أهم مغامرات برسيوس كانت في ليبيا.

فقرة 50

قورينا الخصيبة

ويتميز ذلك الجزء من البلاد الذي بالقرب من قورينا بتربة خصبة، وهو يحمل محاصيل متنوعة، إذ لا ينتج الحنطة فحسب بل إن فيه مزارع كروم شاسعة، وبساتين زيتون، وغابات لم يستنبتها أحد، وأنهاراً ذات نفع عظيم.

ومن ورائها صحراء قاحلة

أما المنطقة الممتدة خلف تخمها الجنوبي حيث يوجد (النطرون)1 فهي لم تستغل للزراعة وتعوزها ينابيع المياه، وتبدو في مظهرها كالبحر، وهي بالإضافة إلى أنها ذات منظر عام واحد محاطة بأرض صحراء – أعني الصحراء التي تقع وراء حدودها في إقليم يشق منه الخروج، وتبعاً لهذا فانه لا طائر واحد يرى هناك ولا أي حيوان من ذوات الأربع فيما عدا الغزلان والثيران. كما لا يرى في الواقع أي نبت أو أي شيء يبهج العين، لأن الأرض الممتدة إلى الداخل تشمل على طولها تقريبا كثباناً رملية متوالية.

أفعى الكيراستس

وهي بقدر ما تفتقر إلى ما يناسب الحياة المتمدينة تعج بالأفاعي المختلفة الأشكال والأحجام، وخاصة تلك التي يسميها الناس (كيراستس)2 ذات اللدغة القاتلة. ولون هذه الأفاعي أصفر كلون الرمل فتبدو لهذا السبب شبيهة بالأرض التي ترقد فوقها ولا يفطن إليها سوى قليل من الناس. أما أغلبهم فأنهم يطأونها دون أن يدروا فيأتيهم البلاء من حيث لا يحتسبون. وتضيف الرواية قائلة: إن هذه الأفاعي غزت في الأيام الخالية جزءاً كبيراً من

1 - أو البوتاس.

2 - Certastes وهي تعني حرفياً: "الأفاعي القرناء". قارن: أرسطو. تاريخ الحيوان 606 / أ8، 18 – وقد روى "لوكان الساموساتي" في "محاورته" حديثاً عجباً عن أفعى الدبساس Dipsas في فزان، أو أفعى العطش. فإذا ما نهشت إنساناً ظل يعب الماء شراباً دون أن يرتوي؛ بل يزداد عطشه كل لحظة بسبب تفاعل السم والماء حتى يموت.

إقليم مصر الذي يجاور هذه الصحراء وأحالته إلى يباب.

ظاهرة طبيعية عجيبة

ويحدث شيء عجيب في هذه الأرض القاحلة، كما يحدث في الأرض الليبية الواقعة وراء خليج سرت. فإنه تُرى في بعض الأوقات، وخاصة عندما تسكن الريح، أشكال تتجمع في السماء تظهر صور حيوانات من كل نوع1. ويظل بعض هذه الصور ثابتاً بينما يتحرك بعضها الآخر. تفر تارة أمام الناس وتطارده تارة أخرى. وهي على كل حال، لما كانت ذات حجم كبير، فإنها تصيب من لم يعرفوها قط بذعر وفزع مذهلين.. ذلك لان هذه الأشكال حين تدرك الأشخاص الذين تطاردهم تغشى أجسامهم فتسبب لهم شعوراً بالرعدة والقشعريرة، فيسود الخوف الأغراب الذين لم يألفوها، غير أن الوطنيين الذين طالما واجهوا مثل هذه الأشياء لا يلقون لهذه الظاهرة بالاً.

فقرة 51

الحكماء يفسرون الظاهرة

وعلى الرغم من أن هذا الأمر يبدو بعيداً عن التصديق وكأنه قصة خيالية، إلا أن بعض الحكماء الطبيعيين يحاولون تعليل هذه الظاهرة على النحو التالي:

فهم يقولون أن الرياح التي تهب في هذه البلاد ضعيفة بطيئة الحركة حتى لتكاد تكون ساكنة تمام السكون. وغالباً ما يعم الجو هدوء شامل وافتقار شديد إلى الحركة، إذ الواقع أنه لا يوجد بالقرب منها أودية ذات أحراش ولا وهاد وارفة الظلال. كما أنه ليس هناك أية مرتفعات تكون تلالاً.

1 - راجع: أرستوفان. السحب 346: "ألم نر قط سحابة في السماء ربما كانت قنطروساً أو فهداً أو ذئباً أو بقرة!"؟ وكذلك: ليو كريتيوس 139/4 – 142: (إذ تظهر غالباً صور عمالقة تحلق في الجو وتجر ظلالها إلى بعيد وأحياناً تبدو جبال باردة أو صخور قدت بين الجبال تسير أمام الشمس وتمر بها، ومن خلفها وحوش كاسرة تدفع وتشد السحب الأخرى).

وأكثـر من ذلك فانه ما من نهر في هـذه البقاع. ولا تخرج المنطقة المحيطة بها بخاراً. وقد تجردت من النباتات. ثم يوضحون أن هذه الأشياء المعتادة جميعها هي التي تولد بدايات وتجمعات التيارات الهوائية. وتبعاً لذلك فإن الظاهرة التي نشـاهدها تحدث حين ينتشـر هواء خانق فوق الأرض الجرداء بسبب السحب في الأيـام الرطبـة، حين يتكون كل ضرب من هذه الأشـكال. توجـد كذلك عندما يتكثف الهواء محدثاً أشـكالاً وهمية متنوعة. وعندما تدفع نسيمات بطيئة هـذا الهـواء يرتفع إلى أعلى مسـبباً حركات مرتعشـة ومرتطماً بالأجسـام الأخـرى التي هي مـن نفس الجنس. لكن حينما يلي ذلك السـكون فانه يهبط نحو الأرض بسـبب ثقله، وفي نفس الشـكل الذي يتصادف أنه يخيله. ولما لم يكـن هناك ما يقشـع الهواء فانه يعلق بمثل هـذه الكائنات الحية حينما تكون في طريقه عرضاً..

أما عـن الحركات التي تقوم بها هذه الأجسـام فـي كلا الاتجاهين1 فإنهم يقولون إنها لا تشير إلى إرادة من جانبها؛ فمن المستحيل أن تسكن إرادة الهرب والطراد شيئاً لا روح فيه. وعلى هذا فإن الكائنات الحية هي سبب هذه الحركات فـي الهواء دون أن تدري. فهي حين تتقدم تدفع بحركتها الإرادية الهواء الموجود تحتها. وهذا هو سـبب تراجع الصورة التي تشـكلت أمامهـا. فتبدو كأنها تفر. وإذا مـا تقهقرت الكائنات الحية فإن الأمر يمضي في الاتجاه المضاد، حين تنعكس الآية؛ إذ إن ما هو خلاء يجذب الأشكال نحوه.

فتظهر تبعاً لذلك وكأنها تطارد من يتقهقر أمامها من الناس؛ إذ تنسحب الصورة إلى الفراغ فتندفع قدماً متجمعة بتأثير حركة الكائنات الحية الخلفية. أما بالنسبة لمن يولون منها فإن من المعقول تماماً أن تشعر أجسامهم بلمسة خفية من الصورة التي تتبعهم، سواء داروا حولها أم وقفوا مكانهم. ثم تتناثر

1 - تطارد الإنسان أو تفر منه.

هذه الصور قطعاً بمجرد أن تقع على جسـم صلب، وحينما تتطاير في كل اتجاه ترسل رعدة في جسم كل من تلامسه.

فقرة 52

قصة الأمازونات

أما الآن وقد تناولنا هذه الأمور فإنه من المناسب فيما يتعلق بهذه المناطق التي ذكرناها، أن نتعرض للقصة التي يسجلها التاريخ عن "الأمازونات"1 اللاتي كن في ليبيا في سـالف الأيام. ذلك لأن أغلـب الناس يعتقدون أنه ليس هناك أمازونات سوى من ذكر أنهن عشن بجوار نهر "ثرمودون" في إقليم "البونتوس"2. لكن الحقيقة خلاف ذلك. فإن أمازونات ليبيا كن أقدم عهداً وقمن بأعمال باهرة. ونحن لسـنا غافلين عن أن تاريخ هذا الشعب سيبدو للكثيرين ممن يقرأون هذه القصة شيئاً لم يبلغ الأسماع وغريباً كل الغرابة. ولما كان جنس هذه الأمازونات قـد أندثر تمامـاً منذ أجيال عديدة قبل حرب طروادة3، بينما كانت النسـاء حول نهـر ثرمودون في عنفوانهن قبل تلك الحرب بقليـل، فإنه ليس جزافاً القول بأن الأخيـرات اللائي كن أكثر شـهرة من أمازونات ليبيا قد ورثن هذه الشـهرة عن سابقاتهن اللائي جهلهن أغلب الناس جهلاً تاماً بمرور الزمن.

مصدر القصة

أمـا نحـن – على كل حـال – فإننا لما وجدنـا كثيرا من الشـعراء والمؤرخين الأوائـل يذكرونهن، كمـا لم يغفلهن عـدد كبير من المتأخرين، فإننا سـنحاول تعديـد أعمالهن بإيجاز متبعين ما رواه (ديونوسـيوس)4 الـذي ألف قصة عن

1 - مفردها "أمازونة" Amazon وتعني باليونانية: منزوعة الثدي. وسيشير ديودوروس لهذا بعد قليل.
2 - منطقة بحر مرمرة.
3 - كانت حرب طروادة في القرن الثاني عشر قبل الميلاد.
4 - Dionysius عـاش في الإسـكندرية في أواسـط القرن الثاني ق.م. وألف قصة خيالية نقـل منها ديودوروس القصة التاليـة عن الأمازونـات ووصف الأطلنطيين (انظر فقرات 56 – 57- 60). وولادة الإله ديونوسـيوس في ليبيا وعن بحارة الآرغو. وتعتبر الحكاية التالية مثلاً ممتازاً لنزعة التوفيق والتعقيل بالنسبة للأسطورة اليونانية القديمة.

(بحارة الآرغو) و(ديونيسوس) كما كتب عن أشياء كثيرة أخرى حدثت في الأزمان الغابرة.

الغرغونات

كان في ليبيا عدد من أصناف النساء على قدر كبير من الجرأة وتثير شدتهن الرجولية الإعجاب. فتحدثنا الأخبار مثلاً عن جنس من (الغرغونات)1 شن عليهن (برسيوس)2 حرباً، كما يروي عنه، وهو جنس تميز ببأس شديد. والواقع أن ابن (زيوس)3 – أعظم الإغريق قدراً في زمانه – هو الذي قام بالحملة ضد هذه النساء. وان هذا العمل كان أعظم أعماله، وهو ربما يؤخذ دليلاً على قوتهن ورفعة شأنهن على حد سواء. وفضلاً عن ذلك فإن البسالة الرجولية لتلك النسوة اللاتي سنكتب عنهن تدل على تفوق مدهش إذا ما قورنت بطبيعة النساء في أيامنا هذه.

فقرة 53

مجتمع تحكمه النساء

لقد أخبرنا – على الوجه الخصوص – أنه وجد ذات يوم في الأجزاء الغربية من ليبيا على أطراف المعمورة شعب تحكمه النساء, وكان هذا الشعب يتبع سبيلاً في الحياة يختلف عما يسود حياتنا من سبل. فقد كان من عرفهم أن تقوم النساء بمهام الحرب ويطلبن للخدمة العسكرية لفترة معينة. أعني الفترة التي يحتفظن فيها بعذريتهن. ثم كن يمضين إلى الرجال – حينما

1 - Gorgons وهي عند هوميروس وحش من العالم السفلي ثبت رأسه في وسط درع زيوس. وعند هزيود ثلاث غرغونات كن يعشن في أقصى الغرب وعند يوربيدس موطنهن ليبيا. وكانت ميدوسا Medussa رئيستهن قد حاربت بيرسيوس فقتلها وقطع رأسها، فانبثق من دمها بيغاسوس Pegasus، الجواد المجنح وملاك الشعر وأفاع كثيرة ملأت الصحراء. وتمثل الغرغونة ميدوسا دائماً بشعر على هيئة حيات.

2 - Perseus وهو في الأساطير اليونانية ابن "أيجيبتوس" وهو الوحيد من بين أخوته الخمسين الذي نجا حين طلب "دناوس" عمه من بناته الخمسين قتل أبناء أخيه ليلة زفافهن لسبب مجهول. فقتل عمه وحل محله وله مغامرات عديدة.

3 - Zeus رب الأرباب. وهو هنا يعني برسيوس.

تنقضي سنون خدمتهن في الجيش – من أجل إنجاب الأطفال. لكنهن يظللن ممسكات بزمام الحكم وأمور الدولة في أيديهن. وكان الرجال، مثلهم في ذلك مثل نسائنا المتزوجات، يمضون حياتهم في البيت، ينفذون ما تصدره إليهم زوجاتهم من أوامر. ولم يكونوا يساهمون في الحملات الحربية أو في السياسية، كما لم يكن لهم حق حرية الكلام في شئون المجتمع خوفاً من أن يجرأوا يوماً ويشقوا عصا الطاعة على النساء. وعندما يولد الأطفال فإنهم يسلمون إلى الرجال الذين يربونهم على اللبن وأطعمة أخرى مطهوة تناسب سن هؤلاء الرضع.

لم سمين بالأمازونات

وإذا ما حدث وولدت أنثى فإن ثدييها يجففان بالكي حتى لا ينموان عندما تصل سن البلوغ. فقد كانت الأمازونات يعتقدن أن الأثداء تشكل عائقاً كبيراً في أثناء القتال حين تبرز من الجسم. والحق أن هذا هو السبب الذي جعل اليونان يطلقون عليهن هذا الاسم (الأمازونات) الذي يعني (المنزوعة الثدي).

وكان موطنهن – كما تحكي الأساطير – على جزيرة تدعى (هسبيرا)1 لأنها كانت في الغرب. وكانت تقع في سبخة (تريتونيس)2. وكانت هذه سبخة بجوار الأوقيانوس الذي يحيط بالأرض، وهي سميت كذلك بسبب نهر (تريتون) الذي كان يصب فيها. كما كانت هذه السبخة كذلك قريبة من (أثيوبيا)3 وذلك الجبل عند ساحل الأوقيانوس وهو أعلى جبل هناك بالقرب منه ويدعوه اليونان جبل (أطلس). وكانت هذه الجزيرة المذكورة كبيرة الحجم وملأى بأشجار مثمرة من كل نوع، كان الأهون يحصلون على طعامهم منها. كما كانت

1 - Hespera وتعني الغرب وكانت بنغازي تدعى هسبيرديس.

2 - Tritonis ويقول السيد Goodchild في كتيبه (بنغازي .. قصة مدينة) استناداً على ما رواه (سترابو) في كتابه (الجغرافيا) ولو كان في (محاوراته) إن هذه السبخة كانت تحتل ما يسمى الآن (سبخة السلماني) شرقي مدينة بنغازي حالياً.

1 - Etheopia وتعني بلاد ذوي الوجوه السمراء التي لفحتها الشمس.

تشتمل على قطعان هائلة من الماعز والأغنام يتخذ أصحابها من لبنها ولحمها غذاء لهم. لكن هذا الشعب لم يكن يستعمل الحنطة على الإطلاق إذ لم يكن استخدام ثمرة الأرض هذه قد عرفت بينهم بعد.

بداية المغامرات

وتمضي القصة فتقول: إن الأمازونات – وقد أصبحن سلالة فائقة القوة تواقة إلى القتال – قمن أولاً بإخضاع مدن الجزيرة كلها فيما عدا واحدة تدعى (ميني) كانت تعتبر حرماً مقدساً ويسكنها (الأختيوفاغي الأثيوبيون)1. كما كانت موضعاً لثوران بركاني عظيم وبها كميات وفيرة من الأحجار الكريمة التي يسميها اليونان (الأنثراكس) و(السارديون) و(الزماراكدون)2. ثم أخضعن بعد ذلك كثيراً من قبائل الليبيين المجاورة لهن وقبائل البدو الرعاة. وشيّدن وسط سبخة تريتونيس مدينة عظيمة أسمينها (خرونيسوس)3 نسبة إلى شكلها.

فقرة 54

الهجوم الأول

وتمضي القصة فتقول: إن الأمازونات انطلقن من مدينة (خرونيسوس) ليقمن بمغامرات فائقة، يدفعهن شوق إلى اكتساح أجزاء كثيرة من المعمورة. وطبقاً للقصة فإن أول شعب زحفن إليه كان (الأطلنطيون)4. أكثر الأمم تمدناً بين سكان هذه الأقاليم. وكانوا يسكنون بلاداً مزدهرة ويقتنون مدناً عظيمة. وقد أنبئنا أن الأساطير تحدد مولد الأرباب بين ظهرانيهم في المناطق التي تحاذي

1 - Etheopian Ichthyophagi والاختوفاغي تعني باليونانية: أكلة الأسماك. وهو يعني أكلة الأسماك السمر.
2 - Anthrax حجر كريم يشبه الياقوت وSardion ولعله القيل Smaragdon وهو الزمرد.
3 - Cherronesus وتعني حرفياً: شبه الجزيرة. وهناك على خليج بومبة شرقي ساحل ليبيا موقع يعرف بهذا الاسم ويسمى الآن: رأس الطين.
4 - Atlantians وأمرهم في عالم الأساطير معروف.

ساحل الأوقيانوس. وهي تتفق في هذا الجانب مع رواة الخرافات من اليونان. وسنتحدث عن هذا الأمر بعد قليل.

جيش وعدة حرب

وقد قيل إن ملكة الأمازونات (مورينا) جمعت جيشاً تعداده ثلاثون ألفاً من الجنديات المشاة وثلاثة آلاف فارسة. فقد كانت هذه النسوة يفضلن استخدام الخيل في حروبهن إلى درجة غريبة1. وكن يستعملن جلود الأفاعي الضخمة كأدوات دفاع. إذ إن ليبيا تحتوي على عدد هائل من هذه الحيوانات ذات الحجم البعيد عن التصديق. أما أسلحة الهجوم فقد كانت السيوف والرماح. كما كن يستعملن الأقواس والسهام. ولا يضربن بها عند مواجهة العدو فحسب بل حتى عندما يلذن بالفرار، وذلك بأن يرمين مطارديهن بالسهام من وراء ظهورهن بتصويب دقيق.

الأمازونات يهزمن الأطلنطيين

وعندما دخلت الأمازونات بلاد الأطلنطيين هزمن أهل مدينة "كيرني" – كما تسمى – في معركة ضارية، ثم شققن طريقهن عبر أسوار العدو الهارب واستولين على المدينة. ورغبة منهن في إلقاء الرعب في قلوب الشعوب المجاورة عاملن أسراهن بقسوة بالغة. فوضعن السيف في أعناق الرجال من الشباب وما فوقهم. واسترققن الأطفال والنساء. ودمرن المدينة تدميراً شاملاً. وقيل إنه لما عرف بقية القبائل الأخرى مصير إخوانهم أهل كيرني سلم الأطلنطيون – وقد عمهم الرعب – مدائنهم صلحاً، وأعلنوا أنهم سيفعلون كل ما يؤمرون به.

1 - هذا حكم لا يتفق مع عدد الخيالة القليل بالنسبة للمشاة.

مسلك كريم

وأن الملكة مورينا سلكت نحوهم مسلكاً كريماً، فوطدت صداقتها معهم وأنشأت مدينة لتحمل اسمها بدلاً من المدينة التي قوضت، ووطنت فيها الأسرى ومن شاء من أهل البلاد. فهاداها الأطلنطيون من ثم بهدايا رائعة وأسبغوا عليها ضروب التكريم والتبجيل بمرسوم عام. فقابلت هي لطفهم بلطف ووعدتهم – فضلاً عن ذلك – بأنها ستسدي لأمتهم فضلا.

القتال بين جيشين من النسوة وانتصار الأمازونات

ولما كان أهل تلك البلاد كثيراً ما أقض مضاجعهم الغرغونات – كما كن يسمين – وهن شعب كان يقيم على تخومهم، وكانوا يتحينون الفرصة للإيقاع بهن، فإن الأطلنطيين سألوا مورينا أن تغزو أرضهن. ولما استنفر الغرغونات قواتهن لمقاومة الأمازونات نشبت معركة عنيفة انتصر فيها الأمازونات، وقتلن أعداداً هائلة من عدواتهن وأسرن ما لا يقل عن ثلاثة آلاف أسيرة. ولما هرب من بقي من الغرغونات إلى غابة طلباً للنجاة قررت مورينا أن تحرقها رغبة منها في إبادة هذا الجنس إبادة تامة. لكنها عادت إلى حدود بلادها حين تبين لها أن التوفيق لن يكون حليفها في محاولتها تلك.

فقرة 55

محاولة الغرغونات الانقضاض

ويقولون: أن الأمازونات أهملن الحراسة ليلاً اطمئناناً إلى فوزهن. فوثبت الأسيرات من الغرغونات واستللن السيوف من تلك المغرورات بانتصارهن وقتلن عدداً كبيراً منهن. غير أن الأمازونات تكاثرن عليهن من كل جانب وذبحت الأسيرات عن بكرة أبيهن بعد أن قاتلن بشجاعة فائقة. ثم أقامت مورينا جنازاً لمن سقطن صرعى من رفيقاتها على ثلاثة أكوام من الخشب، وأعلت ثلاثة تلال

عظيمة من التراب كمقابر لا تزال تدعى "روابي الأمازونات" حتى اليوم.

هرقل يبيد الغرغونات

لكن قوة الغرغونات اشتدت فيما بعد وأخضعن برسيوس ابن زيوس مرة أخرى، حين كانت ميدوسا ملكة عليهن. ثم أبادهن (هرقل)1 تماماً، كما أباد أيضاً جنس الأمازونات، حين زار الأقاليم الغربية وركز أعمدته في ليبيا. فقد شعر هرقل بأنه مما لا يتفق مع عزمه على أن ينعم على الجنس البشري كله أن يسمح بأن تحكم النساء أي أمة من الأمم. وتقول القصة أيضاً إن سبخة تريتونيس اختفت عن الأنظار في أثناء زلزال، حين شطرت أجزاؤها التي كانت تقع عند المحيط إلى شطرين.

انتصارات الملكة مورينا وتأسيسها المدن في ما احتلته من بلاد

أما عن مورينا فان القصة تمضي فتقول: إنها زارت القسم الأكبر من ليبيا، واجتازتها إلى مصر فعقدت معاهدة صداقة مع (حورس بن ايزيس)2 الذي كان ملك آنذاك. ثم أخضعت سوريا، بعد أن شنت حرباً حتى النهاية على الأعراب وقتلت كثيراً منهم. لكن عندما خرج (القليقيون)3 بهداياهم لاستقبالها ووافقوا على إطاعة أوامرها تركتهم أحراراً لأنهم أذعنوا لها بمحض إرادتهم. ولهذا السبب يدعى هؤلاء "القليقيون الأحرار" حتى اليوم. وهي انتصرت كذلك في حرب شنتها على الأجناس التي في إقليم (طوروس) وهي شعوب على قدر كبير من الشجاعة، ثم هبطت عبر (فروجيا الكبرى) إلى البحر4. ثم استولت على البلاد الممتدة على الساحل وثبتت حدود حملتها عند نهر (كايكوس)5.

1 - Heracles ويدعى عند الرومان Hercules. وهو بطل يوناني، أُلِّه وعبد على مر الأيام. وكانت له مغامرات عديدة أمرته بها الآلهة عندما رمى زوجته خطأ فقتلها. ومن بينها في ليبيا احضار التفاحات الذهبية من جنائن سيدات الغرب أو الهسبيرديس ومصارعة حارسها التنين (لادن) ومقاتلة الأمازونات.

2 - Isis إلهة مصرية زوجة أوزريس وأم حورس عبدت في مصر وليبيا ثم في اليونان وروما.

3 - Cilicians سكان جنوب آسيا الصغرى ما بين بامفيليا وسوريا، تحدهم جنوباً جبال طوروس.

4 - Great Phrygia في آسيا الصغرى، ويعني بالبحر الأبيض المتوسط.

5 - Caicus وهو النهر الذي يمر بين ببر غاموم ويصب في البحر الإيجي.

واختارت فـي الإقليم الذي اسـتولت عليه بالقوة مواقع تصلـح لإقامة المدن، وبنت عدداً لا بأس به منها، كما أسست مدينة حملت اسمها1.

أما المدن الأخرى فقد أطلقت عليها أسـماء النسـوة اللاتي شـغلن أكبر المناصب معها مثل (كومي) و(بيتانا) و(بيريني)2.

مدن أنشأتها وأخرى استولت عليها

هذه إذن هي المدن التي أنشـأتها بحذاء البحر، غير أنها أنشـأت مدناً أخرى أكثـر عدداً فـي الأقاليم الممتدة إلى الداخل، وهي اسـتولت كذلك على بعض الجزر، خاصة (لسـبوس)3 التي أنشأت عليها مدينة (ميتوليني)4 وقد اسمتها باسـم أختها التي كان لها دور في الحملة. وبعد ذلك أمسـكت بمورينا عاصفة فـي البحر بينما كانت تقوم بإخضاع بعض الجزر الباقية، فراحت تدعو من أجل نجاتها وتنذر النذر لأم الأرباب5. فألقت بها الريح إلى إحدى الجزر الخالية؛ فجعلت من هذه الجزيرة حرماً مقدسـاً لهذه الربة إطاعة لرؤيـا رأتها في منامها، وبنت هناك نصباً وقدمن قرابين عظيمة.

وهي أطلقت عليها كذلك اسم (ساموثراكي) الذي يعني حين يترجم إلى اليونانية "الجزيرة المقدسة". رغم أن بعض المؤرخين يقول إنها كانت تدعى سابقاً (ساموس) ثم سماها (التراكيون) الذين سكنوها ذات يوم (ساموتراكيا). وعلى كل حال فان الأسـطورة تقول إنه بعد أن عادت الأمازونات إلى ليبيا أسكنت أم الأرباب الجزيرة – وقد رضيت عنها كل الرضا – شعباً آخر، كما أسكنتها أبناءها المعروفـين باسـم (الكوروبانتس)6، وهم الذين كان من شـعائرهم أن لا يبوحوا

---

1 - مدينة مورينا في موسيا شمال غرب آسيا الصغرى. انظر: سترابو: 6/3/13.

2 - Cume مدينة في ايونيا، وPitana ميناء على السـاحل الغربي من موسـيا، وPriene مدينة في أبونيا لا زالت آثارها الرائعة حتى اليوم.

3 - Lesbos جزيرة غرب آسيا الصغرى عند مدخل الدردنيل.

4 - Mitylene أكبر مدن جزيرة لسبوس.

5 - هي Cybele وكان يعبدها اليونان والرومان. وتعرف بأسماء كثيرة منها: ريا، أتيس، جي، ديمتريس.

6 - Corybantes أنصـاف آلهة علاقتهم بأم الأربـاب كعلاقة الـ Curetes بزيوس أبي الأرباب. وكان من جملة الطقوس

بسـر والدهم. ثم أنشـأت الطقوس المحتفى بها الآن فـي الجزيرة وفرضت فرضاً يتيح للمنطقة المقدسة التمتع بحق الملجأ الحرام.

التراقيون يردون الأمازونات إلى ليبيا

ويمضون فيقولون: إن (موبسـوس) التراقي الـذي نفاه (لوكورغوس)1 ملك التراقيـين، غزا في هذه الأزمان بـلاد الأمازونات بجيش مؤلف مـن رفاق النفي. وكان مع موبسـوس كذلك في الحملة (سـيبولوس) السـكيذي الذي كان هو الآخر منفياً من ذلك الجزء من سكيذيا الذي يتاخم تراقيا. وحدثت معركة رهيبة انتصر فيها موبسـوس وسـيبولوس، وقتلت مورينا ملكة الأمازونات والقسـم الأكبـر من بقية جيشـها. وعلى مر الأيام، وباسـتمرار انتصـارات التراقيين في معاركهم، انسحبت بقية الأمازونات نهائياً إلى ليبيا مرة أخرى.

وهكـذا كانت نهاية الحملـة التي قامت بهـا أمازونات ليبيـا – كما تقول الأسطورة.

التي تقام لهم رقصة كان يعتقد أنها تبرئ مختلي العقول.

1 - Lycurgus أسطورياً هو ملك Edonces في تراقيا. دفع إلى الجنون ثم قتل لأنه عذب ديونيسوس وصحبه.

نُصُوص مِن بروكوبيُوس القيصَري

تعريف

بروكوبيوس القيصري أو Procopius of Caesareas مؤرخ بيزنطي ولد في قيصرية بفلسطين حوالي نهاية القرن الخامس بعد الميلاد. وهو ربما اشتغل بالمحاماة في القسطنطينية، ثم عين أمين سر خاصاً للقائد "بيلاسيريوس" عام 527م، وصاحبه في حملاته على فارس وإفريقيا وإيطاليا. ثم عاد إلى القسطنطينية عام 540 م، ولا يكاد يعرف عنه شيء بعد ذلك عدا أنه كان يعيش عام 599م.

وتقع كتابات بروكوبيوس في ثلاثة أقسام: "التواريخ" عن حروب فارس والوندال وافريقيا - في ثمانية كتب، و"عمائر جستنيان" - في ستة كتب، و"الذكريات غير المنشورة" - وهي سميت كذلك لأنها لم تنشر في حياة الكاتب.

ويحوي كتاب "العمائر Buildings" قائمة بأعمال ومنشآت عامة أنجزت في عهد جستنيان، ويبدو أنه كتب برغبة إمبراطورية خاصة، كما يعتقد بعض الباحثين، إذ هو يحوي انطباعات شخصية كثيرة، ويتميز بطابع التقرير الرسمي وتملق الإمبراطور وتمجيد أعماله.

ويسمى بروكوبيوس "التواريخ Histories" باسم "كتب عن الحرب" واشتهرت بكتاب "الحروب". وهي تتحدث عن الحرب الفارسية والحرب الوندالية التي تحكي قصة التغلب على الوندال في إفريقيا، ثم الحرب القوطية.

وينبغي أن لا تفوت الإشارة إلى أن بروكوبيوس كان مناصراً متعصباً للنصرانية الكاثوليكية، وهي المذهب الذي كان يدين به جستنيان، مما يظهر أثره واضحاً في كثير من رواياته وأحكامه في النصوص التالية.

كِتَابُ "العَمَائر"

الكِتَابان الرابع والخامِس

ليبيا في عصر جستنيان

النيل بين آسيا وليبيا

يقسم نهر النيل، الذي ينبع من الهند ويصب في مصر[1]، تلك البلاد[2] إلى قسمين اثنين حتى يبلغ البحر[3]. ويطلق على هذه البلاد - وقد شقها مجرى النهر - بعد ذلك اسمان مختلفان[4].

اختلافات في هذا التقسيم

أما المنطقة التي على يمين النهر فتسمى (آسيا) حتى تبلغ جبال الأورال التي تفصل آسيا عن قارة (أُوربا)، أو حتى كل الطريق إلى البوغاز الكميري ونهر (تانايس)[5] وعند النظر في هذه المسألة نرى المتضلعين في هذه الأمور يختلف كل منهم مع صاحبه مثلما هو موضح في "الكتاب عن الحرب"[6] في سياق وصفه لبحر (يوكسين)[7]. وأما الأرض التي تقع على يسار النيل فأنها تحمل

1 - كان الاعتقاد القديم أن الهند تمتد في اتجاه الغرب حتى جنوب مصر، وقد فكر الأسكندر الأكبر في العودة إلى مصر من الهند عن طريق اليابسة.
2 - يعني قارة إفريقيا الآن.
3 - البحر الأبيض المتوسط.
4 - في كتاب (الحروب) مجلد 8 قسم 6 يقول بروكوبيوس أن الآراء تختلف حول الحدود بين آسيا وأوربا، ويقرر أن الناس يزعمون أن النيل يجري بين آسيا وليبيا.
5 - نهر الدون Don الآن.
6 - مجلد 8 قسم 6.
7 - البحر الأسود.

اســم (ليبيا) حتى تبلغ الأقيانوس1 الذي يبين الحد في الغرب بين المرتين بأن يمد ذراعاً2 تدخل في بحرنا هذا3. ويطلق على باقي ليبيا كله عدة أسماء مختلفة؛ فسميت كل منطقة – على الأرجح – باسم القوم الذين يعيشون فيها.

ماذا يعني اسم ليبيا

وعلــى كل حال فان المنطقــة الممتدة من حدود الإســكندرية حتى ما بعد قورينا. شاملة (المدن الخمس). هي الآن الإقليم الوحيد

117 169-الذي يدعى باسم ليبيا.

وفــي ذلك القطر توجـد مدينة تبعد مسـيرة يوم واحد عن الإسـكندرية. اسمها (تافوزيريس) حيث يقولون إنها مثوى إله المصريين (اوزيريس)4. وقد بني الإمبراطور (جســتنيان) في هذه المدينة منشــآت كثيرة أهــم منها على وجه الخصوص محلات إقامة الحكام والحمامات.

إنشاءات جستنيان في ليبيا الشرقية

ويتفــق أن يكون الجزء الأعظم من أرض ليبيا هذه صحراء لم يعتن بها على وجــه العموم. غيــر أن إمبراطورنا5 نظــر إلى هذه البلاد كذلــك بعين الاهتمام حتى لا تكون عاثرة الحظ فتقاسي من غارات المور6 الذين يسكنون البلاد المجاورة؛ فأســس من أجل هذا حصنــين بحاميتيها يدعى أحدهمــا (باراتونيوم)7. بينما أطلق على الآخر الذي يقع بعيداً عن المدائن الخمس. اسم (انتيبورغوم)8.

1 - المحيط الأطلنطي.
2 - مضيق جبل طارق.
3 - البحر الأبيض المتوسط "بحر الروم".
4 - Osiris إله مصري يسميه هيرودوتس وديودوروس الصقلي (ديونوسوس). كان زوج أيزيس ووالد حورس.
5 - يعني جستنيان.
6 - The Moors ومــن الصعــب تحديــد اللفظ. إلا أن الأغلب أنه كان يطلق على ســكان شــمال إفريقيا ما بين ليبيا والمغرب. وهم. كســواهم من الأجناس. ذوو نشأة أســطورية. ويقال إن جدهم الأعلى هو Tidrarin ويعني: إنسان الجبل. إذ أن معنــى كلمــة Adrar بالبربرية "الجبل". أنظر للتفصيــل: L. C. Briggs. Tribes of The Sahara, London. 1960, p. 277
7 - Paratonium مرسى مطروح. وكانت تدعى أيضاً Ammonia .
8 - Antipyrgum – طبرق الآن.

في برنيق وما حولها

وتبعد المدائن الخمس عن الإسكندرية مسيرة عشرين يوماً لمسافر لا حمل لــه1. وقد أحاط الإمبراطور جســتنيان في منطقــة المدائن الخمس هذه مدينة (توخيــرا)2 بتحصينــات قوية جــداً. وهو أعاد بناء ســور (برنيــق)3 الدائري من أساســاته الســفلى. وابتنى في تلك المدينة أيضاً حماماً يســتعمله الشعب. وفضلاً عن ذلك فقد شــيّد على أقصى حــدود المدائن الخمس من ناحية الجنوب قلاعــاً في ديريــن يحملان اســمي (اغريولــدي) و(دينارثيســوم). وهمــا يقفان كحصنــين فــي وجه أهل ذلــك الإقليم حتى لا يهبطوا خلســة إلــى المنطقة الرومانية ويهاجموها على حين غرة.

وبتولومايس

وتوجــد هناك مدينــة تدعــى (بتولومايس)4. وكانــت في الأزمنــة الغابرة مزدهرة وآهلة بالســكان. لكنها كادت تهجــر تماماً بمضي الزمن نظراً لافتقارها الشديد إلى الماء فيها فإن أغلب السكان تركوها منذ زمن طويل. وقد أمضهم الضمــأ. وذهب كل منهم إلى وجهته. وعلى كل حــال فإن هذا الإمبراطور أعاد بناء قناطر المدينة الآن. فأعاد لها بهذا ازدهارها القديم.

وتدعــى أقصى مدينة من المدن الخمس ناحية الغرب (بوريوم)5. وهنا تقترب الجبــال مــن بعضهــا البعض. فتكــون بالتحامهــا حصناً فتســد المدخل على العــدو تماما وقد أحاط الإمبراطور هذه المدينة. التي لم يكن لها ســور من قبل. بتحصينات قوية حتى يجعلها آمنة جهد الشــاقة في المستقبل. وهي وكل ما يحيط بها من البلاد.

1 - حوالي 400 ميل.
2 - Tauchira طوكرة الآن.
3 - Berenice بنغازي الآن.
4 - Ptolimais طلميثه الآن.
5 - Boreium راجع ما نشره Googchild عنها في مجلة Helle** Studies لندن. العدد 41.

جالو وأوجلة

وهناك مدينتان تعرف كل منهما بذات الاسم. تدعى كل منهما (أوجلة)1. وهما تبعدان عن بوريوم جنوباً بحوالي مسيرة أربعة أيام لمسافر لا حمل له2. وهما مدينتان قديمتان احتفظتا كلتاهما بعبادات الأقدمين. إذ كانوا جميعاً في ضلال الشرك حتى يومي هذا. وتوجد هنا معابد من الأزمنة الغابرة مكرسة (لآمون)3 و(الأسكندر المقدوني)4. وقد تعود الأهالي فعلاً أن يقدموا لها القرابين حتى عهد جستنيان. وكان في هذا المكان عدد كبير ممن يدعون (عبيد الهيكل)5.

نشر النصرانية

لكن الإمبراطور أخذ أهبته الآن. لا لأمن أشخاص رعاياه فحسب، بل هو وضع في اعتباره خلاص أرواحهم كذلك. فاعتنى من كل سبيل بمن يعيش هناك من الناس. والحق أنه لم يترك وسيلة للتفكير في حاجاتهم المادية تفكيراً يفوق العادة. وهو علمهم كذلك مذهب العقيدة الحقة6. فحول السكان جميعهم إلى النصرانية ومهد السبيل لتبديد عادات أجدادهم الرجسة.

وبنى لهم فضلاً عن ذلك كنيسة لأم الرب7. لتكون حارساً لأمن المدينتين والعقيدة الحقة. وحسبنا من هذا الآن.

اليهود ومعبد سليمان

أما مدينة بوريوم، التي تقع بالقرب من المور، فأنها لم تذعن قط لدفع

1 - لعله يعني ما يدعى الآن واحتي جالو وأوجله. قارن: هيرودوتس. الكتاب الرابع فقرة 172.
2 - هذا يعني حوالي 80 ميلاً.
3 - Ammon ومعبده في سيوه، ولعل له معابد أخرى متفرعة عنه.
4 - ابن فيليب المقدوني. ولد سنة 356 ق.م. وتوفي عام 323 ق.م. وأمره معروف مشهور. وقد زار الأسكندر معبد آمون في سيوه وأعلن انتماءه إليه. وهناك نقود سكت باسم الأسكندر تحمل صورته يزينها قرن الكبش الذي كان رمزاً لآمون.
5 - Temple – Slaves لعلهم كانوا مكرسين لخدمة المعبد، أو هم سدنته.
6 - يعني النصرانية المؤمنة بالتثليث.
7 - مريم العذراء.

الجزية حتى الوقت الحاضر. كما لم يأتها جامع جزية أو ضرائب منذ أن خلق الإنسان. وقد عاش اليهود بالقرب منها منذ الأزمنة القديمة، وكان لهم معبد عتيق هناك أيضاً يوقرونه ويكرمونه، منذ أن بناه (سليمان)1 – كما يقولون – حين كان يحكم الشعب العبري. لكن الإمبراطور جستنيان مهد الطريق هؤلاء عبادة أسلافهم كذلك ويصبحوا نصارى. وحوّل معبدهم إلى كنيسة.

لمَ سميت سرت الكبرى بهذا الاسم

وتقع بعد هذه (سرت الكبرى)2 – كما تسمى – وسأشرح شكلها ولم أطلق هذا الاسم عليها. فإن نوعاً من شاطئ البحر يمتد هناك يقسمه البحر بدخوله، ولما كان مغطى بالماء فأنه يبدو وكأنه يختفي ولا يصبح واضحاً. فيشكل بانحناءاته خليجاً هلالي الشكل طويلاً جداً. ويمتد وتر الهلال إلى مسافة أربعمائة فرسخ3. لكن محيطه يبلغ مسافة ستة أيام4؛ لأن البحر يكوّن الخليج بأن يدفع نفسه داخل هذا الذراع من اليابسة. وعندما يدفع الريح أو الموج سفينة فتدخل الثغرة التي وراء وتر الهلال يستحيل عليها أن تعود. بل هي تبدو منذ تلك اللحظة وكأنها تُسْحَب5. ويظهر بجلاء أنها تُجر إلى الإمام. وأحسب أنه من هذه الحقيقة سمى الأوائل موقع (سرت) وبسبب من مصير السفن. ومن جهة أخرى فإنه من المتعذر على السفن أن تشق طريقها إلى الشاطئ لأن الصخور الغاطسة تحت الماء، والتي انتشرت عبر القسم الأكبر من الخليج، لا تتسمح بالملاحة في هذه الأنحاء. فهي تحكم السفن في المياه الضحلة هناك. ولا يستطيع بحارة هذه السفن أن ينجوا بأنفسهم إلا في

1 - هو سليمان الحكيم، أو سليمان بن داود. حكم من سنة 976 – 936 ق.م. وكان على علاقة وثيقة بالفرعون الليبي شيشنق "945 – 924 ق.م." وقد تزوج من ابنة شيشنق هذا وكان لها عليه تأثير كبير.
2 - يعني خليج سِدرة.
3 - حوالي 50 ميلاً.
4 - حوالي 120 ميلاً.
5 - Surithai باللاتينية. وقد علق مترجم النص إلى الانجليزية بقوله: "إن علم الاشتقاق الحديث يربط الاسم بالكلمة العربية "سرت" أي الصحراء، وهو اصطلاح يطلق الآن على كل الساحل شمال الصحراء". ولم أجد في ما بين يديّ من معاجم وقواميس عربية ما يؤيد هذا القول.

القوارب الصغيرة، إذا كان الحظ حليفهم، وذلك بأن يتلمسوا طريقهم إلى المنافذ وسط الأخطار1.

طرابلس وغدامس

وهنا توجد حدود (طرابلس)2 كما تسمى. ويسكنها المور الذين هم من أصل فينيقي. كما توجد هنا أيضاً مدينة تسمى (غدامس)3. وفيها يعيش المور الذين كانوا متسالمين مع الرومان منذ غابر الأزمان. وقد كسب الإمبراطور جستنيان هؤلاء جميعاً وأعتنقوا العقيدة النصرانية طوعاً.

ويسمى هؤلاء المور (باكاتي)4 لأن بينهم وبين الروم معاهدة دائمة. إذ أن السلام يدعونه (باكوم)5 في اللسان اللاتيني. وتبعد طرابلس مسيرة عشرين يوماً عن بنطابلس6 لمسافر لا حمل له.

لبدة العظمى

وتأتي بعد هذا مدينة (لبدة العظمى)7 التي كانت في الأزمنة القديمة مدينة كبيرة آهلة بالسكان، غير أنها في زمن لاحق خلت في الجزء الأكبر منها، فطمرتها الرمال بكثرة وأصابها الإهمال. فبني إمبراطورنا السور المحيط بهذه

1 - من أشهر حوادث أخطار ضحاضح سرت ما حدث للقديس بولس حين كان في طريقه على إيطاليا للتبشير للنصرانية؛ فتعرضت السفينة التي كان فيها إلى بعض هذه الأخطار "... فلما نسمت ريح جنوب ظنوا أنهم قد ملكوا مقصدهم، فرفعوا المرساة وطفقوا يتجاوزون كريت على أكثر قرب ... وإذ كانوا خائفين أن يقعوا في السيرتس "سرت" أنزلوا القلوع، وهكذا كانوا يحملون. وإذ كنا في نوء عنيف جعلوا يفرغون في الغد. وفي اليوم الثالث رمينا بأيدينا أثاث السفينة. وإذ لم تكن الشمس ولا النجوم تظهر أياماً كثيرة وأشتد علينا نوء ليس بقليل انتزع أخيراً كل رجاء في نجاتنا... ولما صار النهار لم يكونوا يعرفون الأرض ولكنهم أبصروا خليجاً له شاطئ، فأجمعوا أن يدفعوا إليه السفينة إن أمكنهم. فلما نزعوا المراسي تاركين إياها في البحر وحلوا ربط الدفة أيضاً رفعوا قلعاً للريح الهابة وأقبلوا إلى الشاطئ. وإذ وقعوا على موضع بين بحرين شطَطوا السفينة فأرتكز المقدم ولبث لا يتحرك، وأما المؤخر فكان ينحل من عنف الأمواج.." العهد الجديد – أعمال الرسل. الإصحاح السابع والعشرون.

2 - Triplis أو المدن الثلاث.

3 - Cidame واحة ليبية على الحدود مع الجزائر.

4 - Pacati أي المسالمون.

5 - Pacum السلم ومنه الكلمة الانجليزية Peace.

6 - Pentapolis مدن برقة الخمس.

7 - Leptis Magna شرقي مدينة الخمس بمسافة يسيرة. وهي مدينة أنشأها الفينيقيون بعد إنشاء قرطاجنة بتونس كمستقر تجاري لهم، وازدهرت ازدهاراً عظيماً في عهد الرومان وصارت مدينة حرة، خاصة إبان حكم ابنها (سبتيموس سيفروس). ولا تزال آثارها الفخمة تعد حتى اليوم من أجمل وأعظم آثار العالم أن لم تكن تبزها جميعاً.

المدينة من أسسه، وإن كان لا يبلغ على كل حال مقدار سعته التي كان عليها من قبل، حتى لا تضعف المدينة مرة أخرى بسبب من اتساعها الكبير ويمكن أن تسقط في يد العدو أو تغزوها الرمال. وهو فعلاً ترك القطاع المطمور من المدينة بسور مبني بناء قوياً جداً. وهو هنا أوقف على أم الرب1 حرماً شهيراً للغاية، وبني أربع كنائس أخرى.

قصر سيفروس

وأكثر من هذا فإنه أعاد بناء القصر الذي شيّد هنا في الأزمنة السالفة ويرقد الآن أطلالاً، وهو من عمل الامبراطور القديم (سيفروس)2 الذي ولد في هذا المكان وخلف هذا القصر كذكرى لحظهِ السعيد.

لبدة بين الوندال ولواته

والآن، وقد بلغت هذه النقطة في الحديث، فإنني لا أستطيع أن أتجاوزها دون أن أذكر ما حدث في لبدة العظمى في أيامنا، فانه حين تسلم الإمبراطور جستنيان زمام السلطة الإمبراطورية، وإن كان لم يكسب الحرب الوندالية3 بعد، تغلب المور الذين يدعون (لواته)4 على الوندال الذين يسودون ليبيا آنذاك،

1 - يعني مريم العذراء أم عيسى عليه السلام.

2 - لوكيوس سبتيموس سيفروس L. Septemius Severus ولد في لبدة سنة 146 م. والراجح انه من أرومة ليبية. وبعد توليه عدة مناصب في عهد ماركوس أوريليوس وكومودوس عين قائداً للجيش في الليريا (يوغوسلافيا الآن وما حولها) فأعلنه جنوده إمبراطوراً بعد وفاة بيرتاكس، فسار في الحال إلى روما. ولما استولى على العرش أدار جيشه نحو خصمه "نيجر" الذي نادت به فيالق جيش الرومان في الشرق إمبراطوراً، فهزمه عند أسوس وقتله عام 194 م. ثم حاصر بيزنطة (القسطنطينية) وأخذها عنوة سنة 196 م. وفي هذه الأثناء قاد حملة ناجحة شرقي الفرات سنة 195 م. وبعد بيزنطية انقلب الإمبراطور إلى روما، ثم ليحارب خصمه آلبينوس في فرنسا، فانتصر عليه وقتله عام 197 م. وأصبح سيفروس بهذا السيد المطلق على العالم الروماني بأسره. وبين عام 199 – 202 م. كان سيفروس في الشرق لقمع ثورة البارثيين الذين اكتسحوا بلاد ما بين النهرين، ثم عاد إلى روما في السنة التالية. وخلال السنوات الخمس التالية انهمك في تحسين أحوال مدن إمبراطوريته. وقد حازت لبدة من عنايته بنصيب الأسد، إذ كانت تحتل مكانة خاصة في قلبه وعقله، وحظيت بزيارته واهتمامه. وكان سيفروس في بداية حياته قد اقترن بئاميرة سورية تدعى Julia Domna وكانت هذه السيدة قد أحضرت معها أختها مائسة J. Maesa وابنتي أختها، وكن جميعاً على ذكاء وفطنة كبيرين، وعن طريقهن عمت الروح الشرقية العالم الروماني. وتوفي سيفروس في يورك بانجلترا في أثناء حربه مع قبائل اسكتلندا وانجلترا عام 211 م. بعد حكم زاهر استمر 18 عاماً، وخلفه أبناه كاكلا وجيتا على العرش.

3 - هي الحرب التي خاضها أباطرة بيزنطة ضد الوندال في أوربا وأفريقيا. (أنظر: بروكوبيوس. كتاب الحروب. الكتاب الثالث. الحرب الوندالية. المجلد الثاني من سلسلة Loeb).

4 - Luathae ويذهب فرنسيس رود F. Rodd في كتابه People of The Veil (ص 337) إلى قبائل لواته هي بعينها قبائل الليبيو Lebo القديمة. وهو يعزز رأيه بتطابق الاسمين تقريباً، وبأن الأدريسي وضع لواته في نفس الموضع الذي

وأخلوا لبدة العظمى كلية من السكان. وبينما كانوا يتربصون مع قادتهم على أرض مرتفعة غير بعيد من لبدة العظمى رأوا فجأة لهباً يتصاعد وسط المدينة، فسارعوا إلى النجدة على عجل ظانين أن الأعداء دخلوها. فلما لم يجدوا أحداً هناك حملوا الأمر إلى كُهانهم الذين تنبأوا، استناداً إلى ما حدث، بأن لبدة العظمى ستعمّر من جديد. ولم يمضِ وقت طويل بعد هذا حتى جاء جيش الإمبراطور وأحتل كلاً من طرابلس وبقية ليبيا داحراً كلاً من الوندال والمور في الحرب. وسأعود على كل حال إلى النقطة التي بعدت عنها في الحديث.

من أعمال جستنيان التبشيرية

وقد بنى الإمبراطور جستنيان في هذه المدينة كذلك حمامات عامة، وشيد السور المحيط بالمدينة من أسسه السفلي. فأسبغ على المدينة بهذه الحمامات والتحسينات الأخرى طابع المدينة. وهو جعل من أهل القبائل التي تعيش بالقرب منها، والتي تدعى (الغادابيتاني)1 – وكانت حتى ذلك العهد منغمسة في ما يسمى شكل الإلحاد الإغريقي2 - جعل منهم الآن نصارى متحمسين. وهو سوّر كذلك مدينة صبراتة3 حيث بنى أيضاً كنيسة جديرة بالاعتبار.

عينه لها المؤرخ ليو ودعاهم ليبيتاي Lebetae أو لفاته Levata. ويرى رود أن النطق العربي الذي أورده ابن خلدون في حديثه عن البربر وهو (لواته) ربما كان محرفاً عن (لفاته) اللاتينية. وكان حرفا الـB والـV كثيراً ما يختلطان في العصر البيزنطي، فيقال (بندال) و(فندال) مثلاً. وقد كانت مواطن لواته في العهد البيزنطي في سرت الصغرى (خليج قابس). ويقول المسعودي إنهم كانوا يعيشون في واحات مصر، كذلك نحن نعرف أن قبائل الليبيو تعرضت لغزو قبائل المشوش في الغرب. فمن المرجح أن يكون هناك اختلاط بين القبيلتين وأن من الليبيو من بقي في الواحات شرقي ليبيا ومنهم من جاء إلى غربها.

وقد قامت لواته في القرن العاشر الميلادي (947 – 8) بمساعد حاكم تاهرت في الجزائر ضد المنصور الخليفة الفاطمي الثالث. فلما انتصر المنصور على خصمه دفع لواته إلى الصحراء، فمنهم من لاذ بالجبال ما بين صفاقس وقابس حيث ظلوا حتى أيام ابن خلدون، ومنهم من لجأ إلى واحة سيوه والمناطق المحيطة بها.

1 - Gadabitani قبيلة ليبية لا يعرف موطنها.

2 - يعني الوثنية.

3 - Sabratha. غربي طرابلس بحوالي ستين كيلوا متراً.

كِتابُ "الحُروب"

الكتابُ الثَالِث

الحروبُ الونداليّة

تعريف

احتل الوندال قرطاجنة سنة 439م. تحت قيادة (جيزريك). بعد أن اخترق إسبانيا حين دعاه (بونفاشو) لمساعدته ضد منافسه (بلاكيديا). فطرده جيزريك من مملكته، وحكم هو وعقبه إفريقيا مائة عام بعد ذلك.

وقد كان الوندال شعباً من أصل جرماني هاجروا من موطنهم على بحر (آزوف) عبر ألمانيا وفرنسا وإسبانيا. وأعتنقوا خلال هجرتهم النصرانية الآريانية، فكانوا الأعداء الألداء للكاثوليكية. فسلبوا الإفريقيين الكاثوليك أموالهم، وطردوا القساوسة، ومن ظل على اعتناقه للكاثوليكية. وهم لم يحتلوا المدن في حملتهم الطويلة، بل تجنبوها وعمدوا إلى تدمير تحصيناتها وقلاعها حتى لا يحتمي بها أعداؤهم. وكانت هذه هي عادة زعيمهم الأول جيزريك. فدمروا أسوار لبدة وصبراته وربما أويا. والأثر الوحيد الدال عليهم في المدن هي قطعة النقود التي وجدت في سوق لبدة.

وقد مات جيزريك عام 477 م. ولم يحدث بينه وبين القبائل الليبية صراع أثناء حياته، بل كان بينه وبين الروم البيزنطيين في شمال إفريقيا. غير أن الأمور بين الوندال والليبيين لم تلبث أن توترت، فقام زعيم قبيلة ليبية اسمه (كاباون) بالثورة في وجه الوندال وملاقاتهم حتى تمكن بحنكته وخبرته الحربية من هزيمتهم ودحرهم. ولا يحدد بروكوبيوس اسم قبيلة كاباون. وان كان الأغلب أنها (لواته) التي كانت لها سطوة ونفوذ آنذاك.

نكبة الوندال

فقرة 8

الوندال يضطهدون النصارى الكاثوليك

آل حكـم الوندال بعد موت (هونوريك) إلـى (غوندامونـدوس) ابن (جينزون بن جيزريك)، إذ كان أكبر ذرية جيزريك سـناً. وقد أشتبك غوندامونـدوس هذا في معـارك عديدة مع المور1. ثم مرض ومات. بعـد أن أذاق النصارى صنوف العذاب، فـي منتصف العام الثاني عشـر من حكمـه. ثم تقلد زمام الحكـم من بعده أخوه (تراسـاموندوس) وهو رجل وهب حسـن الصورة والفطنة وسـعة الفكر. لكنـه على كل حال ظـل يجبر النصارى علـى تغيير دين آبائهـم، لا عن طريق التنكيل بأجسادهم كما يفعل أسلافه، بل بمحاولة كسبهم عن طريق التكرم والمناصـب وإغـداق المال عليهم. أما بالنسـبة لمن لا يقتنعـون منهم فقد كان يتظاهـر بأنه لم يكن يعرف إلى أي دين ينتسـبون. فإذا ما قبض على أي مذنب منهـم بجرم عظيـم أرتكبه عمداً أو عـن غير قصد فإنـه كان يعرض عليه أن يعفيه من العقاب على جرمه في مقابل أن يغير معتقده.

تراساموندوس يتولى زعامة الوندال

وعندما توفيت زوجة تراسـاموندوس دون أن تخلف عقباً ذكراً أو أنثى أرسل إلى (لذريق) ملك (القوط)2 وطلب منه أن يزوجه أخته (أما لافريدا) التي توفي عنها زوجها منذ عهد قريب، أملاً في تأسيس المملكة على أسس مأمونة جهد الطاقة. فلم يكتف لذريق بأن يرسـل له أخته فحسـب، بل بعث معها كذلك ألـف رجـل من أعيان القوط حرسـاً خاصاً لها، ومن خلفهـم جملة من الأتباع يبلغون حوالي خمسـة آلاف رجـل محارب عدداً. وأهدى لذريـق أخته أيضاً أحد

1 - Moors – أهل شمال أفريقيا.
2 - Goths. حكام إسبانيا حتى الفتح الإسلامي.

رؤوس صقلية الثلاثة – وهو رأس (ليلوبايوم) – ونتيجة لهذا عُدَّ تراسـاموندوس أقوى وأشـد من حكم الونـدال، كما أصبح كذلك صديقـاً حميماً للإمبراطور (أنسـتاس). وفي عهد تراسـاموندوس هذا عانى الوندال نكبة مريرة على أيدي المور لم تصبهم أبداً من قبل!

كاباون الطرابلسي يستعد للقاء الوندال

فقـد كان هناك رجـل يدعى "كابـاون"1 يحكم مور طرابلـس، تميز بالدهاء الكبيـر وخـاض معارك كثيـرة. وعندما علم كابـاون هذا بزحـف الوندال عليه قـام بالعمل التالـي: فأصدر أوامره أولاً إلى أتباعه بأن يبتعدوا عن كل عسـف، وان يجتنبوا المتعة ويمتنعوا خصوصاً عن معاشـرة نسـائهم. ثم أقام بعد ذلك سـورين دائريين عسكر هو والرجال جميعاً في أحدهما ووضع النسوة في الآخر، وتوعد بالموت عقوبة لمن يذهب إلى معسـكر النسـاء. وبعدها أرسل عيوناً إلى (قرطاجنة) مزودين بهذه التعليمات: عليهم أن يراقبوا الوندال متى مضوا في حملتهـم قدماً وأهانتهم لأي معبد يوقره النصـارى، ويرصدوا ما يحدث، وحين يغـادر الوندال المـكان عليهم أن يفعلـوا عكس ما فعله الونـدال بالمعابد قبل رحيلهـم عنهـا. ويقولون إنه أضـاف إلى هذا أنه كان يجهـل الإله الذي يعبده النصـارى، لكن مـن المحتمل – لو كان هـذا الإله قوياً كما يقـال عنه – أن ينزل نقمته المدمرة بمن أهانوه ودافع عمن بجلوه.

عيون كاباون يتعقبون الوندال

وهكذا جاء جواسـيس كاباون إلى قرطاجنة وانتظـروا في هدوء يلاحظون تأهـب الوندال. لكـن ما إن بدأ الجيش مسـيرته إلى طرابلس حتـى اقتفوا أثره مرتدين ثياباً رثة، ولما عسكر الوندال في اليوم الأول اقتادوا خيولهم وحيواناتهم

1 - Cabaon و ولعل هناك صلة بين اسمه واسم بلدة كاباو cabao في جبل نفوسة.

الأخـرى إلى داخـل معابد النصـارى، ولم يدعو منكـراً إلا فعلـوه، وقاموا بكل محظـور تجيزه طبيعتهـم المتوحشـة، فضربوا من أمسـكوا به مـن الرهبان وجلدوهـم جلـداً عنيفاً على ظهورهم بالسـياط. لكن بمجـرد أن أرحل الوندال من هناك قام جواسـيس كابـاون بعمل ما أمروا به، فنظفوا فـي الحال المعابد وأزالوا منها أكداس القاذورات وكل خبيث فيها، وأوقدوا جميع المشـاعل. وكانوا ينحنون أمام الرهبان باحترام عظيم ويحيونهم بكل ودّ. وبعد أن أعطوا القطع الفضية للفقراء المحيطين بهذه المعابد تبعوا جيش الوندال. واسـتمر الأمر على هذا الحال طول الطريق، إذ كان الوندال يقومون بهذه الجرائم فيعيد الجواسـيس نفس ما فعلوه. حتى إذا اقتربوا من المور سبق الجواسيس وأنبأوا كاباون بما فعله الوندال ومـا فعلوه هم لمعابد النصارى، وأن العدو ليـس عنهم ببعيد. وعندما علم كاباون بهذا أعد عدّة المعركة على النحو التالي: إذ اختط دائرة في السـهل الذي كان يزمع أن يتخذه معسـكراً له، ووضع جماله منحرفة بجوانبها تشكل دائـرة لحماية المعسـكر، وجعل جبهته تواجه العدو وأثني عشـر جملاً. ثم وضع الأطفال والنسـوة والعجـزة جميعاً مع ممتلكاتهم في وسـط الدائرة، في حين أمـر جملة الرجال المحاربين بان يقفوا بين أقدام تلك الحيوانات ويحموا أنفسـهم بدروعهم.

ارتباك الوندال

فلما وجد الونـدال جيش المور على هذا الوضع ذهلوا عما يمكنهم عمله، إذ لم يكونوا يحسنون استعمال النبال ولا الأقواس، كما لم يكونوا يعرفون كيف يلتحمون راجلين، فقد كانوا جميعاً فرسـاناً يستخدمون الرماح والسيوف أكثر من سواها، فلم يكونوا لهذا يستطيعون إلحاق أذى بعدوهم على بعد.

كاباون ينتصر ويذيق الوندال العذاب

وقد حرنـت خيولهم بعد أن أزعجها منظر الجمـال، وأبت أن تنقاد في اتجاه العدو على الإطلاق. وهكذا اسـتطاع المور أن يثخنوا الوندال قتلاً هم وخيولهم دون عناء، بأن رشـقوهم بأعداد هائلة من النبال من مكمنهم الآمن. وهم حشد كبير، فبدأ هؤلاء في الفرار. وعندما خرج المور كان أغلب الوندال قد هلك، بينما وقع بعضهم في أيديهم، ولم يعد من هذا الجيش سوى عدد قليل جداً!.

وكان هذا هو نصيب تراسـاموندوس من العذاب الذي لاقاه على أيدي أهل طرابلس!.

انتقام لواته

فقرة 21

مذبحة الثمانين شيخاً من لواته

وفي السنة الرابعة من هذا[1] انقلبت سعود الروم كلها إلى نحوس. فقد عين الإمبراطور جستنيان في العام السابع عشر من حكمه كلاًّ من (كوروس) و(سرجيوس) ابني (باكوس) أخي (سليمان)[2] ليحكما مدن ليبيا. فكان لكوروس – وهو الأكبر سناً – (بنطابلس)[3] ولسرجيوس (طرابلس). وجاء المور الذين يدعون (لواته)[4] إلى سرجيوس بجيش عظيم في مدينة (لبدة العظمى). وأذاعوا أن سبب قدومهم هو أن يعطيهم الهدايا وشعارات المناصب المعتادة[5] حتى يسود الأمن والسلام. ولكن سرجيوس، مقتنعاً برأي (بودنتيوس) – وهو رجل طرابلس ذكرت فيما سبق أنه أعان الإمبراطور جستنيان ضد الوندال في بداية الحرب الوندالية[6] - استقبل ثمانين رجلاً من

1 - الإشارة هنا إلى هدوء الأحوال بعد الصراع العنيف الذي خاضه أهل شمال أفريقيا ضد الوندال والروم، واستتباب الأمور لسليمان الداراسي الذي سبق ذكره. وكان هذا خلال عامي 543 – 544 م.

2 - Cyrus وSergias أبناء Bacchus وSolomon هو أحد قادة الإمبراطور جستنيان في ليبيا. وكان من مدينة تقع في أقاصي الإمبراطورية البيزنطية من جهة الشرق تدعى Daras، كما كان قائداً للجيش الأحتياطي، ومعاوناً للقائد الشهير Belasarius (أنظر: 9، 7-5 Xi. III.).

3 - أي مدن برقة الخمس.

4 - أنظر: كتاب العمائر عند ذكر (لواته) والتعليق.

5 - راجع: (III. XXV. 4. FF) وكان من عادة سكان البلاد أن لا يعترفوا بأي حكن جديد إلا إذا دفع لهم بشعارات فضية مغشاة بالذهب، وغطاء رأس فضي يشبه التاج ومثبتاً من جوانبه بركائز من فضة، وعباءة بيضاء تثبت على الكتف الأيسر بمشبك ذهبي، وقباء أبيض مطرز، وحذاء مموه بالذهب.

6 - Podentius راجع: (III. X. 22) ويذكر بروكوبيوس ما خلاصته أن قسيساً جاء إلى الإمبراطور جستنيان وأخبره بأن يسوع تجلّى له في المنام وقال له إنه سيكون مع جستنيان إذا ما شن الحرب على الوندال في ليبيا وخلصها من شرورهم. فاستعد الإمبراطور لغزو ليبيا، وجاءه في أثناء ذلك رسول من قبل بودنتيوس الطرابلسي هذا يطلب منه العون على القيام في وجه الوندال وينبئه بأن في إمكانه التغلب عليهم، فبعث له جستنيان جيشاً صغيراً بقيادة Tattimuth فاستولوا على أرض الوندال الذين كانوا مشغولين بأحداث أخرى في سردينيا، وأصبح منذ ذلك الحين حليفاً للروم.

أعظم وجوه لواته داخل المدينة، واعداً إياهم بتلبية طلباتهم كلها. وطلب من الباقين أن يظلوا في ضواحيها. وبعد أن أعطى هؤلاء الأعيان ضمانات السلام دعاهم إلى وليمة أقامها لهم. ويقال إن هؤلاء جاءوا إلى المدينة يبيتون الغدر، وأنهم كانوا ينصبون فخاً لسرجيوس ليقتلوه. ولما جلسوا يأتمرون معه دفعوا بتهم عديدة ضد الروم. وقالوا بالخصوص إن محاصيلهم سلبت ظلماً وعدواناً. فنهض سرجيوس، غير ملتفت لهذه التهم، من فوق الكرسي الذي كان جالساً عليه بغية الذهاب. فحاول رجل من لواته أن يمنعه من ذلك بأن وضع يده على أحد كتفيه. ثم بدأ بقية رفاقه يصيحون واندفعوا نحو سرجيوس. لكن أحد حرسه استل سيفه وقتل ذلك اللواتي. ونتج عن هذا بالطبع هرج عظيم ارتفع في الدار. وكان أن قتل حرس سرجيوس كل شيوخ لواته الثمانين. إلا واحداً منهم اندفع خارج الدار حين رأى مذبحة رفاقه دون أن يلحظه أحد. وحين وصل إلى رجال قبيلته أعلن لهم ما جرى لزملائه. فلما سمعوا هذا أسرعوا إلى معسكرهم وتقلدوا جميعاً أسلحتهم لمواجهة الروم. وعندما اقتربوا من مدينة لبدة واجههم سرجيوس وبودنتيوس بجيشهم كله. وأصبح القتال في المعركة التحاماً يداً بيد. وقد كان النصر في البداية للروم. فقتلوا كثيراً من العدو ونهبوا معسكره واستولوا على ممتلكاته. كما سبوا عدداً كبيراً جداً من النساء والأطفال. لكن بودنتيوس ما لبث أن قُتل بعد أن تملكته روح المخاطرة الطائشة. وانسحب سرجيوس والجيش الرومي إلى داخل لبدة بحلول الظلام.

لواته تكتسح جيش الروم

وقام بعد ذلك لواته يحاربون الروم باستعداد عظيم، ومضى سرجيوس ليلحق بعمه سليمان عساه يمضي معه للقاء العدو بجيش أكبر. ووجد هناك أيضاً أخاه كوروس. وقد شن لواته حين وصولهم إلى (بوزاكيوم)[1] غاراتهم

1 - Byzacium هي مدينة سوسة، على الساحل الشرقي لتونس.

وغنموا جزءاً كبيراً من تلك البلاد. وأصبح "انتالاس"1 – الذي ذكرت فيما سبق أنه ظل على وفائه للروم وصار لهذا هو الحاكم الفرد على المور في بوزاكيوم – أصبح الآن عدواً لسليمان. ذلك لأن سليمان كان قد حرمه من الجراية السنوية التي كان الإمبراطور جستنيان يكرمه بها. كما قتل أخاه متهماً إياه بأنه مسئول عن ثورة قامت ضد سكان بوزاكيوم من الروم. وعليه فإن انتالاس سُرّ حين رأى لواته، وعقد معهم حلف هجوم ودفاع، وقاده ضد سليمان وقرطاجنة.

سليمان يستعد لقتال لواته

وبمجرد أن سمع سليمان بهذا حرك جيشه عن بكرة أبيه وسار ليواجه لواته، فهبط عليهم عند مدينة (تبسته) وهي تبعد مسافة ستة أيام عن قرطاجنة، وعسكر هناك بصحبة كوروس وسرجيوس وسليمان الأصغر أبناء أخيه باكوس. ثم أرسل إلى قادة لواته – وقد خشي كثرة عددهم - ولومهم لأنهم حملوا السلاح في وجه الروم في أثناء السلم معهم. وطلب منهم أن يوطدوا أركان السلام الموجود بين الشعبين. كما وعد بأنه سيحلف بأغلظ الأيمان على أنه سيتغاضى عن كل ما فعلوه.

لواته تسخر من سليمان

لكن لواته قالوا – ساخرين من أقواله – إنه سيقيم طبعاً بكتب النصارى المقدسة التي يدعونها الأناجيل. ولما كان سرجيوس قد أقسم هذه الأيمان ذات مرة ثم قتل أولئك الذين صدقوها2 فإنهم يتوقون إلى المعركة ليمتحنوا هذه الكتب المقدسة ذاتها، وليشهدوا أي ضرب من القوة فيها ضد الحانثين. حتى يثقوا فيها ثقة مطلقة قبل أن يدخلوا في اتفاق نهائي. ولما سمع سليمان ذلك أخذ أهبته للحرب.

1 - Antalas راجع: IV. Xii 30. ويذكر بروكوبيوس أن مور بوزاكيوم لجأوا إلى جبال الأوراس في الجزائر مع بقية إخوانهم عندما دخل الروم قرطاجنة عام 535 م. ولم يبق في بوزاكيوم سواء أنتالاس هذا وأتباعه، وقد هادن الروم.
2 - الإشارة هنا إلى مذبحة الثمانين زعيماً (IV. Xxi.) حيث لم يذكر بروكوبيوس شيئاً عن قسم أداه سرجيوس على الإنجيل.

هزيمة الروم

وفي اليوم التالي اشتبك بقسم من الأعداء وقد أتوا معهم بغنائم كثيرة، فانتصر عليهم في موقعة واستحوذ على كل ما لديهم من غنائم ووضعها تحت الحراسة. فغضب الجند عندها وقالوا إن من الظلم أن لا يوزع عليهم الأسلاب. فقال سليمان أنه ينتظر نتيجة الحرب ليوزع عليهم كل شيء آنذاك، فينال كل منهم سهمه الذي يستحق. لكن عندما هاجم لواته مرة أخرى بجيشهم كله تخاذل الروم هذه المرة ودخل الباقون المعمعة دون حماسة. وقد ظلت كفتا الفريقين متعادلتين في بداية الأمر. ثم ما لبثت أن رجحت كفة لواته رجحانا كبيراً لتفوقهم في العدد. فهرب اغلب الروم ورغم أن سليمان وثلة من الرجال حوله صمدوا زمناً لقذائف لواته فإنهم اندحروا في النهاية، ففروا على عجل حتى بلغوا وهدة من نهير كان يجري في ذلك الإقليم.

ومقتل سليمان

وهناك تعثر فرس سليمان وطرحه أرضاً، فرفعه حارسه بسرعة من بين أيدي رجال لواته ووضعه على ظهر فرسه. لكن الألم الشديد غلبه ولم يعد قادراً على أن يمسك بعنان جواده، فأخذه لواته وقتلوه. كما قتلوا بجانبه عدداً كبيراً من حرسه.

وهكذا كانت نهاية حياة سليمان!.

نصُوصُ مِن ليُو الأفريقي

تعريف

هذا مؤلف عربي اسـمه الأصلي: الحسـن بن محمد الوزان الفاسي[1]. وقد عـرف في الغرب وفي الدوائر العلمية باسـم "ليو أفريكانوس" Leo Africanus أو "ليو الأفريقي" بسبب أنه جاء من أفريقيا أو لأنه كتب عنها مجلده الضخم (وصـف أفريقيـا) Description of Africa. وعرف أيضاً بـ "الغرناطي" وباسـم "جيوفانـي ليوني" Goevanni Leone. ولـد في غرناطة بالأندلس عام 1494 م. أو 95. في أثناء محنة المسلمين فيها. من أسـرة ميسورة الحال. هاجرت – فيما بعد – إلى فاس بالمغرب الأقصى. وقد قضى طفولة وشباباً قاسيين. واستطاع – برغبته الصادقة وذكائه المتميز – أن يكون نفسـه علميّاً رغم قسـوة الحياة ومشـاقها. وعمل جندياً وتاجراً. وقاضياً. وفقهياً. وكاتباً. وإماماً. وسفيراً لبلاط فـاس لـدى تمبكتو. وقـام برحلات كثيـرة إلى ليبيـا ومصر والحجاز وبـلاد فارس والأناضـول. ودواخل أفريقيا حتى تشـاد وحول نهر النيجـر. وعاصر – إلى جانب سقوط الأندلس – حكن المماليك لمصر. وسقوط القاهرة في يد العثمانيين.

وفـي أثناء رحلـة ثانية قام بها بحراً إلى القسـطنطينية. وقع أسـيراً في يـد بعض قراصنة البندقيـة عند جربة فحملوه – لما تبينـوا علمه – إلى البابا "ليو العاشـر" – فأكرمه هذا وحرره وعمل على تنصيره. وقد أعلن تنصره – ربما بضغط الحاجة والخوف – وعاش في روما حيث وضع كتابه الشهير الذي يبدو أنه سجله بالعربية أولاً. أو نقله من جذاذات كان يحتفظ بها إلى اللغة الإيطالية. وطبع الكتاب لأول مرة في أثناء حياته عام 1550م.

1 - في الأصل الإنجليزي الذي ترجمت عنه تقرأ: (الوزاز Al-Wazzaz) بزائين. لكن الصواب هو (الوزان) – بنون في آخره .

وبعد وفاة الباب "ليو العاشر" ساءت الأحوال بالنسبة إليه. والأرجح أنه غادر روما إلى تونس حيث عاد إلى الإسلام من جديد وعاش بقية حياته إلى أن توفى بها عام 1552م.

وقـد ظـل هذا الكتـاب المصـدر الوحيد المعتمـد عليه في معرفـة أحوال شـمال أفريقيا ووسـطها لمدة ثلاثة قرون. حين بدأ الرحالـة الأوربيون في حركة استكشاف الصحراء ومعرفة أسرارها.

وإذا كان من عادة "ليو" أن يقتبس ممن سـبقوه في الكتابة عن هذه المناطق كالإدريسـي والبكري وسـواهما – فـإن ملاحظاته الشـخصية كانت واضحة للغايـة خاصة فيمـا يتعلق بوصفه للحيـاة الاجتماعية فـي المغرب الأقصى ومصـر. أما بالنسـبة لليبيا فيبدو أن إقامته بمدنها لم تكـن طويلة. إذ اكتفى بوصـف أهم معالمها في عصره – رغـم أنه يذكر زيارته لها وأنه عمل تاجراً بها. إذ "اشترى من برقة بعض التجار بعض الأغنام والسمن"[2].

وقـد ترجمت المقتطفات التالية من ترجمة "جون بوري" J. Pory التي نقلها عـن الإيطالية عـام 1600م. عن طبعة مكررة بمقدمـة وهوامش بقلم الدكتور "روبـرت بـراون" R. Brown. وحرصت على نقل ما وجدته مناسـباً من تعليقات "براون" التي سـجلها عام 1895م. إذ أصبحـت هي الأخرى من جملة النصوص التي تبين ما كانت عليه البلاد في تاريخها البعيد والقريب[3].

1 - ص VIXX من مقدمة براون.

2 - يحسن أن يعود القارئ – لمزيد من الفائدة – إلى مقالة الدكتور نقولا زيادة (ليبيا من حسن الوزان إلى التمغروتي) المنشورة في مجلد (ليبيا في التاريخ) ص 249 وما بعدها. ويستفيد من ترجمته وتعليقاته.

عن بلدة زوارة

هذه البلدة التي بناها الأفارقة على شاطئ البحر الأبيض المتوسط وتقع على بعد نحو خمسين ميلاً شرقي جزيرة جربة. وهي ذات سور ضعيف وسكان معوزين. لا يقومون بشيء سوى صناعة الجير واستخراج الجبس يبيعونه في مملكة طرابلس[1] أما حقولهم فهي جرداء للغاية. وتضيّق غزوات النصارى على السكان الخناق باستمرار، وبخاصة منذ استولى النصارى على طرابلس[2].

عن بلدة لبدة

هذه البلدة القديمة التي أسسها الرومان والمحاطة بأسوار غاية في الارتفاع والقوة. اكتسحها المسلمون[3] مرتين. ومن أحجارها وآثارها بنيت طرابلس فيما بعد[4].

عن مدينة طرابلس القديمة

شيدت طرابلس القديمة أيضاً من قبل الرومان، ثم تملكها القوط، وأخيراً

1 - كذا في الأصل Kingdome of Tripoli.
2 - يخلط "بروان" بين زوارة والزاوية في تعليقه، وكذلك بينها وبين زواغة – (المترجم). وقد كان عند زوارة أن هزم فرسان القديس يوحنا بمالطة تحت قيادة "ليون ستروزي" L. Strozzi يوم 16 أغسطس 1551م. وكانت هذه الهزيمة، مضافة إلى فشلهم في السيطرة الكاملة على طرابلس، هي بلا ريب التي جعلت هؤلاء الفرسان يرفضون عرض الملك شارل الخامس المهدية عليهم، إذ لم يكن لديهم مزيد من التحمل لمتاعب أفريقيا (بروان).
3 - الأصل: "المحمديون" Mahumetans.
4 - Lepida – Lebda – Lepda – Lebida – هي لبدة الكبرى Leptis Magna وقد وقع ليو هنا في خطأ فان لبدة أسسها الصيداويون كمستقر، وازدهرت تحت حكن الرومان رغم أنها ظلت محتفظة بصبغتها الفينيقية إلى النهاية بسبب اتصال وتزاوج المستوطنين بالنوميديين (يعني السكان الأصليين) المجاورين الذين يتكلمون اللغة البربرية. وخلال الاحتلال الوندالي دمر جنسريك Genseric أسوار لبدة وتحصيناتها كما هي سياسته المعتادة في تدمير تحصينات أفريقيا، حتى هاجر السكان من المدينة وبسبب وقوعها تحت طائلة البرابرة. فلما جاء جستنيان أعاد بناء أسوار لبدة وصبراته. وفي عهد قسطنطين الثاني (647 – 8 م) غزا لواتة (الذين يقول رينيل Renell إن كلمة "لِيبيا" منهم) وهم قبيلة بربرية معروفة، غزوا لبدة. هؤلاء الغزاة، بالإضافة إلى رمال الصحراء، جعلت من لبدة مكاناً لا يحتمل العيش فيه، حتى هجرها أهلها تدريجيا إلى طرابلس التي بنيت على أنقاض أويا Oea القديمة. وقد أشار كل من سكيلاس وسترابو وبطليموس وبونبوتيوس إلى لبدة باسم نيابوليس Neapolis ويقترح بارتل Bartil أنه اسم حي من أحياء المدينة. وقد جعل موقع لبدة التجاري، الذي يفضل موقع طرابلس كثيراً، قاطنيها على حالة من الثراء، حتى قدرت الجزية في الوقت الذي كانت فيه تحت سيطرة قرطاجنة بتالنت Talent يومياً (666 جنيهاً انجليزياً) (بعملة نهاية القرن التاسع عشر – المترجم). وكان أهلها يدفعون – وهم تحت حكم الرومان – ضريبة مقدارها 300,000 رطل من زيت الزيتون سنوياً. وكان لهم دستورهم البونيقي كما تظهر النقوش. وكان آخر ذكر للبدة في نص طنسي عام 482 ميلادية – (براون).

تملكها المسلمون في عهد الخليفة عمر[1] حين حاصر المسلمون حاكم طرابلس مدة ستة أشهر متوالية وأجبروه في النهاية على الفرار إلى قرطاجنة[2]. وقد قتل فريق من أهل المدينة وحمل فريق آخر أسيراً إلى مصر والجزيرة العربية، كما يقرر أشهر مؤرخ أفريقي (لأفريقية) – ابن الرشيد[3].

عن مدينة طرابلس الحديثة في شمال أفريقيا

بعد تدمير طرابلس القديمة[4] بنيت مدينة أخرى بالاسم نفسه. وهي مدينة أحيطت بأعلى وأجمل الأسوار، لكن على غير متانة. وهي تقع في سهل رملي ينتج مقادير من التمور. وبيوت هذه المدينة أكثر فخامة، مقارنة ببيوت تونس. وهنا كذلك يوجد لكل تجارة وحرفة مواضع عديدة كما يكثر فيها النساجون. وليس فيها آبار أو عيون. وإنما يأخذون الماء من الصهاريج. ويجاوز سعر الحبوب في هذه المدينة الحد، إذ أن كل حقول طرابلس رملية وقاحلة مثل حقول نوميديا. والسبب يكمن في أن الجزء الرئيسي الخصيب من أرض هذه المنطقة غمره البحر. ويؤكد أهل هذه البلاد أن القسم الأكبر من حقولهم في الشمال ابتلعه البحر الأبيض المتوسط. وهو أمر يلاحظ أيضاً في بلاد المنستير والمهدية وصفاقس وقابس وجزيرة جربة، وأماكن أخرى أمعن ناحية الشرق، حيث

1 - المقصود: عمر بن الخطاب رضي الله عنه. وفي الأصل: الخليفة عمر الثاني Califa Homer the Second والصواب: الخليفة الثاني عمر.
2 - Tripoli Vechia = Old Cities of Tripoli. وطرابلس "المدن الثلاث" في الأصل اتحاد بين ثلاث مدن هي: أويا وصبراته ولبدة. وكانت المنطقة تدعى Libya Tripolitania. وقد أطلق اسم طرابلس Tripoli على أويا بعد أن احتلها المستوطنون الناطقون باليونانية. وهي عند بليني: Oea، وعند بطليموس: Ewa، وعند بعض الجغرافيين: Ocea. وقد سكنها المستوطنون الصقليون والليبيون المتحضرون معاً – (براون).
3 - The most famus African Historiographer ولعل المقصود بابن الرشيد Ibnu Rachith ابن الرشيد السبتي صاحب "ملء العيبة" – مخطوطة بالاسكوريال تحت رقم 1736. وقد نشر احسان عباس ومحمد يوسف نجم ما يخص طرابلس من رحلته في "ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات". وهي رحلة بحرية، إلا أنه رسا عند طبرق ونزل بطرابلس ليوم وليلة، وليس في المنشور في الرحلة شيء عن تاريخ طرابلس.
4 - إن المعني بهذا ليس أويا – كما يفترض أحياناً – تلك الواقعة على أنقاضها طرابلس الحديثة الحالية، بل Tripoli Vechia أو صبراته. ويقال إن أسوار طرابلس الحالية بناها درغوت (القائد البحري المعروف الذي يبجل ضريحه هناك كل التبجيل). ورغم أن هذه الأسوار بدأت تنهار الآن إلا أنها تبين عن عمل متين. وهذا لا يتفق مع وصف ليو لها بأنها عالية على غير متانة. ولم يكن ليو ودرغوت متعاصرين، فإن درغوت جاء بعد ليو وعليه فإن هذه الأسوار قد تكون بنيت أو قويت بعد زيارة ليو لطرابلس. ولا تزال أشجار النخيل كثيرة كذي قبل، والسهل الرملي الذي يتحدث عنه رحالتنا مزركش بها. (بروان).

تجد البحر مسافة ميل ضحلاً حتى لا يكاد عمقه يبلغ سرة الإنسان واقفاً. بل إن بعض الناس يرى أن مدينة طرابلس ذاتها كانت تقع في الأزمنة الغابرة في مكان أمعن نحو الشمال. غير أن غمر البحر المستمر دفعها وجعلها تبنى شيئاً فشيئاً ناحية الجنوب. والدليل على هذا أنه لا تزال توجد آثار بيوت مغمورة في بعض مواقع من البحر[1].

وقد بنيت في هذه المدينة مساجد[2] حسنة كثيرة ومدارس، ومستشفى أيضاً لرعاية المعوزين من أهلها ولراحة الغرباء عنها. والطعام (المقدم في هذا المستشفى) محلي بسيط غاية، متكون من البازين[3] المذكور آنفاً المعمول من دقيق الشعير. وتجد أن تلك البلاد تنتج كميات قليلة من الشعير، حتى ليحسب من السراة الأغنياء من كان لديه خزين مقداره (بشل) أو اثنان من الحبوب[4]. ويمتهن أغلب المواطنين التجارة، لأن طرابلس – في موقعها بالقرب من نوميديا (الجزائر) وتونس – لا يوجد بينها وبين الإسكندرية بلدة ذات بال. كما أنها ليست على بعد كبير من جزيرتي صقلية ومالطة. وفي ميناء طرابلس ترسو السفن البندقية كل عام حاملة معها كمية هائلة من البضائع.

وقد كانت هذه المدينة خاضعة لملك تونس. غير أنه حين حاصر أبو الحسن – ملك فاس – تونس اضطر ملك تونس للفرار مع أعرابه إلى الصحاري. وعلى أية حال، فإن ملك تونس آب إلى مملكته بعد هزيمة أبي الحسن غير أن رعاياه بدأوا يقاومونه، حتى اضطربت المصالح العامة كثيراً بسبب الفتن والحروب الأهلية. ومن ثم تحرك ملك فاس، ذو العقل الحصيف، في السنة الخامسة من الحرب

1 - هذه النظرية عن غزو البحر لا يمكن قبولها كما هي. فالبحر على هذا الجزء من الساحل ضحل، ويمكن في حالة الجزر أن تخاض المسافة جزيرة جربة إلى الشاطئ في طريق يسمى (طريق الجمل). والسبب الرئيسي يكمن في أن هذا الجزء يطمر بالرمال التي تذروها عليه رياح الصحراء باستمرار، وهذا الطمر أكثر الآن من أي وقت مضى بسبب نقص الزراعة والفلاحة والعمارة. ونتيجة لعدم ترابط التربة بالنباتات جارت الصحراء في بعض المواقع على أسوار طرابلس ذاتها، وهي بلا شك غمرت ما كان يوماً أرضاً زراعية. (براون).

2 - الأصل: معابد Temples – المترجم.

3 - الأصل: بسيس basis غير أن السياق يدل على أن الصواب هو (البازين) – المترجم.

4 - Bushell مكيال إنجليزي للحبوب – المترجم.

الأهلية المذكورة، نحو مدينة تونس وكسر الملك هناك وأجبره على الهرب إلى قسنطينة.

وهناك ضرب عليه حصاراً شديداً حتى رأى أهل قسنطينة أنه لا قِبل لهم بمجابهة ملك فاس، ففتحوا أبواب مدينتهم له ولجيشه كله. وعليه أُخذ ملك تونس أسيراً إلى فاس وسجن بعد ذلك مدة في قلعة سبتة. وكانت طرابلس في تلك الفترة قد بوغتت بأسطول جنَوي مكون من عشرين قلاعاً واحُتلّت وأُخِذ أهلها أساري. ولما أُعلِن ملك فاس بالنبأ أعطى الجنويِّين خمسين ألف دوقية شريطة أن يدع المدينة ويحكمها في سلام. ولما سلم الجنويون المدينة اكتشفوا، بعد رحيلهم، أن أغلب الدوقيات مزيفة[1].

ثم عاد ملك تونس إلى مملكته، بعد أن أطلق أبو سليم ملك فاس سراحه، وبقي الحكم لديه وفي خلفه حتى قتل أبو بكر بن عثمان[2] مع ابنه الصغير في قلعة طرابلس على يد ابن أخ له اغتصب بعد ذلك الملك. وقد قُتِل هذا الأخير في معركة خاضها ضد عبد المؤمن[3] الذي صار بعدها سيد طرابلس. وجاء من بعده ابنه زكريا[4] الذي مات بعد أشهر قليلة بالطاعون. واختير من بعد

1 - لا- حدث هذا عام 1355م. على يد "فيليب دوريا" Ph. Doria أمير بحر جمهورية جنوا الذي قام بعمله دون تفويض من حكومته. ولما كانت هذه الحكومة على وفاق مع طرابلس وخوفاً من النتيجة على تجارتهم مع تونس وساحل شمال أفريقيا شجبت هذا العمل. أما القراصنة الجنويون فقد مكثوا في طرابلس حوالي أربعة أشهر ثم سمح لهم بالعودة إلى جنوا ولم ينلهم سوى عقاب رمزي. ويقال إن فدية تفاوضت فيها جنوا عن طريق ابن مكي حاكم تونس دفعت لهم. (براون).

ويورد ابن بطوطة في (رحلته) على لسان ابن جزي أنه لما استولى العدو على طرابلس ورأى أبو عنان أن إرسال الجيوش إلى نصرتها صعب ولا يتأتى لبعد الأقطار "كتب إلى خدامه ببلاد أفريقية أن يفدوها بالمال. ففديت بخمسين ألف دينار من الذهب العين. فلما بلغه خبر ذلك قال: الحمد لله الذي استرجعها من أيدي الكفار بهذا النزر اليسير. وأمر للحين ببعث ذلك العدد إلى أفريقية. وعادت المدينة إلى الإسلام على يديه".

ويرجع البعض الفضل في افتداء طرابلس إلى أحمد بن مكي حاكم قابس ويقال: إن أبا عنان تراخى في الاستجابة لندائه بجمع المبلغ الذي طلبه الجنويون، فجمع هو من أهل قابس والجريد والحامة اللازم. ولما علم أبو عنان بالأمر بعث إليه بالمبلغ ليرده على أهله فرفض، فعقد له إمارة طرابلس حتى تونس عام 766هـ أنظر: ولاة طرابلس. ص 127 – (المترجم).

2 - ولاه والده عثمان بن محمد، أمير تونس، على طرابلس عام 858 هـ وكان له ابن أخ اسمه يحيى بن محمد المسعود (يدعوه النائب في "المنهل العذب" زكريا) تنازل له جده عن الأسرة. فشق أبو بكر عصا الطاعة وحارب ابن أخيه فكانت الدائرة على أبي فقتله ابن أخيه يحيى. وكان آخر والٍ حفصي على طرابلس. (المترجم).

3 - عبد المؤمن بن علي، خليفة ابن تومرت منشئ دولة الموحدين.

4 - زكريا المسعود – أمير تونس.

زكريا مكمن[1] بن حسن وابن عم زكريا ملكاً. فلما بدأ طغيانه على الأهالي طردوه وأخرجوه من المملكة. صم جاء إلى العرش الملكي شخص من الأهالي وكان حاكماً عادلاً متواضعاً[2]. لكن الملك المطرود أرسل جيشاً من الجنود ضد طرابلس. وقد خسروا المعركة وفروا جميعاً. بعد ذلك صار الملِكُ الذي بدأ حكمه بتواضع طاغيةً جداً. فأغتاله بعض أقاربه. واختار الناس أحد الوجهاء ممن كان يعيش حياة صوفية وعينوه رغماً عن مشيئته حاكماً لهم[3]. وهكذا ظل حكم مدينة طرابلس في يده وفي يد عقبه حتى جاء الوقت الذي أرسل فيه الملك فردينانـدو أمير البحر (بيدرو نافارو)[4] ضدها . وقد باغت (بيدرو) المدينة وأخذ معه منها أسرى كثيرين. وأرسل حاكم طرابلس وزوج ابنته (صهره) أسيرين إلى (مسّينا). وظلا هناك بضع سنوات سجينين حتى أطلق الإمبراطور (شارلز الخامس) سراحهما. وعادا إلى طرابلس التي خربها النصارى. وقد أعيد إسكان طرابلس وأحيطت قلعتها بأقوى الأسوار – فيما أعرف. وهذا الشيء نفسه ينطبق على مدن مملكة تونس[5].

عن جبال تغرن ونفوسة

هـذه الجبال العالية البـاردة تبعد عن الصحراء، وعـن جربة، وعن صفاقس،

1 - آخر حاكم حفصي، وذلك سنة 865 هـ - 1460 م.
2 - يعني سيدي منصور. (المترجم)
3 - يذكر الباروني في كتابه "فرسان القديس يوحنا في طرابلس" اسم رجل يدعى يوسف، وكان أحد السراة اختاره أهل طرابلس بعد مقتل الشيخ منصور. ويرجح طاهر الزاوي أنه من يسميه النائب: محمد بن الحسن الذي استغله بنو غراب لتنفيذ مآربهم. وبينما يقول "ليو" إن الحكم استمر في عقبه نرى أن يوسف هذا مات بالطاعون وحكم بعده شخص يدعى مامي. ثم جاء انتخاب الطرابلسيين بالإجماع لرجل صالح هو عبد الله بن شرف "المرابط".
4 - هذا في عهد عبد الله بن شرف سنة 926 هـ - 1510 م.
5 - هذا القسم من تاريخ ليو مضطرب وغير دقيق للغاية. فقد احتل "بيدرو نافارو" طرابلس عام 1510م. وكان يحكمها قبله لمدة طويلة بنو عامر وقد تغلب أبو فارس (أمير تونس) على آخر حاكم من تلك الدولة. وفي إبان هجوم نافارو على طرابلس كانت المدينة والمنطقة المجاورة تحت حكن شيخ مستقل. وقد دافع أهل المدينة عنها شارعاً بعد شارع وبيتاً بعد بيت. ولما تم احتلالها هجرها أهلها وبعض التجار الجنويّين الذين كانوا هناك...
وفي عام 1530م. أعطى الملك "شارلز الخامس" طرابلس ومالطة لفرسان القديس يوحنا الذين كانوا خرجوا لتوهم من رودس. وقد طردهم سنان باشا ودرغوت عام 1551م. وبعد هذا ظل البلد - وبعد هذا ظل البلد – إلا لفترات قصيرة – في يدي الأتراك وكان رجال البحر الطرابلسيون مصدر ضيق للسفن الأوروبية حتى أن الأساطيل الأوروبية كانت تقنبلها بين الحين والآخر. وبعد عام 1714م. حكم أحمد باشا القرمانلي وأعقابه البلاد كدولة مستقلة، مع خضوع أسمي للسلطان العثماني – تماماً كما فعل بايات تونس. وفي عام 1835 عاد الحكم العثماني إليها حتى الآن (1895م). (براون).

حوالي ثلاثين ميلاً. وتنتج قدراً قليلاً جداً من الشعير. ويتصف السكان بالشجاعة وليسوا من أهل السنة[1]. وهو يتبعون مذهب شيخ القيروان في أغلب المسائل. وليس هناك أي طائفة أخرى من الأعراب تتبع المذهب ذاته. وفي تونس كما في المدن الأخرى – هم يكسبون قوتهم من أشد الحرف انحطاطاً، ولا يجرأون على الجهر بمذهبهم.

عن جبل غريان

هـذا الجبل المرتفع البارد الذي يبلغ طوله أربعين ميلاً، وخمسة عشر ميلاً عرضاً، والمفصول عن الجبال الأخرى بصحراء رملية. يبعد عن طرابلس بنحو خمسين ميلاً.

وينتج هذا الجبل قدراً من الشعير والتمور التي سرعان ما تفسد إذا لم تستهلك وهي طازجة. ويوجد هنا أيضاً وفرة من الزيتون. حيث ينقل زيت غزير من هذا الجبل إلى الإسكندرية ومدائن أخرى. وليس ثمة زعفران في أي بقعة من بقاع العالم أفضل مما ينبت هنا، وهو يباع بثمن باهظ جداً نظراً لجودته. ويجمع للضريبة السنوية من هذا الجبل ستة آلاف دينار وحمولة خمسة عشر بغلاً من الزعفران. وأهل الجبل في ضيق دائم بما يفرضه عليهم ملك تونس والأعراب من إتاوات. ولهم بعض القرى الصغيرة فوق هذا الجبل[2].

عن جبل بني وليد

هذا الجبل، الذي يبعد مائة ميل تقريبا من طرابلس، يسكنه أشجع الناس وأشدهم. يعيشون بحرية مطلقة وعلى حالة من الحرب دائمة مع أهل الجبال التالية وصحراء نوميديا.

1 - الأصل: وينكرون سنة محمد.
2 - جبل بركاني ارتفاعه 2000 قدم عامر بالسكان جنوب طرابلس. يعيش كثير من سكانه في بيوت منقورة في الجبل. ولا تزال زراعتهم للزعفران مشهورة، رغم أنها نقصت كثيراً بسبب الطغيان والفتن. (براون).

عن القلعة المسماة قصر أحمد

بنى هذه القلعة – على شاطئ البحر الأبيض المتوسط – قائد جاء بجيش إلى أفريقيا. وهي تقع غير بعيد من طرابلس. وقد خربها الأعراب أخيراً1.

عن قلعة الشبيكة

شيدت قلعة الشبيكة2 في نفس الفترة التي جاء فيها المسلمون إلى أفريقيا تقريباً. وكانت في الأزمنة الخالية آهلة بالسكان. ثم دمرها الأعراب وهي الآن تأوي بضعة صيادين فحسب3.

عن القلعة المسماة قصر حسان

أسس هذه القلعة المسلمون على ساحل البحر الأبيض المتوسط ثم دمرها من بعد ذلك الأعراب4.

عن القرية5

أما وقد تتبعنا حتى الآن الجبال، فأنه يبقى أن نتحدث قليلاً عن بعض القرى والدساكر والأقاليم، ثم نَصِفُ بعد ذلك، على نَسَقٍ.

مدن نوميديا. ونبدأ بالقرية الواقعة على البحر الأبيض المتوسط ذات النخيل الكثير. إن الحقول هناك جافة وقاحلة، ومع هذا فهي تأتي بشيء من الشعير يقوم بأود السكان6.

---

1 - قصر أحمد. ربما سمي باسم أحمد بن عمر، القائد الأغلبي، أو أحمد بن حسن الكلبي. وقد اختفى قصر أحمد الآن رغم أن مكاناً قرب مصراته (رأس بو شعيفة) لا يزال يعرف بهذا الاسم، وهو معلم بقبر أحد المرابطين. (براون).
2 - وتكتب أيضاً: Sueka وSudeyca يضعها "مرمول" قرب الرأس المثلث Cape Trietri عند بطليموس. (براون).
3 - كذا في الأصل: "and nowe it harborethe a fewe fishers only"
4 - هي التي يسميها مرمول Kasr Husn بناها جند (عقبة بن نافع) بعد خراب طرابلس القديمة. (براون).
5 - الأصل: القرية المسماة القار.
6 - القرية Gar, Gheria, Garria, Geria – على سواحل سرت الكبرى، غير أن الوصف مبهم جداً لتحديد موقع هذا غير المهم بدقة (أنظر: Della Cella, p. 80) حصن وبها برجان متهدمان "وشيء يسميه البعض الصهريج". وكانت مأهولة بالبربر الخاضعين لرئيس تاجوراء. (براون).

عن قرقارش1

هي منطقة أو مزرعة صغيرة تحتوي على كهوف ذات عمق عجيب من حيث (كما يقولون) أخذت الأحجار التي شيدت بها طرابلس القديمة، لأنها ليست بعيدة من تلك المدينة.

عن قرية صرمان

هذه القرية الواسعة الواقعة غير بعيد من طرابلس، يكثر فيها النخيل لكن لا حبوب تنمو هناك2.

عن القرية المسماة زاوية بن جربوع

هذه القرية، الواقعة قريباً من ساحل البحر الأبيض المتوسط، تنتج كمية عظيمة من التمر، ولا تنتج حبوباً مطلقاً3. ويسكنها أناس متدينون4.

عن قرية زنزور

هذه القرية الواقعة كذلك بالقرب من البحر الأبيض المتوسط، على بعد أثني عشر ميلاً من طرابلس، يقطنها صناع مهرة كثيرون، وفيها وفرة من النخل والرمان والخوخ. وقد أصبح سكانها في حالة من العوز منذ أن استولى النصارى على طرابلس. ولا يزالون يتصلون بأهل طرابلس ويحملون إليها التمور لبيعها هناك5.

---

1 - Garell Gare – ونفس ملاحظتنا على قار تنطبق على قار القار. ورغم أن السياق قد يساعد على تحديد الموقع تقريباً إلا أنها لم تذكر عند "مرمول" ولا "ديلاشيلا" أو في أي مصدر آخر أعرفه. والقارة (Gara عند بطليموس) جزيرة صغيرة قرب عين الناقة Ain Naga قريبة من شاطئ سرت الكبرى. وهناك موقع لولي عند زنزور يسمى El-Gar بجانب آثار حصن. (براون).
والمقصود كما يبدو لي "قرقارش" كما فضلت إثباتها هنا، وهي غربي طرابلس. ولم يكن "ديلاشيلا" ليصفها لأن رحلته كانت نحو الشرق من طرابلس. (المترجم).
2 - Sarman – وصف "مرمول" صرمان بأنها بلدة كبيرة دون حصون، مأهولة جيداً بالسكان من بربر الحرشا Hoarsa Berbers الذين كانوا يعترفون بسلطات طرابلس ولديهم نخل كثير. (براون).
3 - The Zauia أو قبر سيدي Barbah قرب زنزور. يسميها "مرمول" Zaort أو Zauit سيدي جربوع. (براون).
4 - كذا في الأصل Certiane religions persons وهو يعني "المرابطين" وهي "تعرف أيضاً بوطن بلد المرابطين. وهي قرية ذات نخيل باسق... ورأيت منهم أقواماً قد نحلت من العبادة أبدانهم واصفرت ألوانهم". أنظر: ليبيا في كتب الجغرافية والرحلات ص 128. (المترجم).
5 - يسميها "مرمول" Gienzur. وهي الآن مكان فقير في منطقة غنية ذات ماء كثير، يسكنها 4 أو 5 آلاف إنسان. (براون).

عن قرية العمروس

تقع على مسافة ستة أميال من طرابلس، وتنتج البساتين هناك قدراً كبيرا من البلح وجميع أنواع الفاكهة الأخرى[1].

عن سهل تاجوراء

هذا السهل الواقع على بعد ميلين شرقي طرابلس، يحتوي على ضياع عديدة مثقلة جدا بالنخل وفواكه أخرى، وقد كانت مباغتة طرابلس مفيدة جداً لهذا الموضع؛ فقد لجأ إليه عدد كبير من الأعيان.

وبني السكان، وهو قوم جهلة أجلاف مدمنون على السرقة والنهب، أكواخاً بجريد النخل، وطعامهم خبز الشعير والبازين السابق وصفه، وجميع من في المنطقة خاضعون لملك تونس والأعراب، عدا أولئك الذين يعيشون في هذا السهل[2].

عن إقليم مسلاته

يقع هذا الإقليم على البحر الأبيض المتوسط على بعد حوالي خمسة وثلاثين ميلاً من طرابلس، وهو مكتظ بالقرى الغنية والحصون والسكان، وبه كثرة من أشجار الزيتون والنخيل، وأهله غير مقيدين بأي سلطة غريبة عنهم (أجنبية)، ولهم زعيم من أنفسهم يدير شئونهم العامة ويقود معاركهم ضد الأعراب، ويبلغ عدد جنود هذا الإقليم حوالي 5000 جندي[3].

1 - Hamrozo – يسميها "مرمول" Hamron – قرية غير مسورة في أيامه. (براون).
2 - تكتب Tajiura أو Tajuia وعند "مرمول". Tachore وهي مجموعة من القرى المتناثرة محاطة بالبساتين وأشجار النخيل والزيتون ويشتغل الناس فيها بالزراعة وإنتاج الخضروات وصناعة العباءات الخشنة والحصر من سعف النخل. (براون).
3 - يسميها "مرمول" Mecellat. ولا يزال سهل مسلاته العظيم مزدهراً ومأهولاً بالسكان وهو مشهور بمهارة أهله الصناعية. وربما كانت قلعة مسلاته – في الطرف الشمالي لقرية القصبات – شيدت على يد الأسبان في نهاية القرن السادس عشر. (براون).

عن إقليم مصراته

هذا الإقليم الواقع أيضاً على البحر الأبيض المتوسط، على بعد مائة ميلٍ تقريباً من طرابلس، به عديد من القرى في السهول وعلى الجبال[1]. والسكان ذوو ثراء ولا يدفعون ضريبة إطلاقاً، وهم على صلة بالبنادقة الذين يأتون إلى هذا الإقليم بسفنهم، حاملين بضائع البندقية إلى نوميديا، وهناك يبادلون البضائع بالعبيد والمسك والزباد، التي يؤتى بها من بلاد السودان (أثيوبيا)[2].

عن صحراء برقة

تبدأ هذه الصحراء من أقصى حدود مصراته، وتمتد شرقاً حتى مشارف الإسكندرية، ويبلغ طولها ألفاً وثلاثمائة ميل، وعرضها حوالي مائتي ميل، وهي مكان قاس غير مسر، خالية تماماً تقريباً من الماء والحبوب، وقد كانت هذه المنطقة خالية من السكان قبل أن يغزو الأعراب أفريقية، أما الآن فإن بعض الأعراب يحيون هنا حياة شظف ومسبغة بمنأى عن الأماكن الآهلة، وليس لديهم حبوب إطلاقاً، غير أن الحبوب والضرورات الأخرى تجلب إليهم بواسطة البحر من صقلية.

عن منطقة تاورغاء

هذه المنطقة الصغيرة التابعة لمملكة طرابلس والمتاخمة لصحراء برقة، تحتوي على ثلاثة حصون تعرف كلها بالاسم ذاته، وهي وفيرة النخيل لكنها معدومة الحبوب تماماً، وبسبب بعد السكان كثيراً عن المدن الأخرى فأنهم يحيون أسوا حياة[3].

1 - كذا في الأصل: Mountains. ولا جبال في مصراته. ولعله يقصد كثبان الرمل ومنطقة شاطئ البحر المرتفعة شمالها – وهي عامرة مأهولة. (المترجم).
2 - تكتب Mesrata, Mezrata, Msarat, Mesurata. سهل عظيم مغطى بأشجار الزيتون والنخيل وتبعد المدينة المسماة مصراته حوالي ميل واحد عن رأس مصراته. وهي تحتل موقع مدينة ثوباكتيس Thubactis القديمة. وأغلب المصارته زراع، وهم يعيشون في بيوت متباعدة متناثرة. لكنهم أيضاً يصنعون البسط ويرسلون القوافل إلى فزان والسودان. وقد لعبوا دوراً عسكرياً في اضطرابات طرابلس. (براون).
وبالعربية تكتب: مصراته، مسراطة، مصراطة، ومسراتة.
3 - Teorrugo - هي Tegerry التي يذكرها ليون Leon في كتابه Travels in N. Africa صفحة 239. وهي Tegerri

عن أرض زليتن

وهي تقع على البحر الأبيض المتوسط. وتحتوي على عدد كبير من القرى مليئة بالنخيل. وبسبب من أن السكان يعيشون قريباً من البحر فإنهم على صلة قريبة بأهل صقلية ومصر1.

عن منطقة غدامس

هذه المنطقة الشاسعة ذات القلاع والقرى العديدة تقع إلى الجنوب من البحر الأبيض المتوسط بحوالي ثلاثمائة ميل. ويدفع قاطنوها، وهم أهل تمر كثير وأنواع أخرى من السلع يترحلون في بلاد الزنوج، يدفعون الضرائب للأعراب على الرغم من أنهم كانوا لوقت ما خاضعين لملك تونس وأمير طرابلس. أما الحبوب واللحوم فهي نادرة هنا بشكل مدهش2.

عن منطقة فزان

يضم هذا الإقليم الفسيح عدداً كبيراً من القلاع والقرى. ويسكنه قوم ذوو ثراء وهو يتاخم مملكة أقاديز والصحراء الليبية وأرض مصر. وهو يبعد عن القاهرة برحلة ستين يوماً تقريباً –دون أن يتخلل الرحلة أي قرية فيما عدا أوجلة التي تقع على حدود ليبيا.

ولإقليم فزان هذا حاكم خاص به. وهو يوزع عائدات الإقليم كله على هواه، ويدفع بعض الضريبة للأعراب المجاورين. وتندر هنا الحبوب، كما يندر اللحم، فيضطرون لأكل لحم الجمال فحسب.

عند بارث Barth في رحلته (مجلد 5 – ص 242) أقصى مدن فزان (براون).
وهذا غلط من "براون" لأن المقصود تاورغاء وليس تجرهي في صحراء فزان، بدليل قول "ليو" أنها تابعة لطرابلس ومتاخمة لحدود برقة. وهذا ما عرفت به تاورغاء دائماً. (المترجم).
1 - Iasliten – وهي Yaslite عند "مرمول". (براون).
2 - Ghadames - هي كوداموس Cydamus عند بطليموس. مكان لا يزال حسناً للتجارة الرائجة حيث يلتقي التجار من تمبكتو وتوات. ويقطن هذه المنطقة نفس السلالة البشرية التي تعيش في كانو Kano وكاتسينا Katsena وفي مناطق أخرى من السودان. (براون).

عن منطقة أوجلة

أوجلة هي جزء من الصحراء الليبية وتبعد عن النيل بأربعمائة وخمسين ميلاً، وهي تحتوي على ثلاثة حصون وبعض القرى. وأشجار النخيل هنا وفيرة جداً، لكن على ندرة في الحبوب إلا أن يجلبها إلى هنا التجار من مصر.

وعبر هذه المنطقة يمر طريق الصحراء الليبية من موريتانيا إلى مصر1.

عن بلدة سرت

سرت بلدة قديمة بناها (حسب رأي البعض) المصريون. وحسب رأي آخرين بناها الرومان. (وكما يفترض بعض آخر) بناها الأفارقة. وقد خربها المسلمون، رغم أن ابن الرشيد2 يؤكد أن الرومان هم الذين اكتسحوها. لكن الآن لم يبق منها سوى آثار السور.

---

1 - Augila هي التي عرفها هيرودوت على أنها مركز المنطقة التي كانت النسامونيس على سواحل سرت الكبرى يجمعون التمر منها. ومن الغريب أن "باشو" يذكر أنه حين زارها خريف 1825 م. جاء البدو الرحل ليتزودوا من تمور أوجلة – تماماً كما كان يفعل أجدادهم منذ 500 عام قبل الميلاد. أنظر: Voyages dans la Cyrenaque p. 263.
ويقول عنها أبو الفداء أنها جزيرة ذات نخل وينابيع في وسط الرمال بين المغرب والواحات. ويمضي الإدريسي ليصفها بأنها بلد صغير مأهول أغلب سكانه تجار يتعاملون مع أرض السودان. أما "هارنمان Harniman" الذي كان أول أوروبي يزورها في العصور الحديثة – رغم أنه ترك شذرة قصيرة عنها – فقد وصف المكان بأنه يتكون (عام 1798م.) من بيوت جيرية سيئة البناء ذات طابق واحد، في وسطحها ساحة. ويمتهن أغلب السكان مهناً قعودية (لا حركة فيها) رغم أن بعضهم يسافر مع القوافل بين القاهرة ومرزق. وحول البلدة نجد التربة الرملية خصبة وجيدة، والماء وفيراً. لكن الحبوب – تماما كما يقول ليو – نادرة للغاية، حتى أنها لا تسد حاجات الناس هناك. فيحصلون على حاجتهم عن طريق مبادلتها بالأغنام مع عرب بنغازي. (براون).
2 - لم أعثر على المصدر الذي يستند إليه "ليو" في هذا النص. (المترجم)